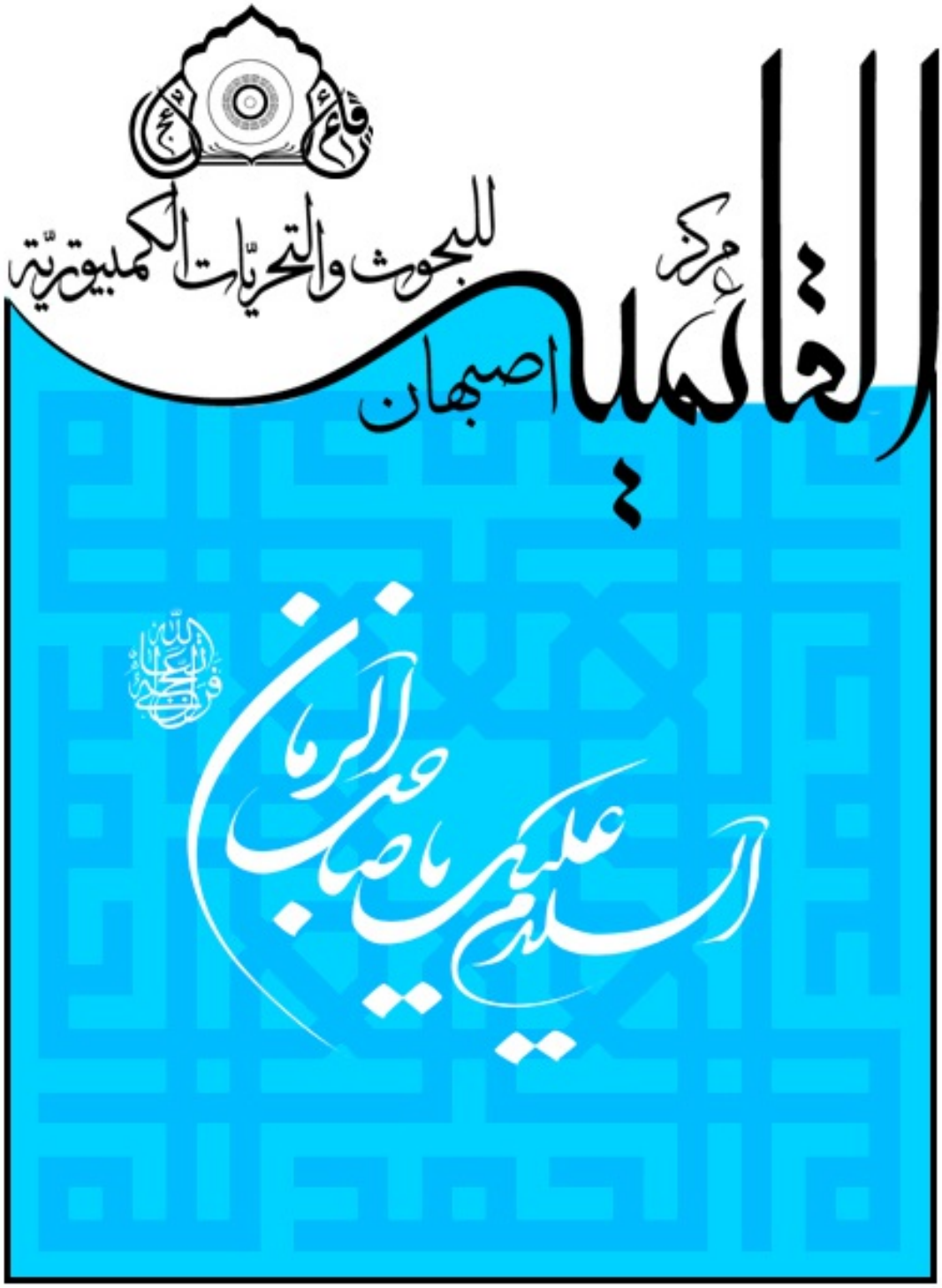

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الغيبة الكبري
في
دعوي السفارة

نويسنده:شيخ محمد سند

جلد(۱)

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى (٢)

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

محبين

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
دعوی السفارة فی الغیبة الکبری(۲) المجلد ۱ ----- ۸
اشارة ----- ۸
دعوی السفارة فی الغیبة الکبری (۱) ----- ۸
مقدمة المرکز ...: ص: ۵ ----- ۸
تمهید ... ص: ۷ ----- ۹
اشارة ----- ۹
الغیبة الصغری والنیابة الخاصة ...: ص: ۷ ----- ۹
خطورة النیابة الخاصة ...: ص: ۸ ----- ۱۰
المدّعون للسفارة مع باقی الأئمّة (علیهم السلام ...): ص: ۱۰ ----- ۱۰
الضرورة علی انقطاع السفارة ...: ص: ۱۱ ----- ۱۱
التشرف باللقاء والنیابة ...: ص: ۱۱ ----- ۱۱
محدودیّة صلاحیة النیابة ...: ص: ۱۳ ----- ۱۲
الانقطاع ومعنی الغیبة ...: ص: ۱۳ ----- ۱۲
عقیدة الانتظار ...: ص: ۱۴ ----- ۱۲
التفقه فی الدین اعتصام من الضلال ...: ص: ۱۵ ----- ۱۳
نماذج قرآنیّة فی القدرة التکوینیّة لروّاد الضلال ...: ص: ۱۸ ----- ۱۴
مفهوم العدالة یقلب إلی العصمة المکتسبة وذریعة التأویل ...: ص: ۲۳ ----- ۱۶
تنویع البحث ... ص: ۲۷ ----- ۱۷
الفصل الأوّل: فی الفرق بین السحر والمعجزة والکرامة ... ص: ۳۳ ----- ۱۹
الفصل الثانی فی کون انقطاع النائب الخاص للإمام (ع) عقیدة من ضروریات مذهب الإمامیة الإثنی عشریة ... ص: ۵۵ ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
الأمر الأوّل معنی النیابة لغة ... ص: ۵۵ ----- ۲۶

الأمر الثانی کلمات علماء الطائفة ... ص: ۵۶ ---- ۲۷
الأمر الثالث النیابة العامة للفقهاء ... ص: ۸۳ ---- ۳۷
الأمر الرابع منابع الشریعة ... ص: ۹۳ ---- ۴۰
الأمر الخامس الرؤیا لیست مصدراً للتشریع ... ص: ۱۱۱ ---- ۴۷
اشارة ---- ۴۷
جواب شبهة من رآنی فی منامه فقد رآنی ... ص: ۱۲۲ ---- ۵۰
الأمر السادس نبذة من أحوال النواب الأربعة فی الغیبة الصغری ... ص: ۱۳۸ ---- ۵۶
الأمر السابع ذکر المذمومین الذین ادّعوا البابیة لعنهم الله ... ص: ۱۵۴ ---- ۶۲
اشارة ---- ۶۲
أوّلهم: المعروف بالشریعی ...: ص: ۱۵۴ ---- ۶۳
ومنهم: محمّد بن نصیر النمیری ...: ص: ۱۵۵ ---- ۶۳
ومنهم: أحمد بن هلال الکرخی ...: ص: ۱۵۶ ---- ۶۳
ومنهم: أبو طاهر محمّد بن علی بن بلال ...: ص: ۱۵۶ ---- ۶۴
ومنهم: الحسین بن منصور الحلاج ...: ص: ۱۵۸ ---- ۶۴
ومنهم ابن أبی العزاقر ...: ص: ۱۶۰ ---- ۶۵
نسخة التوقیع الخارج فی لعنه ...: ص: ۱۶۵ ---- ۶۷
التوقیع ...: ص: ۱۶۶ ---- ۶۸
ذکر أمر أبی بکر البغدادی ... ص: ۱۶۷ ---- ۶۸
الأمر الثامن ثواب الثبات والتمسّک بالدین فی الغیبة الکبری وشدّة المحنة ... ص: ۱۷۱ ---- ۷۰
الأمر التاسع تفسیر الکتاب الوارد من الناحیة المقدّسة علی الشیخ المفید وتشرّف عدّة من أساطین الفقه والعلم بلقائه (ع ...) ص: ۱۷۹ ---- ۷۳
الأمر العاشر من هم الأبدال والأوتاد ...؟ ص: ۱۸۸ ---- ۷۶
الفصل الثالث فی الفِرق التی انحرفت عن الطائفة الإمامیة وکیفیة انحرافها ... ص: ۲۰۱ ---- ۸۰
اشارة ---- ۸۰
(الغلاة ...): ص: ۲۰۱ ---- ۸۰

ومنها (الخطابیة ...): ص: ۲۰۲ ---- ۸۰
ومنها (الحارثیة ...): ص: ۲۰۴ ---- ۸۱
ومنها (المنصوریة ...): ص: ۲۰۵ ---- ۸۲
ومنهم (أصحاب السری ...): ص: ۲۰۶ ---- ۸۲
ومنها (البیانیة ...): ص: ۲۰۶ ---- ۸۲
ومنها (أصحاب حمزة بن عمارة الزبیدی البربری ...): ص: ۲۰۸ ---- ۸۳
ومنها (المغیریة ...): ص: ۲۰۹ ---- ۸۳
ومنها (أصحاب بزیع بن موسی الحائک ...): ص: ۲۰۹ ---- ۸۳
ومنها (البشیریة ...): ص: ۲۱۰ ---- ۸۴
ومنها (أصحاب معمر بن خیثم ...): ص: ۲۱۲ ---- ۸۴
الفصل الرابع فی تاریخ البابیة فی إیران ... ص: ۲۳۱ ---- ۹۱
الخاتمة ... ص: ۲۵۹ ---- ۱۰۱
اشارة ---- ۱۰۱
الأمر الأوّل فی خروج الدجّال ... ص: ۲۵۹ ---- ۱۰۱
الأمر الثانی: فی علامات ظهور الحجة (ع) وعدّة أصحابه ...: ص: ۲۶۱ ---- ۱۰۲
الأمر الثالث: فی مدح العلم وذم الجهل ...: ص: ۲۶۵ ---- ۱۰۴
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۰۵

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢) المجلد ١

اشارة

سرشناسه : سند، محمد، - ١٣۴٠

عنوان و نام پديدآور : دعوى السفاره فى الغيبه الكبرى/ تاليف محمد السند

وضعيت ويراست : [ويراست ؟]

مشخصات نشر : موسسه المحبين للطباعه و النشر، ١۴٢۵ق. = ٢٠٠۴م. = ١٣٨٣.

مشخصات ظاهرى : ط، ص ٢١۴

شابک : ٩۶۴-٧١٠٣-۶٢-X

وضعيت فهرست نويسى : فهرستنويسى قبلى

يادداشت : چاپ قبلى: مكتبه الداورى، ١۴١١ق. = ١٣۶٩

يادداشت : عربى

يادداشت : چاپ ششم

يادداشت : كتابنامه به‌صورت زيرنويس

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ٢۵۵ق. - -- نيابت

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ٢۵۵ق. - -- رويت

رده بندى كنگره : BP٢٢۴/۴/س٩د٧ ١٣٨٣

رده بندى ديويى : ٢٩٧/۴۶٢

شماره كتابشناسى ملى : م٨٣-٣۵٣٢٧

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى (١)

مقدمة المركز ...: ص: ۵

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَةِ بْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ فى هذِهِ السّاعَةِ وَفى كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيّاً وَحَافِظاً وَقائِدَاً وَناصِراً وَدَليلًا وَعَيْناً حَتّى تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فيها طَويلًا».

دأب مركز الدراسات التخصصية فى الإمام المهدى (ع) ومنذ تأسيسه بعد سقوط النظام فى النجف الأشرف على وضع اللبنات الأولى لتأصيل الفكر المهدوى وتعميق ثقافة الانتظار بين أبناء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى العراق وخارجه وذلك من خلال الأطر العامة والخطط المعرفية التى وضعها منهاجاً يسير على خطاه، وكان من جملة هذه البرامج هى إقامة دورات علمية تخصصية تهتم ببيان الجوانب المعرفية فى الثقافة المهدوية وذلك باستضافة الشخصيات العلمائية وفضلاء الحوزة العلمية وأساتذتها ممن تشهد لهم الساحة العلمية بطول الباع وعمق النظر والإحاطة المستوعبة فى مختلف جانب قضية الإمام (ع) وكان ممن تشرف المركز بدعوته سماحة الفقيه المحقق الشيخ محمّد السند (دام عزه) حيث عقد المركز لسماحته دورة تخصصية حضرها العشرات من طلبة الحوزة العلمية وذلك فى شهر صفر سنة (١۴٢٧ ه-) فى النجف الأشرف فى جامع الهندى ولما كانت الحاجة ماسة والساحة العلمية بحاجة إلى أمثال

هذه البحوث القيّمة التأصيلية فى الفكر الشيعى وذلك لوجود الشبهات الفكرية فى القضايا العقيدية بشكل عام وقضية عقيدة الإمام المهدى (ع) بشكل خاص قامت لجنة التحقيق فى المركز وبجهود مباركة لكل من الإخوة الفضلاء سماحة الشيخ حازم الحدراوى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٦

وسماحة الشيخ حميد الوائلى بتحرير الدرس وتقويم النصّ وربط الأبحاث وتوحيدها وتخريج المصادر والتعليق على الكثير من البحوث لبيان إيضاح أو تأييد فكرة ودعم معلومة أو غير ذلك مما له دخل فى شمولية البحث واستيعابه وعرضه بأسلوب يحصّل أكثر قدر ممكن من الفائدة العلمية. وأسميناه (دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى الجزء الثانى) كما ارتأى المركز بعد استحصال موافقة المؤلف طباعة الجزء الأوّل من دعوى السفارة مع الجزء الثانى باعتبار وحدة الموضوع فيهما وأن أحدهما مكمل للآخر فقامت اللجنة الموقرة بإعادة تحقيق الجزء الأوّل وإخراج مصادر الروايات والأحاديث وتصحيح الأخطاء المطبعية وغيرها من الأمور الفنية.

فكان نتاج هذا الجهد المشكور أن خرج هذا الكتاب بجزئيه الأوّل والثانى بمثل هذه الحُلة القشيبة، راجين من الله تعالى القبول والتوفيق ومن صاحب الأمر (ع) الرعاية والرضا.

مدير المركز

السيد محمّد القبانچى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٧

تمهيد ... ص: ٧

اشارة

تمهيد

الحمد لله باعث الرسل، وجاعل الخلفاء لكى لا تخلو الأرض من حجّة لله بالغة على الناس، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين للنّاس كافّة، رحمة للعالمين، المبشّر بأنّ المهدى من ذرّيته من نسل البتول المطهّرة، وعلى آله الأوصياء حجج الله على الخلق.

وبعد.. فإنّ نجوم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، لا يغيب منهم نجم إلى الدار الآخرة إلّا ويطلع آخر، حتّى انتهى الأمر إلى بقية الله فى الأرضين، صاحب الأمر المهدى الحجة ابن الحسن العسكرى، الذى يملؤها قسطاً وعدلًا بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وقد وقعت المشيئة الإلهيّة أن يكون هذا العلم المنصوب، والعلم المصبوب، والغوث، والرحمة الواسعة فى ستار الخفاء، والحجاب المسدول عن التعرّف على شخصه وهويّته من قِبل معسكر الظالمين والمستكبرين، يمارس مهامه ودوره المرسوم من قِبل البارى تعالى، وهو صاحب ليلة القدر فى عصورنا هذه.

الغيبة الصغرى والنيابة الخاصة ...: ص: ٧

لقد هيّأ البارى عزَّ اسمه المؤمنين لغيبة وليّه (ع) الطويلة المتمادية قروناً بغيبة صغرى قد نصب فيها نوّاباً وسفراء له أربعة، أوّلهم: عثمان بن سعيد العمرى، والثانى: ابنه محمّد بن عثمان العمرى، والثالث:

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٨

الحسين بن روح النوبختى، والرابع: على بن محمّد السمرى، ابتدأت من عام وفاة الإمام أبى محمّد الحسن بن على العسكرى (٨/ ربيع الأوّل ٢٦٠ هـ) إلى (١٥/ شعبان/ ٣٢٩ هـ) تاريخ وفاة السمرى، فطاولت ما يزيد على ٦٩ عاماً، وكانت لهؤلاء الأربعة مكانة خاصّة، ونيابة خاصّة يلتقون من خلالها مع الإمام (ع)، ويوصلون أوامره وتوجيهاته إلى الطائفة الناجية وعلمائها.

وهـذه النيابـة الخاصة لم تعهدها على الصـعيد الرسـمى والعلنى الطائفة قبل ذلك مع الأئمّة السابقين (عليهم السـلام)، وإن كان لديهم وكلاء ونوّاب خاصون، إلّا أنّ هذه النيابة الخاصة للأربعة كانت تمتاز بصـلاحيّات خاصّة للنائب تتّصل بشؤون غيبيّة نظير ما لأصـحاب القائم (ع) ال- (٣١٣) فى عصر الظهور من صلاحيات غيبيّة، ومقامات معنوية فائقة، ويكفى فى الإشارة إلى ذلك تسميتها بالسفارة.

خطورة النيابة الخاصة ...: ص: ٨

وبالنظر لخطورة هـذا الموقع السامى فقـد كانت الطائفـة وعلماؤها يقومون بامتحان هؤلاء الأربعة بنحو مسـتمرّ، مع أنّ الإمام العسـكرى (ع) قـد نصَّ لـدى وجهاء الطائفة وعلمائها على نيابة العمرى وابنه عن الناحية المقدّسة (ع)، كما ذكر ذلك الشـيخ الطوسـى فى كتابه الغيبة («١»)، وهـذا المنطق ليس غريبـاً عنـد أتبـاع أئمّـة أهل البيت (عليهم السـلام)، حيث إن المسار الـدينى لـديهم قائم على الـدليل والبرهان والبيّنات، بدءً من ضرورة المعجزة على نبوّة الأنبياء، وعلى إمامة الأئمّة، مضافاً إلى النصوص

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٩

الإلهية الواردة من كلّ نبىّ سابق على النبى اللّاحق، ومن سـيد الأنبياء على سـيد الأوصياء وولده، ومن الإمام السابق على الإمام اللاحق، ويتصل بخطورة مقام النيابـة الخاصـة ملاحظـة ظاهرة فقهية لدى علمائنا المعاصـرين للغيبة الصـغرى، ولأوائل الغيبة الكبرى، وهو اللعن والبراءة من المدّعين الكاذبين، والطرد لهم عن الطائفة، وهذا الموقف تبعاً لما صدر من التوقيعات من الناحية المقدّسة حول بعضهم.

وفى هـذا السياق أيضاً ما يلاحظ فى زيارة قبورهم التى رواها الشـيخ فى التهذيب: «جئتك مخلصاً بتوحيد الله وموالاة أوليائه، والبراءة من أعدائهم ومن الذين خالفوك يا حجة المولى، وبك إليهم توجهى، وبهم إلى الله توسلى» («١»).

ونظير هـذا المفاد ما ذكره الشـيخ فى الغيبـة فى باب ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية والسـفارة كذباً وافتراءً.. قال: (ومنهم أحمد بن هلال الكرخى، قال أبو على بن همام: كان أحمد بن هلال من أصـحاب أبى محمّد، فاجتمعت الشيعة على وكالة أبى جعفر محمّد بن عثمـان بنصّ الحسن (ع) فى حياته، ولمّا مضـى الحسن (ع) قالت الشـيعة الجماعـة له: ألا تقبل أمر أبى جعفر محمّـد بن عثمان وترجع إليه، وقـد نصَّ عليه الإمام المفترض الطاعـة؟ فقال لهم: لم أسـمعه ينصُّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه يعنى عثمان بن سـعيد، فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان، فلا أجسُر عليه، فقالوا: قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبى جعفر، فلعنوه وتبرّأوا منه. ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٠

ظهر التوقيع على يد أبى القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه فى جملة من لعن) («١»).

فإن لعن وبراءة الطائفـة من ابن هلال بمجرّد إنكاره لسـفارة النائب الثانى يـدلُّ على خطورة مقام النيابـة الخاصّة المسـمّاة بالسـفارة فى مذهب أهل البيت (عليهم السـلام)، ومما يعزز كونه مقاماً معنوياً خاصاً ما ورد فى زيارتهم التى تقدمت: «أشهد أن الله اختصك بنوره حتّى عاينت الشخص فأدّيت عنه وأدّيت إليه» («٢»).

ولـذلك يشاهـد من المـدّعين الكـذّابين لهـذا المقام فى الغيبـة الصـغرى أنهم تمخرقوا وتبهرجوا بادّعاء مقامات غيبيّـة باطلـة، وشؤون ملكوتيـة زائفـة، والملفت لنظر الباحث المتتبّع أن مقالات هؤلاء المـدعين للنيابـة كذباً فى القرن الثالث وبداية الرابع، تبنّاها فى القرون اللاحقة كثير من فِرَق الصوفية وروّاد التصوّف، سواء على صـعيد نظريات التصوّف النظرى والتصوّف العملى، أو على صعيد التأويلات الخيالية الوهمية البعيدة عن الحقائق الغيبية، فى مجال المعارف والآداب والسنن («٣»).

المدّعون للسفارة مع باقى الأئمّة (عليهم السلام ...): ص: ١٠

ويشاهـد أيضاً أنّ هؤلاء المدعين للسـفارة لم يقتصـروا على ادّعائها مع الحجة المهدى (ع)، بل ادعوها أيضاً مع أرواح الأئمّة السابقين

(عليهم السلام)، وبعبارة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١١

أخرى: أن مقام ومنصب السفارة حيث كان معناه وساطة معنوية بين الناحية المقدسة (ع) وبين الناس، تمادوا فى ادعائها معنوياً مع بقيّة الأئمّة الماضين (عليهم السلام)، وهذا يقرّر أن تحديد إطار معنى النيابة الخاصة والسفارة أنها وساطة معنوية، وتمثيل رسمى بين أىّ معصوم (ع) وبين الناس.

الضرورة على انقطاع السفارة ...: ص: ١١

وقد قامت الضرورة لدى الطائفة الإمامية على انقطاعها بعد الغيبة الصغرى بعد النائب الرابع على بن محمّد السمرى، حيث ورد التوقيع من الناحية المقدسة على يده: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية (التامة)، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله (عزوجل)، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى شيعتى من يدّعى المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفترٍ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم» («١»).

إذ المراد بالمشاهدة هى الوساطة والتمثيل والاتصال الرسمى بالناحية المقدسة؛ لأنها ذُكرت فى سياق قوله (ع): «لا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية».

التشرف باللقاء والنيابة ...: ص: ١١

ويحصل الخلط بين تشرف جملة من علماء الطائفة، كالسيد ابن طاووس والعلامة بحر العلوم، وغيرهم من الصالحين الأتقياء، كما ذكر ذلك كلٌّ من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٢

الكلينى فى (أصول الكافى)، والصدوق فى (كمال الدين)، والطوسى فى (الغيبة) والنورى فى (جنّة المأوى فى من رأى الحجة الكبرى)، وبين ضرورة انقطاع السفارة والوساطة والتمثيل الرسمى بين الطائفة وبين الناحية المقدّسة، أى انقطاع التأدية منه إلى الناس، والتأدية من الناس إليه، أى لا يوجد شخص له صلاحية أن يؤدّى إلى الحجة (ع) رسائل الناس وأسئلتهم، ولا أن يؤدّى من الحجة (ع) كلامه إلى الناس، فليس هناك من له صلاحية هذه الموقعية من الوساطة والتمثيل الرسمى تحت أىّ عنوان كان، وتحت أىّ اسم، لا سفير ولا- وسيط ولا نائب خاص، ولا يلتقى بالحجة، ولا على ارتباط به، ولا يحظى برؤيته، فيوصل الرسائل له، ولا غيرها من العناوين التى يتقمّصها الكثير من الدجّالين وذوى النصب والحيلة والأراجيف، طلّاب الرئاسة الباطلة الطامعين فى حطام الدنيا، فلا صلة بين ظاهرة التشرف بلقاء الحجة (ع)، وبين صلاحية الوساطة وصلاحية الارتباط، فإن التشرف ليس له أىّ اعتبار شرعى للآخرين كطريق إلى البابية وغيرها من المسميات، ولا يتصف بأىّ سمة من معانى الحجية للآخرين، كباب ارتباط بالناحية المقدسة، فالتشرف ليس له أىّ أثر شرعى يترتب عليه عند الآخرين، كما أن الذى يتشرف به (ع) فى الغيبة ينبغى أن لا يغلب على ظنه وخياله أن يخصص بتشريع غير ما هو عليه ظاهر الشرع المحمّدى عند الطائفة الإمامية، كما قال هو (ع) وآباؤه ما مضمونه: ما وافق كتاب الله تعالى وسُنّة نبيه (ص) فقد قلناه، وما لم يوافق كتاب الله وسُنّة نبيه (ص) فلم نقله («١»).

وكما أرجع هو (ع) فى كثير من التوقيعات الصادرة منه فى فترة الغيبة الصغرى، أرجع الرواة فى أسئلتهم إلى ما روى عن المعصومين (عليهم السلام) من آبائه مما هو مودع فى أصول ونسخ وكتب رواة الحديث لدى الطائفة الإمامية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣

محدوديّة صلاحية النيابة ...: ص: ۱۳

إنّ هذا الحدّ والميزان ليس خاصاً بمن يتشرّف باللقاء فقط. بل هو يسرى على النواب الأربعة فى فترة الغيبة الصغرى أيضاً، فقد روى الشيخ فى كتاب الغيبة («۱») أن النائب الثالث الحسين بن روح النوبختى جمع ما رواه عن رواة الأصحاب عن الأئمّة الماضين (عليهم السلام)، فعرض الكتاب على علماء ومحدّثى قم، فصحّحوا ما فيه عدا موضع واحد نبّهوه على الخلل فيه، وهو ما رواه فى حدّ زكاة الفطرة.

فليس دأبه (ع) أن يظهر تأويل الكتاب قبل ظهوره (ع) على يد أحد، سواء فى الغيبة الصغرى أو الكبرى، بل هذا مدّخر ومؤجّل إلى ظهوره، كما هو مفاد التوقيعات فى الغيبة الصغرى الصادرة عنه (ع)، ومفاد الروايات المستفيضة عن النبى (ص) وعن الأئمّة (عليهم السلام) من آبائه، أنه يحيى الكتاب ويقيمه بعد ظهوره، وكذلك سُنّة النبى (ص) ودارس حكم النبيين.

الانقطاع ومعنى الغيبة ...: ص: ۱۳

ولا يظنّن ظانّ أنّ معنى هذه العقيدة الضرورية عند الطائفة الإمامية من انقطاع الاتصال الرسمى المعتبر بالحجة (ع) يعنى جمود الحجة بن الحسن (ع) عن مهامه ودوره فى قيادة البشرية ومواصلة مهامه الرسالية، وأنه (ع) ناءٍ فى أقاصى البلاد لا يتصدى للأمور تاركاً الحبل على الغارب بينما يعبث بالأمر قوى الطغيان البشرى، بل لو ترك التصدى للأمور يوماً واحداً لساخت الأرض فساداً بأهلها، ولوقعت الحروب والبلايا فى الأصعدة المختلفة على البشرية، كما قال (ع) فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۴

التوقيع الشريف: «فإنّا نحيط علماً بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شىء من أخباركم.. إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء» («۱»)، بل هو (ع) يدبّر ويدير أمور البشرية جميعاً عبر أساليب خفية وأدوات غيبية منتظمة تحت الستار، لكن المقرر لتلك الإدارة أن لا تظهر إلى السطح والعلن فى عصر الغيبة قبل ظهوره (ع)، وأىّ مدّع فى العلن والعلانية يدّعى الاتصال به والارتباط معه (ع)، فهو دجل وألاعيب واحتيال للتغرير بالسذّج من الناس، فالغيبة والانقطاع لا تعنى انعدام حضوره (ع)، فى الساحة الاجتماعية والسياسية البشرية، بل تعنى انقطاع الاتصال من طرفنا ومن قبلنا باتجاهه (ع) لا انقطاعه هو (ع) عن التصرف فى أمورنا وأمور البشرية وفى المجتمعات المختلفة، كما قال تعالى: إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً، («۲») أى يحول أمام الفساد فى الأرض وسفك الدماء.

عقيدة الانتظار ...: ص: ۱۴

لا ـ ريب أن عقيدة انقطاع النيابة والسفارة فى الغيبة الكبرى لا ـ تعنى الانقطاع القلبى والمعنوى عنه (ع)، بل اللازم على المؤمن دوام قراءة الزيارات المختلفة الواردة فى الروايات التى يزار بها هو (ع)، والإكثار من الدعاء بالفرج، والقيام بالوظائف الشرعية فى فضاء وجو الاعتقاد بإمامة المهدى (ع)، والتولى له، والتبرؤ من خصومه ومناوئيه ومنكريه، ومعايشة هذا الاعتقاد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۵

والأمل بظهوره الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا، وأنه (ع) ولى الأمر كله، وبقية الله التى يقيم تعالى بها الحجة والهداية.

ولأجل ذلك فإن عقيدة الطائفة الإمامية فى صلاحية المرجعية للفقهاء، هى كونها نيابية عنه (ع) نيابة لا بالخصوص، يستمد منها المجتهد والفقيه الأحكام من الكتاب وسُنّة النبى (ص) وأهل بيته (عليهم السلام) عبر الروايات والأحاديث المروية عنهم (عليهم السلام)، كما يستمد بعض الصلاحيات للتصدى لبعض الأمور من المأذونية من قبله (ع) فى التوقيع الشريف: «أما الحوادث الواقعة،

فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا» («۱»).

التفقه فى الدين اعتصام من الضلال ...: ص: ۱۵

قال تعالى: فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («۲»).

وقال الإمام موسى بن جعفر (ع): «تفقّهوا فى دين الله، فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة فى الدين والدنيا، وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقّه فى دينه لم يرضَ الله له عملًا» («۳»).

وقال (ع): «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا» («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۱۶

وقال أبو عبد الله (ع): «تفقّهوا فى الدين، فإنه مَن لم يتفقّه فى الدين فهو أعرابى» («۱»).

وفى حديث آخر: «لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكّ له عملًا» («۲»).

وفى صحيح أبان بن تغلب، عن أبى عبد الله (ع): «لوددت لو أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتّى يتفقّهوا» («۳»).

وروى بشير الدهان عنه (ع): «لا خير فيمن لا يتفقّه من أصحابنا. يا بشير، إن الرجل منهم إذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه فى باب ضلالتهم وهو لا يعلم» («۴»).

وقال (ع): «الرواية لحديثنا يشدُّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد» («۵»).

وقال (ع): «إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه فى الدين» («۶»).

وفى حديث آخر: «الكمال كل الكمال التفقّه فى الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة» («۷»).

وفى آخر أيضاً: «كمال الدين طلب العلم والعمل به» («۸»).

وفى حديث قال (ع): «ألا لا خير فى عبادة لا فقه فيها» («۹»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۱۷

وقال (ع): «ما من أحد يموت أحبُّ إلى إبليس من موت فقيه» («۱»).

فمفاد هذه الأحاديث الشريفة أنّ الذى يدّعى الوصول إلى المقامات الروحيّة عبر الرياضات النفسيّة والاستعداد النفسى أو نحو ذلك، مهما كان متنسّكاً وأنه طوى الأوراد والأذكار والرياضات والختوم فى دورات عديدة وأربعينيّات كثيرة، إذا لم يتفقّه فى الدين والشريعة فهو أعرابى لا يزكّى الله تعالى له عملًا، كيف وهو لم يتعرّف على حدود الله، ومواطن رضاه، وموارد سخطه، إذ أنه ليس بنبىّ ولا رسول، فمن لا يتقيّد بحدود الشريعة كيف يتصور أنه على قرب منه تعالى، ومن ثَمَّ كان الفقيه وهو المبيّن والموضّح لحدود الشريعة من الكتاب والسُنّة أبغض شىء لإبليس؛ لأنه ببيان حدود الشريعة تفشل خطط وحيل إبليس وشبكات تسويلاته الروحية؛ ولأنّ التقيد بالشريعة هو ميزان الاستقامة، وأنّ مرمى ومطمع إبليس فى غوايته لكثير من الفِرَق والجماعات التى تتقمّص السلك الروحى وتدّعى الارتباط بمنابع الغيب، هو فسخ تلك الجماعات عن الالتزام بحدود الشريعة بارتكاب المحرّمات والتنصّل عن أداء الواجبات شيئاً فشيئاً، وبالتالى إغراؤها فى الانسلاخ عن دين خاتم الأنبياء (ص).

ومن هنا كان الفقه والتفقّه يوضّح معالم الدين وحدود الشريعة وحدود الطريق إلى الله تعالى وتمايزه عن حدود الطريق إلى الغواية والضلال، كما أن الفقه يقف سدّاً منيعاً أمام التأويلات الباطلة الضالّة لنصوص القرآن والحديث، فإنّ تلك الجماعات تعتمد ضمن وسائلها الإقناعيّة لجذب الناس إلى مسيرها على تأويلات لنصوص الدينية لا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۱۸

تستند إلى ميزان وضابطة سوى الدعاوى وميول الأهواء وادعاء المقامات الغيبية والارتباط بالغيب كى تنطلى على أفراد الجماعة، أن كل ما يقولونه هو إلهام غيبى وإيحاء لدنى لا يقبل النقاش والمسألة، وهو فوق الاستدلال والبحث والنقد..

نماذج قرآنيّة فى القدرة التكوينيّة لروّاد الضلال ...: ص: ١٨

على سبيل النبذة لا الاستقصاء:

منها: إبليس اللعين، فإنه كما يصفه القرآن الكريم بالتمكين الذى أعطاه الله له: يا بَنِى آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ («١»

).

وقال تعالى: وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِى الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً («٢»

).

وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا («٣»

)، وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ («۴»

).

وقال تعالى: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ («۵»

).

وقال تعالى: وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ («۶»

)، وغيرها من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٩

الآيات التى تتحدّث عن المكنة والقدرة التى أعطاها البارى تعالى لإبليس من التأثير على نفوس بنى آدم إلّا المخلَصين، وهى درجة من الملكوت لم ترقَ إليها القوى العظمى للدول البشرية عبر التاريخ إلى يومنا الحاضر، هذا مضافاً إلى تسخيره لمردة الشياطين والعفاريت جنوداً له ليسترقوا السمع ويراقبوا جمع البشرية من لدن آدم (ع) إلى يوم الوعد المعلوم.

ويبيّن أمير المؤمنين (ع) أن هذه المكنة والقدرة لم تُعطَ لإبليس اللعين جزافاً واعتباطاً، قال (ع): «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يدرى أمن سِنى الدنيا أم من سِنى الآخرة، عن كبر ساعة واحدة. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟ كلّا» («١»).

فهذه الستة آلاف سنة التى لا يُدرى أنها من سِنى الأرض أو من سِنى السماء التى عبد الله تعالى فيها، هى التى أوجبت الجزاء له بهذا التمكين، فهو قد ارتاض هذه المدّة ومضى حقباً فى الرياضة الروحية لكن ابتغى بها نتيجة بخسة، وهى التمكين فى دار الدنيا من سلطان الملكوت النازل، وهو فى الآخرة من الأخسرين.

ومنها: العفريت من الشياطين، قال تعالى: قالَ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ* قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ* قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى («٢»

)، فبيّن تعالى أن القدرة التى تمكّن منها العفريت نظير المكنة التى كانت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٠

لدى آصف بن برخيا وصى النبى سليمان (ع) صاحب علم من الكتاب فى بعض جهاتها، وإن كانت دونها بعض الشىء، مع أن العفريت هو من الشياطين المسخّرين للنبى سليمان (ع)، وهذه القدرة لم تكن سحراً وتخييلًا، بل قدرة حقيقية تتجلى بأن يأتى فى بضع دقائق بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين.

ومنها: بلعم بن باعورا، قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ* وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ («١»

).

والآية التى أوتيها بلعم بن باعورا هى حرف من الاسم الأعظم، كما وردت بذلك الروايات، والاسم الأعظم ليس قولًا باللسان يصوّت، بل هو الروح الأعظم، وإعطاء حرف منه يعنى الارتباط الروحى بدرجة من التأييد منه، ومع كلّ ذلك لم تكن نفس بلعم بن باعورا وشهوتها قد خمدت، بل تغلّبت فى النهاية عليه، وأرادت تسخير هذا الارتباط الروحى بالاسم الأعظم تحت إمرتها، فكانت العاقبة أن انسلخت نفس بلعم عن هذا الارتباط والتأييد، فرغم القدرة التكوينية والمقام الذى وصل إليه، إلّا أن ذلك لم يضمن عدم وقوعه فى الخطأ والمعصية، ولم يمنعه من الشطط والخطل.

ومن ثَمَّ قال جملة من المحققين من أهل المعرفة من الإمامية أن الشطط والشطحات التى تصيب وتعتور وتعرض على أهل الرياضات

الروحية دالّة وكاشفة عن عدم سيطرتهم على جبل النفس وأنانية الذات، ففرعونيته بدل أن تموت تزداد قوة بقوة الرياضات الخاطئة أو غير المتقيّدة بالشريعة، فالطريقة تكون بدون الشريعة طريقة شيطانية بدل أن تكون رحمانية، ومن ثَمَّ كان الفقه أمان من الزيغ والضلال لأصحاب الرياضات الروحية، كما هو أمان لبقية شرائح الأمّة عن الانحراف، وهو من معانى أن التمسك بالثقلين أمان عن ضلال الأمّة.

وفى الحقيقة أن دفائن طبقات النفس على تركيب غامض، فتجتمع ظواهر من الصفات الفضيلية العالية مع هذه الرذائل ذوات السوء الشديد، وإلى ذلك يشير ما رواه فى الاحتجاج عن الرضا (ع)، قال: قال على بن الحسين (ع): «إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت فى منطقه، وتخاضع فى حركاته، فرويداً لا يغرنَّكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها؛ لضعف نيته ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويداً لا يغرنَّكم، فإن شهوات الخلق مختلفة، فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتى منها محرّماً، فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغرنَّكم حتّى تنظروا ما عقدة عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثمّ لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله، وإذا وجدتم عقله متيناً فرويداً لا يغرنَّكم حتّى تنظروا أمع هواه يكون عقله، أو يكون مع عقله على هواه، وكيف محبّته للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإن فى الناس من خسر

الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتّى إذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبط عشواء ويقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه فى طغيانه، فهو يحلُّ ما حرَّم الله، ويحرّم ما أحلَّ الله، لا يبالى بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التى قد يتقى من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً» ... إلى أن قال: «ولكن الرجل كل الرجل، نعم الرجل، هو الذى جعل هواه تبعاً لأمر الله، وقواه مبذولة فى رضا الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عزّ الأبد من العزّ فى الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤدّيه إلى دوام النعيم فى دار لا تبيد ولا تنفد، وإن كثير ما يلحقه من سرائها إن اتّبع هواه

يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل، فتمسكوا به، وبسُنّته فاقتدوا، وإلى ربكم به فتوسلوا، فإنه لا ترد له دعوة، ولا تخيب له طلبة» («١»).

فمن ذلك ينبغى الالتفات إلى أن الرياضات الروحية تكسب النفس قدرات خارقة، كطى الأرض، وقراءة الضمير، والترائى فى منام الآخرين، والتصرّف فى تلك الرؤى، وقراءة الأعمال الماضية أو المستقبلية، وغيرها من قدرات النفس التى قد يطلق عليها علماء الروح والنفس الجدد المحدّثون: قوة التخاطر، والجلاء البصرى والسمعى، والتنويم المغناطيسى، وغيرها من قدرات وحركات الروح والاتصال مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٣

أرواح الموتى، وأنه لتحكى أفعال خارقة عن مرتاضى الهند أو فِرَق الصوفية المختلفة فى الصين وشرق آسيا وغيرها من المناطق، إلّا أن كل ذلك ليس علامة النجاة ورضا الرب تعالى، فإن موطن ذلك التقوى والطاعة له تعالى.

مفهوم العدالة يقلب إلى العصمة المكتسبة وذريعة التأويل ...: ص: ٢٣

ومن الأغاليط التى يردّدها مدّعو المقامات والمنازل الروحية، هو تفسير العدالة التى هى ملكة الاجتناب عن المعاصى فى السلوك العملى، بأن هذه الماهيّة هى عصمة مكتسبة، فيقلب عنوان العدالة إلى العصمة، وحيث لا يمكنهم دعوى أنها لدنّية بنصب من الشريعة، يختلقون لها مخرجاً كونها مكتسبة وأن العصمة قابلة للاكتساب، وليس بالضرورة أن تكون وهبية لدنية منه تعالى، وأن العصمة وإن كانت شرطاً فى المعصومين الأربعة عشر (النبى (ص) وأهل بيته (عليهم السلام))، إلّا أن ذلك لا يعنى حصرها فيهم، بل هى عامة قابلة للتحقق فى نوع البشر بالاكتساب، وأن العصمة الاكتسابية يكفى فيها العصمة فى العمل وإن لم تكن عصمة فى العلم، أى يكفى فيها العصمة العملية دون أن تكون عصمة علمية، إلى غير ذلك من الإطارات التى يصيغونها قوالب لا تنطلى إلّا على السذّج وعلى قليلى البضاعة العلمية.

مع أنه لو فرض اجتناب شخص عن المعاصى من لدن بلوغه إلى مماته فليس ذلك يخرجه عن حدّ العدالة، ويتجاوز به إلى حدّ العصمة، وأىّ فرق بين الماهيّتين والمعنيين حينئذٍ، ثمّ أنه كيف يعقل انفكاك العصمة العملية عن العلمية، وهل يعقل لمن يضلُّ الطريق أن تكون له

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٤

عصمة يمتنع عليه الخطأ فى العمل، مع أن علماء الإمامية فى علم الكلام قد أشبعوا البحث فى أن العصمة العملية وليدة العصمة العلمية، والعصمة تعنى امتناع صدور المعصية من المعصوم وقوعاً، وإن لم تكن ممتنعة منه إمكاناً، وهذا بخلاف العدالة، فإنه وإن اجتنب المعاصى طيلة حياته إلّا أنه لا يمتنع منه وقوع وصدور المعصية.

هذا مع أن العصمة تلازم الحجية الرسمية على الآخرين، فكيف يكون الشخص معصوماً ولا يكون حجة بذاته على الآخرين وينصُّ الشرع الحنيف على لزوم اتّباعه.

ومن هذه الدعوى يتطوّر الحال عند مدّعى المنازل الروحيّة إلى دعاوى أكثر فأكثر، ويتطوّر بهم الحال إلى مزالق يخالفون بها الضرورات الشرعيّة تحت ذريعة التأويل الذى يفتحون بابه تغطية لتلك المخالفات، كما حصل ذلك لكلّ الفِرَق التى انحرفت عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام).

روى الكشّى بسنده عن الصادق قوله (ع): «قوم يزعمون أنّى لهم إمام، ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله كلّما سترت ستراً هتكوه، هتك الله ستورهم، أقول كذا، يقولون إنما يعنى كذا، إنما أنا إمام من أطاعنى» («١»).

وروى عنه (ع) («٢») أنه قال عن أبى الخطّاب الذى انحرف بعد أن كان من أصحاب السرّ كبلعم بن باعورا، حين دخل ومعه سبعون

رجلًا: «ألا اخبركم بفضائل المسلم»، فلا أحسب أصغرهم إلّا قال: بلى جُعلت فداك، فقلت: «من فضائل المسلم أن يقال: فلان قارئ لكتاب الله (عزوجل)، وفلان ذو حظّ من ورع، وفلان يجتهد فى عبادته لربّه، فهذه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٥

فضائل المسلم، ما لكم وللرياسات، إنما المسلمون رأس واحد، إيّاكم والرجال، فإن للرجال مهلكة، فإن أبى يقول: إن شيطاناً يقال له المذهب يأتى فى كل صورة، إلّا أنه لا يأتى فى صورة نبى ولا وصى نبى، ولا أحسب إلّا وقد تراءى لصاحبكم، فاحذروه، فبلغنى أنهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم إنّه لا يهلك على الله إلّا هالك».

محمّد السند (١١/ ذى القعدة/ ١۴٢۴ ه-)

يوم ميلاد الإمام الرضا (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٧

تنويع البحث ... ص: ٢٧

الحمد لله الذى يهدى من يشاء ويضلُّ من يشاء وله الحجة البالغة، والصلاة والسلام على محمّد خاتم أنبيائه وسيد رسله الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وعلى آله الأوصياء الهداة وخاتمهم المهدى المنتظر الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

وبعد، فقد قال جلَّ وعلا: أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ («١»)، «يفتنون كما يفتن الذهب ويخلصون كما يخلص الذهب» («٢») كما قال الكاظم (ع)، «ولا بدَّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا، وسيخرج من الغربال خلق كثير» («٣»)، كما جاء عن الصادق (ع).

وعن الباقر (ع) أنه قال: «لتمحّصنَّ يا شيعة آل محمّد تمحيص الكحل فى العين، وإن صاحب العين يدرى متى يقع الكحل فى عينه ولا يعلم متى يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل على شريعةٍ من أمرنا ويمسى وقد خرج منها، ويمسى على شريعة من أمرنا، ويصبح وقد خرج

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٨

منها» («١»). وفى خبر آخر: «والله لتمحّصنَّ، والله لتطيرن يميناً وشمالًا حتّى لا يبقى منكم إلّا كل امرئ أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان فى قلبه وأيّده بروح منه». وفى رواية أخرى عنهم (عليهم السلام): «حتّى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلّا الأندر فالأندر» («٢»). وفى رواية: «ولا يكون الذى تمدّون إليه أعناقكم (وهو ظهور الحجة (ع)) حتّى يشقى من شقى ويسعد من سعد» («٣»).

وإن من تلك الفتن العمياء هى توالى المدّعين للنيابة الخاصة (الوساطة) والسفارة فى الغيبة الكبرى بأساليب وأشكال مختلفة وتسميات متعدّدة يموّهون بها على مختلف أصناف الناس. فتارة تحت غطاء التشرف والفوز بلقاء الحجة، وأخرى التظاهر بالتقى والورع والوصول إلى مقام الأبدال والأوتاد، وثالثة الرؤيا فى المنام، ورابعة السحر والشعبذة وإظهاره كمعجزة وكرامة، وخامسة المكاتبة و... و...

ومن ثَمَّ انتظم البحث فى هذه الصفحات بعداد تلك الشُبَه («۴»)، تنبيهاً على زيفها وإبانة لزيغها وإلّا فانقطاع السفارة فى الغيبة الكبرى كالنار على المنار وكالشمس فى رابعة النهار، حتّى أن الشيخ أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه («۵») قال: (إنّ عندنا (أى الطائفة الإمامية) أن كل من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٩

ادّعى الأمر (أى السفارة) بعد السمرى («١») (آخر النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى) فهو كافر منمّس (محتال) ضال مضل) («٢»)،

فلولا التلبيس بالأقنعة المتلوّنة والالتواء بالطرق المعوجّة لما كانت حاجة للخوض فى ذلك. ومنوال الجزء الأوّل من الكتاب كما يلى:

الفصل الأوّل: فى الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة.

الفصل الثانى: فى كون انقطاع النائب الخاص للإمام الحجة (ع) عقيدة من ضروريات الإمامية الإثنى عشرية، وفيه عشرة أمور:

الأمر الأوّل: معنى النيابة.

الأمر الثانى: كلمات علماء الطائفة رضوان الله عليهم.

الأمر الثالث: النيابة العامة للفقهاء.

الأمر الرابع: منابع الشريعة.

الأمر الخامس: الرؤيا ليست مصدراً للتشريع.

الأمر السادس: نبذة من أحوال النواب الأربعة (رض) فى الغيبة الصغرى.

الأمر السابع: ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية («٣») لعنهم الله.

الأمر الثامن: ثواب الثبات والتمسّك بالدين فى الغيبة الكبرى وشدّة المحنة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٣٠

الأمر التاسع: تفسير الكتاب الوارد من الناحية المقدسة على الشيخ المفيد وتشرف عدّة من أساطين الفقه والعلم بلقائه (ع).

الأمر العاشر: من هم الأبدال والأوتاد؟

الفصل الثالث: فى الفِرَق التى انحرفت عن الطائفة الإمامية وكيفية ذلك.

الفصل الرابع: فى تاريخ البابية فى إيران.

الخاتمة: وفيها ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل: فى خروج الدجّال.

الأمر الثانى: ظهور الحجة (ع) وأصحابه.

الأمر الثالث: فى ذم الجهل ومدح العلم.

هذا ما وسع المجال لسطره وبالله التوفيق.

أما الجزء الثانى فهو كما يلى:

الفصل الأوّل: العقول والخواطر.

الفصل الثانى: منظومة المعارف الدينية.

الفصل الثالث: فتنة البصيرة.

الفصل الرابع: حقيقة ومراتب الحجج.

الفصل الخامس: القواعد الرقابية فى المعرفة.

الفصل السادس: النيابة الخاصة.

الفصل السابع: حقيقة النيابة الخاصة والسفارة.

الفصل الثامن: مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط.

الفصل التاسع: التوقيت والظهور.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٣٣

الفصل الأوّل: فى الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ... ص: ٣٣

لمّا كان طريق إثبات النبوة هى المعجزة التى هى من قِبل الله تعالى وهى تفترق عن السحر كان من اللازم معرفة كلٍ منهما بنحو عميق ودقيق، كى لا يلتبس الأمر ويعلم المحق من المبطل والصادق من الكاذب، سأل ابن السكيت، الرضا (ع) بعدما بيّن له علل وجه معجزات الأنبياء: فما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال (ع): «العقل تعرف به الصادق على الله فتصدّقه والكاذب على الله فتكذّبه»، فقال ابن السكيت: هذا والله الجواب («١»).

وسأل أبو بصير، الصادق (ع): لأىّ علّة أعطى الله (عزوجل) أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة؟ فقال: «ليكون دليلًا على صدق من أتى به والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلّا أنبياءه ورسله وحججه ليُعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب» («٢»).

قال المحقق الطوسى («٣») فى التجريد: (وطريق معرفة صدقه (النبى (ص)) ظهور المعجزة على يده وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفى ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى) («۴»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٣۴

وقال العلامة الحلّى («١») فى شرحه للتجريد فى ذيل العبارة: (الثبوت والنفى سواء فى الإعجاز فإنه لا فرق بين قلب العصا حيّة وبين منع القادر عن رفع أضعف الأشياء، وشرطنا خرق العادة لأن فعل المعتاد ونفيه لا يدلُّ على الصادق، وقلنا: مع مطابقة الدعوى لأن من يدّعى النبوة ويسند معجزته إلى إبراء الأعمى فيحصل له الصمم مع عدم برء الأعمى لا يكون صادقاً.

ولا بدَّ فى المعجزة من شروط أحدها: أن يعجز عن مثله أو عمّا يقاربه الأمّة المبعوث إليها. الثانى: أن يكون من قِبل الله تعالى أو بأمره. الثالث: أن يحدث عقيب دعوى المدّعى للنبوة أو جارياً مجرى ذلك ونعنى بالجارى مجرى ذلك أن يظهر دعوة النبى فى زمانه... («٢») الخامس: أن يكون خارقاً للعادة) («٣»).

وقال المحقق الطوسى فى التجريد أيضاً: (المسألة الخامسة فى الكرامات: وقصة مريم وغيرها تعطى جواز ظهورها [أى المعجزة] على الصالحين) («۴»)، وقال العلامة الحلّى فى شرحه للعبارة: (استدلَّ المصنف (رض) بقصة مريم، فإنّها تدلُّ على ظهور معجزات عليها وغيرها مثل قصة آصف وكالأخبار المتواترة المنقولة عن على وغيره من الأئمّة (عليهم السلام)).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٣۵

وقال المحقق الطوسى بعد ذلك: (ولا يلزم خروجه عن الإعجاز ولا النفور ولا عدم التميز ولا إبطال دلالته ولا العمومية).

وقال العلامة فى شرحه: (إن المعجزة مع الدعوى مختصٌّ بالنبى (ص) فإذا ظهرت المعجزة على شخص فإما أن يدّعى النبوة أو لا، فإن ادّعاها علمنا صدقه إذ إظهار المعجزة على يد الكاذب قبيح عقلًا، وإن لم يدّع النبوة لم يحكم بنبوته، فالحاصل أن المعجزة لا تدل على النبوة ابتداءً، بل تدلُّ على صدق الدعوى فإن تضمّنت الدعوى النبوة دلَّت المعجزة على تصديق المدّعى فى دعواه ولا يلزم إظهار المعجزة على كل صادق إذ نحن إنما نجوّز إظهارها على مدعى النبوة أو الصالح إكراماً لهما وتعظيماً وذلك لا يحصل لكل مخبر بصدق وإنّ امتياز النبى (ص) يحصل بالمعجزة واقتران دعوى النبوة، وهذا شىء يختصُّ به دون غيره ولا يلزم مشاركة غيره له فى المعجز مشاركته له فى كل شىء، وكما لا يلزم الإهانة وانحطاط مرتبة الإعجاز مع ظهور المعجز على جماعة من الأنبياء كذا لا يلزم الإهانة مع ظهوره على الصالحين) («١»).

وقال المحقق القمى (رض) («٢») فى رسالة أصول الدين: (الإمام يعرف بالمعجزة فكل من ادّعى الإمامة وأتى بالمعجزة فإنّما تدلُّ على صدقه مثل ما مضى فى بعث النبوة) («٣»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٣۶

وقال العلامة الحلّى فى كتاب أنوار الملكوت ما حاصله: (المعجز أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّى، والتقييد بخارق للعادق ليتميّز

المعجز عن غيره، وهذا القيد يُكتفى به عن التقييد بعدم المعارضة ليتميز به عن السحر والشعبذة إذ السحر والشعبذة ليس بخارق للعادة وإن كانت خفية على أكثر الناس. وقيّدنا الخارق للعادة بالاقتران بالتحدى ليتميز المعجز عن الكرامات) («١»).

وقال الحكيم المتبحّر محمّد مهدى النراقى («٢») فى كتابه (أنيس الموحدين): (كل من ادّعى النبوة أو الإمامة وصدر منه أمر خارق فهو صاحب كرامة) («٣»)، ثمّ قال: (والفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة هو أن السحر والشعبذة من الأمور العادية، ولكن أسبابهما تخفى على أكثر الناس، وهذا بخلاف المعجزة فهى ليست من الأمور العادية ولا يوجد لها سبب مطلقاً) («٤»).

وتوضيح الكلام فى هذا المقام، أن الأمور العادية التى جرت عادةُ الله تعالى على وقوعها على قسمين:

الأوّل: ما سببه ظاهر وهو يحصل إمّا من أسبابٍ أرضية مثل تأثير بعض الأغذية والأدوية، وصيرورة النطفة إنساناً ونحو ذلك من الأسباب الأرضية التى تتفق، وإما تحصل من أسباب سماوية مثل الحرارة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٣٧

الحاصلة من الشمس، وإما تحصل من تركّب الأسباب مثل تأثير الدواء المتناول فى جو هوائى خاص، ومثل تأثير الدعاء المكتوب فى وقت خاص، أو الذى يقرأ فى وقت خاص، وهذه كلها من الأمور التى جرت عادة الله تعالى على وقوعها بأسبابٍ متوفرة ومتهيّئة لأكثر الناس.

الثانى: هى التى تحصل أيضاً إما من أسبابٍ أرضية أو سماوية أو كليهما، ولكن أسبابها مخفية على أكثر الناس، مثل السحر والشعبذة والطلسمات وعلم الحيل، والنيرنجات، وحيث إن لها أسباباً فالتعلّم والتعليم حاصل فيها، أى إن كل من يعلم تلك العلوم يمكن له أن يعلّمها غيرَه، بخلاف المعجزة، التى ليس لها سبب مطلقاً، لأنه من المعلوم أن شقّ القمر مثلًا لم يقع بسبب وحيلة ما، بل هو عطية إلهية يعطيها الله تبارك وتعالى لمن يشاء، ومن ذلك لا يستطيع صاحب المعجزة أن يعلّمها غيرَه حيث إنه ليس لها علّة غير إرادة الله تعالى، فالتعليم فى المعجزة لا مجال له.

إذاً اتضح أن المعجزة خارقة للعادة.

وأما السحر والكهانة («١») والشعبذة فليست بخارقة للعادة، بل هى أمور عادية أسبابها تخفى على أكثر الناس.

والتفريق بين المعجزة والسحر والشعبذة على من له غَرفة من المعارف والعلوم فى نهاية السهولة حيث إنه يتمكن من العلم بأن الأمر له سبب أم لا، وأرباب السحر أسرع معرفة لذلك من بقية المتعلّمين، ولذلك أوّل من آمن بالنبى موسى (ع) هم السحرة. ولكن هذا الفرق

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٣٨

يشكل على عامة الناس الاهتداء إليه فعليهم بمتابعة العلماء كى يشرق نور الحقيقة فى قلوبهم.

نعم، هنالك فرق آخر بين صاحب المعجزة والساحر يمكن لعامة الناس معرفته وهو أن صاحب المعجزة مهما طلب منه («١») أمر خارق للعادة للاحتجاج به فإنه قادر على إظهاره مثلما طلب جماعة من المعاندين من نبينا (ص) كثيراً من الأمور الخارقة للعادة فأظهرها لهم، وكذلك بقية الأنبياء (عليهم السلام).

وهذا بخلاف الساحر، فإن عمله منحصر فى فعل خاص قد تعلّمه، وإذا طلب منه أمر خارق للعادة آخر فإنه يعجز عن ذلك، ومن ذلك لم يرَ ولم يسمع أن ساحراً كان يأتى بكل ما يطلب منه.

أقول: فتحصّل مما تقدّم من كلمات الأعلام أن المعجزة أمر خارق للعادة يأتى بها من يدّعى النبوّة أو الإمامة إثباتاً لصدقه، وأن معجزات الأنبياء تتحدّى البشرية على مرّ العصور إلى يوم القيامة بأن يأتوا بمثلها، فإخراج النبى صالح (ع) للناقة من الجبل بانشقاقه تعجز البشرية مهما تطوّرت علومهم عن ذلك، وكذلك قلب العصا حيّة تسعى تلتقم سحر وإفك كل ساحر من النبى موسى (ع)، وكذلك إحياء الموتى وإبراء الأعمى والأكمه والأبرص من النبى عيسى (ع)، وكذلك شقّ القمر والقرآن الخالد لنبينا الأعظم (ص).

إذاً لا ـ بدَّ من ادّعاء، وأمر خارق للعادة، كى يتحقق معنى المعجزة، ومن هنا يتضح أن كرامات أولياء الله الصالحين لا تسمى معجزةً، لأنهم لا يدّعون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٣٩

لأنفسهم شيئاً، ولو ادعوا ما ليس لهم لما أعطاهم الله تلك الكرامات، وهذه السُنّة من الله تعالى حكمة بالغة كى لا تبطل حججه على عباده، ويتم الاحتجاج عليهم ببعث الرسل وبإقامة الأوصياء خلفاء الرسل.

قال العلامة الطباطبائى («١») فى تفسيره عند الكلام حول قدرة الأنبياء والأولياء: (الناس فى جهل بمقام ربهم وغفلة عن معنى إحاطته وهيمنته، فهم مع ما تهديهم الفطرة الإنسانية إلى وجوده وأحديته يسوقهم الابتلاء بعالم المادة والطبيعة والتوغل فى الأحكام والقوانين الطبيعية ثمّ السنن والنواميس الاجتماعية والأنس بالكثرة والبينونة إلى قياس العالم الربوبى بما ألفوا من عالم المادة، فالله سبحانه عندهم مع خلقه كجبار من جبابرة البشر مع عبيده ورعيته ... لكن البراهين اليقينية تقتضى بفساد ذلك كله، فإنها تحكم بسريان الفقر والحاجة إلى الموجودات الممكنة فى ذواتها وآثار ذواتها وإذا كانت الحاجة إليه تعالى فى مقام الذات استحال الاستقلال عنه والانعزال منه على الإطلاق، إذ لو فرض استقلال لشىء عنه تعالى فى وجوده أو شىء من آثار وجوده بأىّ وجه فرض فى حدوث أو بقاء استغنى عنه من تلك الجهة وهو محال.

فكل ممكن غير مستقل فى شىء من ذاته وآثار ذاته، والله سبحانه هو الذى يستقل فى ذاته وهو الغنى الذى لا يفتقر فى شىء ولا يفقد شيئاً من الوجود وكمال الوجود كالحياة والقدرة والعلم فلا حدَّ له يتحدد به...

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٤٠

وعلى ما تقدم كل ما للممكن من الوجود والحياة والقدرة والعلم متعلق الوجود به تعالى غير مستقل منه بوجه، والاستقلال يبطل الحاجة الإمكانية ولا فرق فيه بين الكثير والقليل كما عرفت، هذا من جهة العقل.

وأما من جهة النقل فالكتاب الإلهى وإن كان ناطقاً باختصاص بعض الصفات والأفعال به تعالى كالعلم بالمغيبات والإحياء والإماتة والخلق كما فى كثير من الآيات ولكنها جميعها مفسّرة بآيات أخر كقوله: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ («١»)، قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ («٢»)، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي («٣»)، وانضمام الآيات إلى الآيات لا يدع شكاً فى أن المراد بالآيات النافية اختصاص هذه الأمور به تعالى بنحو الأصالة والاستقلال والمراد بالآيات المثبتة إمكان تحققها فى غيره تعالى بنحو التبعية وعدم الاستقلال.

فمن أثبت شيئاً من العلم المكنون أو القدرة الغيبية أعنى العلم من غير طريق الفكر والقدرة من غير مجراها العادى الطبيعى لغيره تعالى من أنبيائه وأوليائه كما وقع كثيراً فى الأخبار والآثار ونفى معه الأصالة والاستقلال بأن يكون العلم والقدرة مثلًا له تعالى وإنما ظهر ما ظهر منه بالتوسيط ووقع ما وقع منه بإفاضته وجوده فلا حجر عليه، ومن أثبت شيئاً من ذلك على نحو الأصالة والاستقلال طبق ما يثبته الفهم العامى وإن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٤١

أسنده إلى الله سبحانه وفيض رحمته لم يخل من غلو وكان مشمولًا لمثل قوله تعالى: لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ («١»).

وقال فى تفسيره فى ذيل قوله تعالى: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ («٢»): (إن الآية بسياقها تتعرض لشأن آخر من شؤون اليهود وهو تداول السحر بينهم وأنهم كانوا يستندون فى أصله إلى قصة معروفة أو قصتين ... أن اليهود كما يذكره عنهم القرآن أهل تحريف وتغيير فى المعارف والحقائق فلا ـ يؤمنون ولا ـ يؤمن من أمرهم أن يأتوا بالقصص التاريخية

محرّفة مغيّرة على ما هو دأبهم فى المعارف يميلون كل حين إلى ما يناسبه من منافعهم فى القول والفعل.

وفيما يلوح من الآية أن اليهود كانوا يتناولون بينهم السحر وينسبونه إلى سليمان زعماً منهم أن سليمان (ع) إنما ملك الملك وسخّر الجن والإنس والوحش والطير وأتى بغرائب الأمور وخوارقها بالسحر الذى هو بعض ما فى أيديهم وينسبون بعضه الآخر إلى الملكين ببابل هاروت وماروت.

فردَّ عليهم القرآن بأن سليمان (ع) لم يكن يعمل بالسحر، كيف والسحر كفر بالله وتصرف فى الكون على خلاف ما وضع الله العادة عليه وأظهره على خيال الموجودات الحية وحواسها؟ ولم يكفر سليمان (ع) وهو نبى معصوم وهو قوله تعالى: وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۴٢

يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ («١»)، وقوله تعالى: وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ («٢»).

فسليمان (ع) أعلى كعباً وأقدس ساحة من أن ينسب إليه السحر والكفر وقد استعظم الله قدره فى مواضع من كلامه فى عدّة من السور المكّية النازلة قبل هذه السورة ... إلى أن قال:

وفيها أنه كان عبداً صالحاً ونبياً مرسلًا آتاه الله العلم والحكمة ووهب له من الملك ما لا ينبغى لأحد من بعده فلم يكن بساحر، بل هو من القصص الخرافية والأساطير التى وضعتها الشياطين وتلوها وقرأوها على أوليائهم من الإنس وكفروا بإضلالهم الناس بتعليم السحر وردَّ عليهم القرآن فى الملكين ببابل هاروت وماروت بأنه وإن نزل عليهما ذلك ولا ضير فى ذلك لأنه فتنة وامتحان إلهى كما ألهم قلوب بنى آدم وجوه الشر والفساد فتنة وامتحاناً وهو من القدر، فهما وإن أنزل عليهما السحر إلّا أنهما ما كانا يعلمان من أحد إلّا ويقولان له: إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال ما تتعلمه من السحر فى غير مورده كإبطال السحر والكشف عن بغى أهله وهم مع ذلك يتعلمون منهما ما يفسدون به أصلح ما وضعه الله فى الطبيعة والعادة ... إلى أن قال: لأن العقل لا يرتاب فى أن السحر أشأم منابع الفساد فى الاجتماع الإنسانى) («٣»).

وفى تفسير العياشى والقمى فى قوله تعالى: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۴٣

الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ («١»)، عن الإمام الباقر (ع) فى حديث: «فلمّا هلك سليمان وضع إبليس السحر وكتبه فى كتاب ثمّ طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود ذخائر كنوز العلم من أراد كذا وكذا فليعمل كذا وكذا، ثمّ دفنه تحت سريره ثمّ استتاره لهم فقرأه فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلّا بهذا، وقال المؤمنون: بل هو عبد الله ونبيّه، فقال الله جلَّ ذكره: وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ» («... ٢»).

(وإسناد الوضع والكتابة والقراءة إلى إبليس لا ينافى استنادها إلى سائر الشياطين من الجن والإنس لانتهاء الشر كله إليه، وانتشاره منه لعنه الله إلى أوليائه بالوحى والوسوسة وذلك شائع فى لسان الأخبار) («٣»).

ثمّ قال (رض) تحت عنوان (بحث فلسفى): (من المعلوم وقوع أفعال خارقة للعادة الجارية للمشاهدة والنقل، فقلّما يوجد منّا من لم يشاهد شيئاً من خوارق الأفعال أو لم ينقل إليه شىء من ذلك قليل أو كثير إلّا أن البحث الدقيق فى كثير منها يبين رجوعها إلى الأسباب الطبيعية العادية، فكثير من هذه الأفعال الخارقة يتقوّى بها أصحابها بالاعتياد والتمرين كأكل السموم وحمل الأثقال والمشى على حبل ممدود فى الهواء إلى غير ذلك، وكثير منها تتكى على أسباب طبيعية مخفية على الناس مجهولة لهم كمن يدخل النار ولا يحترق بها من جهة طلاية الطلق ببدنه أو يكتب كتاباً لا خط عليه ولا يقرأه إلّا صاحبه وإنما كتب بمائع لا يظهر إلّا عرض لكتاب على النار إلى غير ذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۴۴

وكثير منها يحصل بحركات سريعة تخفى على الحس لسرعتها فلا يرى الحس إلّا أنه وقع من غير سبب طبيعى كالخوارق التى يأتى بها أصحاب الشعبذة فهذه كلّها مستندة إلى أسباب عادية مخفية على حسّنا أو غير مقدورة لنا، لكن بعض هذه الخوارق لا يحلل إلى الأسباب الطبيعية الجارية على العادة كالإخبار عن بعض المغيبات، وخاصة ما يقع منها فى المستقبل وكأعمال الحب والبغض والعقد والحل والتنويم والتمريض وعقد النوم والإحضار والتحريكات بالإرادة مما يقع من أرباب الرياضات وهى أمور غير قابلة للإنكار، شاهدنا بعضاً منها ونُقل إلينا بعض آخر نقلًا لا يطعن فيه، وهو ذا يوجد اليوم من أصحابها بالهند وإيران والغرب جماعة يشاهد منهم أنواع من هذه الخوارق.

والتأمل التام فى طرق الرياضات المعطية لهذه الخوارق والتجارب العملية فى أعمالهم وإرادتهم يوجب القول بأنها مستندة إلى قوة الإرادة والإيمان بالتأثير على تشتت أنواعها، فالإرادة تابعة للعلم والإذعان السابق عليه، فربما توجد على إطلاقها وربما توجد عند وجود شرائط خاصة ككتابة شىء خاص بمداد خاص فى مكان خاص فى بعض أعمال الحب والبغض أو نصب المرآة حيال وجه طفل خاص عند إحضار الروح أو قراءة عوذة خاصة إلى غير ذلك فجميع ذلك شرائط لحصول الإرادة الفاعلة.

فالعلم إذا تم علماً قاطعاً أعطى للحواس مشاهدة ما قطع به ويمكنك أن تختبر صحة ذلك بأن تلقن نفسك أن شيئاً كذا أو شخصاً كذا حاضر عندك تشاهده بحاستك ثمّ تتخيله بحيث لا تشكّ فيه ولا تلتفت إلى عدمه ولا إلى شىء غيره فإنك تجده أمامك على ما تريد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۴۵

وربما توجد فى الآثار معالجة بعض الأطباء الأمراض المهلكة بتلقين الصحة على المريض، وإذا كان الأمر على هذا فلو قويت الإرادة أمكنها أن تؤثر فى غير الإنسان المريد نظير ما توجده فى نفس الإنسان المريد إما من غير شرط وقيد أو مع شىء من الشرائط.

ويتبيّن بما مرَّ أمور: أحدها: أن الملاك فى التأثير تحقق العلم الجازم من صاحب خرق العادة وأما مطابقة هذا العلم للخارج فغير لازم كما كان يعتقده أصحاب تسخير الكواكب من الأرواح المتعلق بالأجرام الفلكية ويمكن أن يكون من هذا القبيل الملائكة والشياطين الذى يستخرج أصحاب الدعوات والعزائم أسماءهم ويدعون بها على طرق خاصة عندهم، وكذلك ما يعتقده أصحاب إحضار الأرواح من حضور الروح فلا دليل لهم على أزيد من حضورها فى خيالهم أو حواسهم دون الخارج وإلّا لرآه كل من حضر عندهم وللكل حس طبيعى.

وبه تنحل شبهة أخرى فى إحضار روح من هو حى فى حال اليقظة مشغول بأمره من غير أن يشعر به والواحد من الإنسان ليس له إلّا روح واحدة، وبه تنحل أيضاً شبهة وهى أن الروح جوهر مجرد لا نسبة له إلى زمان ومكان دون زمان ومكان، وبه تنحل أيضاً شبهة أخرى ثالثة وهى أن الروح الواحدة ربما تحضر عند أحد بغير الصورة التى تحضر بها عند آخر، وبه تنحل شبهة رابعة وهى أن الأرواح ربما تكذب عند الإحضار فى أخبارها وربما يكذب بعضها بعضاً. فالجواب عن الجميع: أن الروح إنما تحضر فى مشاعر الشخص المحضر لا فى الخارج منها على حدّ ما نحسُّ بالأشياء المادية الطبيعية.

ثانيها: أن صاحب هذه الإرادة المؤثرة ربما يعتمد فى إرادته على

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۴۶

قوة نفسه وثبات أنيته كغالب أصحاب الرياضات فى إراداتهم فتكون لا محالة محدودة القوة مقيدة الأثر عند المريد وفى الخارج، وربما يعتمد فيه على ربه كالأنبياء والأولياء من أصحاب العبودية لله وأرباب اليقين بالله فهم لا يريدون شيئاً إلّا لربهم وبربهم وهذه إرادة ظاهرة لا استقلال للنفس التى تطلع هذه الإرادة منها بوجه ولم تتلوَّن بشىء من ألوان الميول النفسانية ولا اتكاء لها إلّا على الحق فهى إرادة ربانية غير محدودة ولا مقيّدة والقسم الثانى إن أثرت فى مقام التحدى كغالب ما ينقل من الأنبياء سمّيت آية معجزة وإن تحققت فى غير مقام التحدى سمّيت كرامة أو استجابة دعوة إن كانت مع دعاء، والقسم الأوّل إن كان بالاستخبار والاستنصار من جن

أو روح أو نحوه سمّى كهانة وإن كان بدعوة أو عزيمة أو رقية أو نحو ذلك سمّى سحراً.

ثالثها: إن الأمر حيث كان دائراً مدار الإرادة فى قوتها وهى على مراتب من القوة والضعف أمكن أن يبطل بعضها أثر البعض كتقابل السحر والمعجزة أو أن لا- يؤثر بعض النفوس فى بعض إذا كانت مختلفة فى مراتب القوة وهو مشهود فى أعمال التنويم والإحضار) («١»).

ثمّ قال (رض) تحت عنوان (بحث علمى): (العلوم الباحثة عن غرائب التأثير كثير والقول الكلى فى تقسيمها وضبطها عسيرة جدّاً، وأعرف ما هو متداول بين أهلها ما نذكره:

منها: السيمياء وهو العلم الباحث عن تمزيج القوى الإرادية مع القوى الخاصة المادية للحصول على غرائب التصرف فى الأمور الطبيعية

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۴٧

ومنه التصرف فى الخيال المسمى بسحر العيون، وهذا الفن من أصدق مصاديق السحر.

ومنها: الليمياء وهو العلم الباحث عن كيفية التأثيرات الإرادية باتصالها بالأرواح القوية العالية كالأرواح الموكلة بالكواكب والحوادث وغير ذلك بتسخيرها أو باتصالها واستمدادها من الجن بتسخيرهم وهو فن التسخيرات.

ومنها: الهيمياء وهو العلم الباحث عن تركيب قوى العالم العلوى مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثير وهو الطلسمات فإن للكواكب العلوية والأوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية كما أن العناصر والمركبات وكيفياتها الطبيعية كذلك، فلو ركبت الأشكال السماوية المناسبة لحادثة من الحوادث كموت فلان وحياة فلان وبقاء فلان مثلًا مع الصورة المادية المناسبة أنتج ذلك الحصول على المراد وهذا معنى الطلسم.

ومنها: الريمياء وهو العلم الباحث عن استخدام القوى المادية للحصول على آثارها بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقة بنحو من الأنحاء وهو الشعبذة، وهذه الفنون الأربعة مع فن خامس يتلوها وهو الكيمياء الباحث عن كيفية تبديل صور العناصر بعضها إلى بعض كانت تسمى عندهم بالعلوم الخمسة الخفية.

قال شيخنا البهائى: أحسن الكتب المصنّفة التى فى هذه الفنون كتاب رأيته ببلدة هرات اسمه (كلّه سر) وقد ركّب اسمه من أوائل أسماء هذه العلوم الكيمياء والليمياء والهيمياء والسيمياء والريمياء، انتهى ملخص كلامه. ومن الكتب المعتبرة فيها خلاصة كتب بلياس ورسائل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۴٨

الخسر وشاهى والذخيرة الإسكندرية والسر المكتوم للرازى والتسخيرات للسكاكى وأعمال الكواكب السبعة للحكيم طمطم الهندى.

ومن العلوم الملحقة بما مرَّ علم الأعداد والأوفاق وهو الباحث عن ارتباطات الأعداد والحروف للمطالب ووضع العدد أو الحروف المناسبة للمطلوب فى جداول مثلثة أو مربعة أو غير ذلك على ترتيب مخصوص.

ومنها: الخافية وهو تكسير حروف المطلوب أو ما يناسب المطلوب من الأسماء واستخراج أسماء الملائكة والشياطين الموكلة بالمطلوب والدعوة بالعزائم المؤلفة منها للنيل على المطلوب، ومن الكتب المعتبرة فيها عندهم كتب الشيخ أبى العبّاس التونى والسيد حسين الأخلاطى وغيرهما.

ومن الفنون الملحقة بها الدائرة اليوم التنويم المغناطيسى وإحضار الأرواح وهما كما مرَّ من تأثير الإرادة والتصرف فى الخيال، وقد ألّف فيها كتب ورسائل كثيرة واشتهار أمرها يغنى عن الإشارة إليها ههنا والغرض مما ذكرنا على طوله إيضاح انطباق ما ينطبق منها على السحر أو الكهانة) («١»)، انتهى كلامه.

أقول: والغرض من هذا التطويل فى النقل التنبيه على مدى وكثرة العلوم الغريبة الباحثة حول الأفعال التى بظاهرها خارقة للعادة ولكنها فى الحقيقة عادية لمن مارس وتعلّم تلك العلوم أو تلك الرياضات الباعثة على تقوية الإرادة وتأثيرها وأن لهذه الأفعال أسباباً عادية

ولكنها خفية على أكثر الناس فيتوهّم الجاهل أنها معاجز أو كرامات لصاحب تلك الأفعال والأمور.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٤٩

وفى هذا العصر قد خصصت الجامعات والمعاهد العلمية الحديثة كليات وتخصصات مرتبطة بهذه العلوم كالتنويم المغناطيسى وعلم التسخير وإحضار الأرواح والتنبؤ والإخبار بالمغيبات المستقبلية الأرضية ونحو ذلك كثير ومن أراد الإطلاع فليراجع النشرات الدورية الصادرة من مختلف الجامعات الأكاديمية فى البلدان المختلفة.

وفى الختام لهذا الفصل نتعرّض لما قاله المحقق السيد الخوئى (رض) فى الإعجاز وفرقه مع السحر والشعبذة ونحوها قال: (وهو فى الاصطلاح أن يأتى المدّعى لمنصبٍ من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه) («١»).

أقول: ولا يخفى أن التعميم فى التعريف لكل منصب إلهى أتقن مما تقدم من التعريفات حيث لا ينحصر إظهار الفعل الخارق بمدّعى النبوة والإمامة بل يعمُّ النواب والسفراء للإمام المعصوم (ع) كما نصَّ على ذلك الشيخ المفيد («٢») فى أوائل المقالات قال: (القول فى ظهور المعجزات على المنصوبين من الخاصة والسفراء ... إلى أن قال:

أقول: إن ذلك جائز لا يمنع منه عقل وسُنّة ولا كتاب) («٣»)، انتهى كلامه رفع مقامه.

ونصَّ على ذلك السيد المرتضى فى كتاب (الذخيرة) فى فصل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٥٠

عقده لذلك بعد الفصول التى ذكرها فى معجزات الأنبياء وسيأتى ذكر بعض ما ظهر على أيديهم من الكرامات.

وقال السيد الخوئى (رض) تتمة لما سبق: (وإنما يكون المعجز شاهداً على صدق ذلك المدّعى إذا أمكن أن يكون صادقاً فى تلك الدعوى وأما إذا امتنع صدقه فى دعواه بحكم العقل أو بحكم النقل الثابت عن نبى أو إمام معلوم العصمة فلا يكون ذلك شاهداً على الصدق ولا يسمّى معجزاً فى الاصطلاح وإن عجز البشر عن أمثاله).

مثال الأوّل: ما إذا ادّعى أحد النبوة بعد نبى الإسلام، فإن هذه الدعوى كاذبة قطعاً بحكم العقل المقطوع بثبوته الوارد عن نبى الإسلام وعن خلفائه المعصومين بأن نبوّته خاتمة النبوّات وإذا كانت الدعوى باطلة قطعاً، فماذا يفيد الشاهد إذا أقامه المدّعى؟ ولا يجب على الله جلَّ شأنه أن يبطل ذلك بعد حكم العقل باستحالة دعواه أو شهادة النقل ببطلانها) («١»).

أقول: تقييد دعوى صاحب الأمر أو الفعل الخارق للعادة بكون دعواه مما يحتمل صدقها عقلًا ونقلًا، أى لا يقوم دليل عقلى أو نقلى قطعيين على كذبه قد يوهّم أن الأمر الخارق للعادة ليس شاهداً قطعياً على الصدق وبالتالى لا تكون المعجزة شاهداً على الصدق، ولكن هذا الوهم فاسد فإن المراد أن قيام الدليل العقلى أو النقلى القطعى كاشف عن عدم كون هذا الأمر خارقاً للعادة ومن قبل الله (عزوجل) ودليل على كون هذا الأمر خارقاً للعادة صورةً وظاهراً لا واقعاً أى إنه مخفى سببه لا أنه يعجز عنه البشر أجمع بل من يطلع على سببه يتمكن من ذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٥١

وقال (رض): (وليست من الإعجاز المصطلح عليه ما يظهره الساحر والمشعوذ أو العالم ببعض العلوم النظرية الدقيقة وإن أتى بشىء يعجز عنه غيره ولا- يجب على الله إبطاله إذا علم استناده فى عمله إلى أمر طبيعى من سحر أو شعبذة أو نحو ذلك، وإن ادّعى ذلك الشخص منصباً إلهياً وقد أتى بذلك الفعل شاهداً على صدقه فإن العلوم النظرية الدقيقة لها قواعد معلومة عند أهلها وتلك القواعد لا بدَّ من أن توصل إلى نتائجها وإن احتاجت إلى دقّة فى التطبيق وعلى هذا القياس تخرج غرائب علم الطب المنوطة بطبائع الأشياء وإن كانت خفيّة على عامة الناس بل وإن كانت خفيّة على الأطباء أنفسهم وليس من القبيح أن يختص الله أحداً من خلقه بمعرفة شىء من تلك الأشياء وإن كانت دقيقة وبعيدة عن متناول أيدى عامة الناس، ولكن القبيح أن يغرى الجاهل بجهله وأن يجرى المعجز على يد الكاذب فيضل الناس عن طريق الهدى) («١»).

أقول: فبعد وضوح الموارد التى لا بدَّ أن يبطلها الله تعالى والموارد التى ليست كذلك فلا يتوقع ذو الذهن الساذج أن كل مورد يقصر ذهنه ولم يبطله الله تعالى فهو معجز، بل عليه التحرى بنفسه أو بتوسط ذوى الخبرة والإطلاع كما مرَّ فى كلام الحكيم النراقى (رض) («٢»).

وتابع السيد الخوئى قائلًا: (تكليف عامة البشر واجب على الله سبحانه وتعالى وهذا الحكم قطعى قد ثبت بالبراهين الصحيحة والأدلّة العقلية الواضحة فإنهم محتاجون إلى التكليف فى طريق تكاملهم وحصولهم على السعادة الكبرى والتجارة الرابحة فإذا لم يكلفهم الله سبحانه فإما أن يكون ذلك لعدم علمه بحاجتهم إلى التكليف وهذا جهل يتنزّه عنه الحق تعالى وإما لأن الله أراد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٥٢

حجبهم عن الوصول إلى كمالاتهم وهذا بخل يستحيل على الجواد المطلق، وإما لأنه أراد تكليفهم فلم يمكنه ذلك وهو عجز يمتنع على القادر المطلق، وإذن فلا بدَّ من تكليف البشر ومن الضرورى أن التكليف يحتاج إلى مبلّغ من نوع البشر يوقفهم على خفى التكليف وجليه: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ («١»)) («٢»).

ومن الضرورى أيضاً أن السفارة الإلهية من المناصب العظيمة التى يكثر لها المدّعون ويرغب فى الحصول عليها الراغبون، ونتيجة هذا أن يشتبه الصادق بالكاذب ويختلط المضلّ بالهادى.

وإذن فلا بدَّ لمدّعى السفارة أن يقيم شاهداً واضحاً يدلُّ على صدقه فى الدعوى وأمانته فى التبليغ، ولا يكون هذا الشاهد من الأفعال العادية التى يمكن غيره أن يأتى بنظيرها فينحصر الطريق بما يخرق نواميس الطبيعة.

وإنما يكون الإعجاز دليلًا على صدق المدّعى، لأن المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية، فلا يمكن أن يقع من أحد إلّا بعناية الله تعالى وإقدار منه، فلو كان مدّعى النبوة كاذباً فى دعواه كان إقداره على المعجز من قبل الله تعلى إغراءً بالجهل وإشارة بالباطل، وذلك محال على الحكيم تعالى ... وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى فى كتابه الكريم: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ* لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ («٣»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٥٥

الفصل الثانى فى كون انقطاع النائب الخاص للإمام (ع) عقيدة من ضروريات مذهب الإمامية الإثنى عشرية ... ص: ٥٥

اشارة

ونذكر فيه أموراً:

الأمر الأوّل معنى النيابة لغة ... ص: ٥٥

ففى مجمع البحرين للطريحى: (ناب فلان عنّى قام مقامى، وناب الوكيل عنّى فى كذا ينوب نيابة فهو نائب) («١»)، ومثله فى تاج العروس («٢»). ومن هنا عرّف الفقهاء الوكالة بالنيابة أو الإستنابة والغالب فى استعمال النيابة هو فيما كان مورد النيابة محدوداً ومقيّداً أى إن النائب ينوب عن المنوب عنه فى متعلق محدود معيّن، وأما إذا كان المورد غير محدود وذا شؤون عديدة فذلك نحو من إعطاء الولاية من المنوب عنه إلى النائب، فيقال: ولّاه أو نصبه والياً فى كذا، وإذا اتّسعت الدائرة أكثر من ذلك فيقال: استخلاف وقد جعل خليفة.

وعلى أيّة حال فى موارد النيابة والوكالة المتعلق يكون محدوداً ومعيّناً.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٥٦

الأمر الثانى كلمات علماء الطائفة ... ص: ٥٦

قال بعض الحكماء: إنه لا يستدل على الضرورى وإنما ينبّه عليه، فما ظاهره استدلال إنما هو تنبيه، إذ بمجرد التنبه يحصل الالتفات إلى ضرورته، وهكذا ما نحن فيه وهو انقطاع النائب الخاص للإمام الحجة (ع) عند الإمامية، فما نسطره من كلمات العلماء الأعلام ووجوه الطائفة الإثنى عشرية إنما هو تنبيه على التسالم والضرورة عندهم.

وليعلم أن معنى النائب الخاص هو استنابة الإمام (ع) شخصاً بخصوصه فى شىء معيّن كما فى قول الإمام الحسن العسكرى (ع): «العمرى (عثمان بن سعيد) وابنه (محمّد) ثقتان فما أدّيا إليك عنّى فعنّى يؤدّيان، وما قالا لك فعنّى يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان» («١») ومعنى النائب العام والمرجع الدينى هو استنابة الإمام (ع) كل من توفّرت فيه صفات معيّنة فى أمر معين كما فى قول الصادق (ع): «من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر فى حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنّى قد جعلته عليكم حاكماً» («٢»)، وهو تنصيب للفقهاء العارفين بالأحكام عن طريق روايات الأئمّة (عليهم السلام) أن يقضوا بين الناس.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٥٧

وكذلك قول الحجة المنتظر (ع) فى رواية الطبرسى فى كتابه الاحتجاج: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا كلّهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً، ولا كرامة» («١»)، وهو تنصيب للفقهاء العدول كمرجع دينى لبيان الأحكام الشرعية وتعلّم الشيعة ذلك منهم وسيأتى تفصيل ذلك.

ومجمله أن النيابة الخاصة فى المقام هى استنابة الإمام (ع) شخصاً لإيصال أقواله وأوامره للشيعة وأخذ الحقوق الشرعية كالخمس والزكاة، ولذا أطلق لفظ السفير على النواب الأربعة وهم: عثمان بن سعيد العمرى، ومحمّد ابنه، والحسين بن روح النوبختى، وعلى بن محمّد السمرى فى الغيبة الصغرى (٣٢٩ ٢٦٠ ه-)، حيث إن الأربعة كان عملهم كالوسيط بين الإمام (ع) والشيعة، ويقرب من هذا المعنى استعمال لفظة السفير فى يومنا هذا على مملثى الدولة فى البلدان المختلفة. وذلك يطلق على هذا النحو من النيابة السفارة.

وأما النيابة العامة فهى استنابة الإمام (ع) كل من وجدت فيه صفات كما مرَّ لمنصب القضاء والإفتاء ونحو ذلك مما سيأتى بالأخذ والاستنباط من كتاب الله العزيز والروايات المأثورة عن الأئمّة (عليهم السلام)، أى لا بالأخذ المباشر منه (ع) لوقوع الغيبة الكبرى حتّى يظهر ويخرج بإذن الله تعالى وذلك حين تقع علامات الظهور كالصيحة من السماء والخسف بالبيداء وخروج السفيانى وقتل النفس الزكية بمكّة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٥٨

ولنذكر كلمات العلماء الذين هم أمناء الأئمّة (عليهم السلام) على الحلال والحرام والفرائض والسنن:

قال الشيخ أبو القاسم بن محمّد بن قولويه صاحب كتاب (كامل الزيارات) أستاذ الشيخ المفيد فى الفقه والذى قال النجاشى فيه: كلّما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه: (إن عندنا أى الطائفة الإمامية الشيعية أن كل من ادعى الأمر أى السفارة والباب بعد السمرى آخر النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى فهو كافر منمّس محتال ضال مضلّ) («١»).

قال الشيخ سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعرى القمى الذى قال عنه النجاشى («٢»): يكنّى أبا القاسم جليل القدر واسع الأخبار شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها فى كتاب (المقالات والفرق) («٣»):

(فنحن متمسكون بإمامة الحسن بن على (ع) مقرّون بوفاته موقنون مؤمنون بأن له خلفاً من صلبه متديّنون بذلك وأنه الإمام من بعد

أبيه الحسن بن على وأنه فى هـذه الحالـة مستتر خائف مغمور مأمور بذلك حتّى يأذن الله (عزوجل) له فيظهر ويعلن أمره، كظهور من مضى من آبائه إذ الأمر لله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويأمر بما يريد من ظهور وخفاء ونطق وصموت كما أمر رسوله (ص) فى حال نبوّته بترك إظهار أمره والسكوت والإخفاء من أعدائه والاستتار وترك إظهار النبوة التى هى أجلّ وأعظم وأشهر من الإمامة، فلم يزل كذلك سنين إلى أن أمره

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٥٩

بإعلان ذلك وعند الوقت الذى قدّره تبارك وتعالى فصارع بأمره وأظهر الدعوة لقومه.

ثمّ بعـد الإعلان بالرسالـة وإقامـة الـدلائل المعجزة والبراهين الواضـحة اللازمة بها الحجة وبعد ... قريش وسائر الخلق من عرب وعجم وما لقى من الشـدة ولقيه أصـحابه من المؤمنين أمرهم بالهجرة إلى الحبشـة، وأقام هو مع قومه حتّى توفّى أبو طالب فخاف على نفسـه وبقية أصـحابه، فأمره الله عند ذلك بالهجرة إلى المدينة المنورة وأمره بالاختفاء فى الغار والاستتار من العدو، فاستتر أياماً خائفاً مطلوباً حتّى أذن الله له وأمره بالخروج.

وكيف بـالغريب الوحيـد الشـريد الطريـد المطلوب الموتور بـأبيه وجـدّه هنـا مع القوم المشـهور من أمير المؤمنين على المنبر: «لا تخلو الأـرض من قـائم لله بحجـة. إمـا ظـاهراً مشـهوراً أو خائفاً مغموراً. لئلّا تبطل حجـج الله وبيناته» («١») وبذلك جاءت الأخبار الصـحيحة المشهورة عن الأئمّة.

وليس على العبـاد أن يبحثوا عن أمور الله ويقفوا أثر مـا لاـ علم لهم به ويطلبوا إظهـاره فستره الله عليهم وغيّبه عنهم قـال الله (عزوجـل) لرسوله: وَلاـ تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ («٢») فليس يجوز لمؤمن ولا مؤمنـة طلب ما ستر الله ولا البحث عن اسـمه وموضـعه ولا السؤال عن أمره ومكانه حتّى يؤمروا بذلك، إذ هو (ع) غائب خائف مغمور مستور بستر الله متبع لأمره (عزوجل) ولأمر آبائه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٦٠

بـل البحث عن أمره وطلب مكانه والسؤال عن حاله وأمره محرّم لا يحل ولا يسع، لأن فى طلب ذلك وإظهاره ما ستره الله عنّا وكشـفه وإعلان أمره والتنويه باسـمه معصـية الله والعون على سفك دمه (ع) ودماء شيعته وانتهاك حرمته أعاذ الله من ذلك كل مؤمن ومؤمنة برحمته وفى ستر أمره والسـكوت عن ذكره حقنهـا، وصـيانتها سـلامة ديننـا والانتهاء إلى أمر الله وأمر أئمّتنا وطاعتهم، وفّقنا الله وجميع المؤمنين لطاعته ومرضاته بمنّه ورأفته.

ولاـ يجوز لنـا ولاـ لأحـد من الخلق أن يختار إماماً برأيه ومعقوله واسـتدلاله، وكيف يجوز هـذا وقـد حظّره الله جلَّ وتعالى على رسـله وأنبيـائه وجميع خلقه، فقال فى كتابه إذ لم يجعل الاختيار إليهم فى شـىء من ذلك: وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَـى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ («١»)، وقـال: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ («٢»)، وإنما اختيار الحجج والأئمّة إلى الله (عزوجـل) وإقـامتهم إليه فهو يقيمهم ويختارهم ويخفيهم، وإذا شاء يقيمهم فيظهرهم ويعلن أمرهم إذا أراد ويستره إذا شاء فلا يبديه، لأنه تبارك وتعالى أعلم بتدبيره فى خلقه وأعرف بمصلحتهم، والإمام أعلم بأمور نفسه وزمانه وحوادث أمور الله منّا ... إلى أن قال:

فهـذه سبيل الإمامـة وهـذا المنهاج الواضـح والغرض الواجب اللازم الـذى لم يزل عليه الإجماع من الشـيعة الإمامية المهتدية رحمة الله عليها، وعلى ذلك كان إجماعنا إلى يوم مضى الحسن بن على رضوان الله عليه).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٦١

وقال أبو محمّـد الحسن بن موسـى النوبختى المتكلم الفيلسوف من أكابر الطائفة وعظماء سـلالة بنى النوبخت فى كتابه (فرق الشـيعة) («١»): (فنحن مستسـلمون بالماضـى (العسكرى) وإمامته مقرّون بوفاته معترفون بأن له خَلَفاً قائماً من صلبه وأن خَلَفه هو الإمام من بعده حتّى يظهر ويعلن أمره كما ظهر وعلن أمر من مضى قبله من آبائه ... إلى أن قال:

وبه جاءت الأخبار الصحيحة عن الأئمّة الماضين، لأنه ليس للعباد أن يبحثوا عن أمور الله ويقفوا بلا علم ويطلبوا آثار ما ستر عنهم...

وقد رويت أخبار كثيرة أن القائم تخفى عن الناس ولادته ويخمل ذكره ولا يعرف ... إلى أن قال:

فهذا سبيل الإمامة والمنهاج الواضح اللاحب الذى لم تزل الشيعة الإمامية الصحيحة التشيّع عليه).

وقال الشيخ المفيد فى كتاب (الإرشاد) فى باب ذكر القائم وتاريخ مولده ودلائل إمامته («٢»): (وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده، وبدولته مستفيضاً قبل غيبته، وهو صاحب السيف من أئمّة الهدى (عليهم السلام) والقائم بالحق المنتظر لدولة الإيمان، وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، كما جاءت بذلك الأخبار.

فأما القصرى منهما منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة.

وأما الطولى فهى بعد الأولى وفى آخرها يقوم بالسيف، قال الله (عزوجل): وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٦٢

الْوارِثِينَ* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ («١»)، وقال جلَّ اسمه: وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ («٢»)، وقال رسول الله (ص): «لن تنقضى الأيام والليالى حتّى يبعث الله رجلًا من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى يملأها قسطاً وعدلًا كما ملئت ظلماً وجوراً» («٣»).

وقال (رض) فى الرسائل الخمس التى ألّفها فى الغيبة فى الرسالة الثانية («٤»): (فإن قال: إذا كان الإمام عندكم غائباً ومكانه مجهولًا فكيف يصنع المسترشد، وعلى ماذا يعتمد الممتحن فيما ينزل به من حادث لا يعرف له حكماً وإلى من يرجع المتنازعون لاسيّما والإمام إنما نصب لما وصفناه؟ قيل له: هذا السؤال مستأنف لا نسبة له بما تقدم ولا صلة بينه وبينه وقد مضى السؤال الأوّل فى معنى الخبر وفرض المعرفة.

وجوابه على انتظام ونحن نجيب عن هذا المستأنف بموجز لا يخل بمعنى التمام وبالله التوفيق فنقول: إنما الإمام نصب لأشياء كثيرة، أحدها: الفصل بين المختلفين.

الثانى: بيان الحكم للمسترشدين. ولم ينصب لهذين دون غيرهما من مصالح الدنيا والدين، غير أنه إنما يجب عليه القيام فيما نصّب له مع التمكن من ذلك والاختيار وليس يجب عليه شىء لا يستطيعه، ولا يلزمه فعل الإيثار مع الاضطرار، ولم يؤت الإمام فى التقيّة من قبل الله (عزوجل) ولا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٦٣

من جهة نفسه وأوليائه المؤمنين، وإنما أتى ذلك من قبل الظالمين الذين أباحوا دمه ونفوا نسبه وأنكروا حقّه وحملوا الجمهور على عداوته ومناصبة القائلين بإمامته، وكانت البلية فيما تضيّع من الأحكام وتتعطّل من الحدود ويفوت من الصلاح متعلقة بالظالمين، وإمام الأنام برىء منها وجميع المؤمنين.

فأما الممتحن بحادث يحتاج إلى علم الحكم فيه فقد وجب عليه أن يرجع ذلك إلى العلماء من شيعة الإمام وليعلم ذلك من جهتهم مما استودعوه من أئمّة الهدى المتقدمين، وإن عدم ذلك والعياذ بالله ولم يكن فيه حكم منصوص على حال فيعلم أنه على حكم العقل، لأنه لو أراد الله أن يتعبّد فيه بحكم سمعى لفعل ذلك ولو فعله لسهل السبيل إليه.

وكذلك القول فى المتنازعين يجب عليهم ردّ ما اختلفوا فيه إلى الكتاب والسُنّة عن رسول الله (ص) من جهة خلفائه الراشدين من عترته الطاهرين ويستغنوا فى معرفة ذلك بعلماء الشيعة وفقهائهم، وإن كان والعياذ بالله لم يوجد فيما اختلفوا فيه نصٌّ على حكم سمعى فليعلم أن ذلك مما كان فى العقول مثل أن من غصب إنساناً شيئاً فعليه ردُّه بعينه إن كانت عينه قائمة فإن لم تكن عينه قائمة كان عليه تعويضه بمثله وإن لم يوجد له، مثل: كان له أن يرضى خصمه بما تزول معه ظلامته، فإن لم يستطع ذلك أو لم يفعله مختاراً

كـان فى ذمته إلى يوم القيامـة، فإن كان جان جنى على غيره جنايـة لا يمكن تلافيها كانت فى ذمته وكان المجنى عليه ممتحناً بالصبر إلى أن ينصـفه الله تعالى يوم الحساب، فإن كان الحادث مما لا يعلم بالسمع إباحته من حظره فإنّه على الإباحة إلّا أن يقوم دليل سمعى على حظره.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۶۴

وهـذا الذى وصـفناه إنما جاز للمكلف الاعتماد عليه والرجوع إليه عند الضـرورة بفقد الإمام المرشد، ولو كان الإمام حاضـراً ما وسـعه غير الردّ والعمل على قوله، وهـذا قول خصومنا كافـة: إن على الناس فى نوازلهم بعـد النبى (ص) أن يجتهـدوا فيها عنـد فقـدهم النصّ عليها، ولا يجوز لهم الاجتهاد واستعمال الرأى بحضرة النبى (ص).

فإن قال: فإذا كانت عبادتكم تتمّ بما وصفتموه مع غيبة الإمام فقد استغنيتم عن الإمام.

قيل له: ليس الأمر كما ظننت فى ذلك، لأن الحاجـة إلى الشـىء وقد تكون قائمة مع فقد ما يسدّها، ولولا ذلك ما كان الفقير محتاجاً إلى المال مع فقـده، ولا المريض محتاجاً إلى الـدواء وإن بعـد وجوده، والجاهل محتاجاً إلى العلم وإنْ عدم الطريق إليه، والمتحير إلى الدليل وإن لم يظفر به.

ولو لزمنا ما ادّعيتموه وتوهّمتموه للزم جميع المسـلمين أن يقولوا: إن الناس كانوا فى غيبـة النبى (ص) للهجرة وفى الغار مسـتغنين عنه، وكـذلك حالهم فى وقت اسـتتاره بشـعب أبى طالب (ع)، وكان قوم موسـى (ع) أغنياء عنه فى حال غيبته عنهم لميقات ربه، وكذلك أصـحاب يونس (ع) أغنياء عنه لما ذهب مغضـباً والتقمه الحوت وهو مليم، وهذا مما لا يذهب إليه مسـلم ولا ملّى فيُعلم بذلك بطلان ما ظنّه الخصوم وتوهّموه على الظنّة والرجوم وبالله التوفيق).

وقال طيّب الله رمسه فى الرسالة الرابعة فى الغيبة («١»): (المهدى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۶۵

الذى يظهر الله به الحق، ويبيد بسـيفه الضـلال، وكان المعلوم أنه لا يقوم بالسـيف إلّا مع وجود الأنصار واجتماع الحفدة والأعوان، ولم يكن أنصـاره (ع) عنـد وجوده متهيّئين إلى هـذا الوقت موجودين، ولاـ على نصـرته مجتمعين، ولاـ كان فى الأرض من شـيعته طراً من يصـلح للجهـاد وإن كـان يصـلحون لنقـل الآثـار وحفـظ الأحكام والـدعاء له بحصول التمكن من ذلك إلى الله (عزوجل) لزمته التقية ووجوب فرضـها عليه كما فرضت على آبائه (عليهم السـلام)، لأنه لو ظهر بغير أعوان لألقى نفسه بيـده إلى التهلكة، ولو أبدى شخصـه للأعـداء لم يـألوا جهـداً فى إيقـاع الضـرر به واستئصـال شـيعته وإراقـة دمائهم على الاسـتحلال، فيكون ذلك أعظم للفساد فى الـدين والدنيا).

وقال الشيخ الصدوق («١») رضوان الله تعالى عليه فى كتابه (إكمال الـدين وإتمام النعمـة) فى الباب الثانى والأربعين ما روى فى ميلاد القائم (ع) («٢»): بسـنده إلى غيـاث بن أسـيد قال: ولـد الخلف المهـدى (ع) يوم الجمعـة، وامّه ريحانـة ويقال لها: نرجِس، ويقال لها: صقيل، ويقال: سوسن، إلّا أنه قيل لسـبب الحمل: صـقيل، وكان مولده (ع) لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، ووكيله عثمان بن سعيد، فلمّا مات عثمان أوصى إلى ابنه أبى جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۶۶

جعفر إلى أبى القـاسم الحسـين بـن روح، وأوصـى أبـو القـاسم إلى أبى الحسن على بن محمّـد السـمرى (رض)، قـال: فلمّـا حضـرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى فقال: لله أمر هو بالغه، فالغيبة التامة هى التى وقعت بعد مضى السمرى (رض)).

وقـال رفع الله درجته فى أعلى عليين فى الكتـاب المزبور فى البـاب الخـامس والأـربعين فى ذكر التوقيعـات («١»): (حـدّثنا أبو محمّد الحسن بن محمّـد المكتّب («٢»)، قال: كنت بمدينـة السـلام فى السـنة التى توفى فيها الشـيخ على بن محمّـد السـمرى قدس الله روحه فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك

فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلّا بعد إذن الله (عزوجل)، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلب وامتلاء الأرض جوراً.

وسيأتى شيعتى من يدّعى المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم».

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيّك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه، ومضى (رض)، فهذا آخر كلام سمع منه).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٦٧

وقال عطر الله مرقده فى مقدمة كتابه المزبور: (إن الذى دعانى إلى تأليف كتابى هذا: أنّى لما قضيت وطرى من زيارة على بن موسى الرضا صلوات الله عليه رجعت إلى نيسابور وأقمت بها فوجدت أكثر المختلفين إلىَّ من الشيعة قد حيّرتهم الغيبة ودخلت عليهم فى أمر القائم (ع) الشبهة وعدلوا عن طريق التسليم إلى الآراء والمقاييس، فجعلت أبذل مجهودى فى إرشادهم إلى الحق وردّهم إلى الصواب بالأخبار الوارد فى ذلك عن النبى والأئمّة صلوات الله عليهم).

وقال الشيخ الطوسى («١») فى كتاب الغيبة («٢»): (ذكر أمر أبى الحسن على بن محمّد السمرى بعد الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (رض) وانقطاع الاعلام به وهم الأبواب: أخبرنى جماعة عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه، (قال): قال: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق، عن الحسن بن على بن زكريا بمدينة السلام، قال: حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن خليلان، قال: حدّثنى أبى، عن جدّه عتاب من ولد عتاب بن أسيد، (قال): ولد الخلف المهدى صلوات الله عليه يوم الجمعة وامّه ريحانة، ويقال لها: نرجِس، ويقال: صقيل، ويقال لها: سوسن، إلّا أنه قيل بسبب الحمل: صقيل.

وكان مولده لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٦٨

ووكليه عثمان بن سعيد أوصى إلى أبى جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبى القاسم الحسين بن روح (رض)، وأوصى أبو القاسم إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى (رض)، فلمّا حضرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى فقال: (لله أمر هو بالغه)، فالغيبة التامة هى التى وقعت بعد مضى السمرى (رض).

(وأخبرنى) محمّد بن محمّد بن النعمان (الشيخ المفيد)، والحسين بن عبيد الله (الغضائرى) («١»)، عن أبى عبد الله محمّد بن أحمد الصفوانى («٢»)، قال: أوصى الشيخ أبو القاسم (رض) إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى (رض) فقام بما كان إلى أبى القاسم، فلمّا حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن يقوم مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصى إلى أحد بعده فى هذا الشأن.

(وأخبرنى) جماعة، عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه، قال: حدّثنا أبو الحسن صالح بن شعيب الطالقانى فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد، قال: حضرت بغداد عند المشايخ (رح) فقال الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) ابتداء منه: (رحم الله على بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٦٩

الحسين بن بابويه القمى)، قال: فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم، فورد الخبر أنه توفى فى ذلك اليوم، ومضى أبو الحسن السمرى (رض) بعد ذلك فى النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

(وأخبرنا) جماعة، عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه، قال: حدّثنى أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتّب («١»)، قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى

الناس توقيعاً نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توصِ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى لشيعتى من يدّعى المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم».

(قال): فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيّك من بعدك؟ فقال: (لله أمر هو بالغه) وقضى، فهذا آخر كلام سمع منه رضى الله عنه وأرضاه.

(وأخبرنى) الحسين بن إبراهيم، عن أبى العبّاس بن نوح عن أبى نصر هبة الله بن محمّد الكاتب، أن قبر أبى الحسن السمرى (رض) فى

الشارع المعروف بشارع الخلنجى من ربع باب المحول قريب من شاطئ نهر أبى عتاب («١»)، وذكر أنه مات (رض) فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة). انتهى كلام الشيخ الطوسى فى كتابه (الغيبة).

وقال الشيخ الأجل ابن أبى زينت محمّد بن إبراهيم النعمانى من أعلام القرن الرابع، والتلميذ الخصّيص بالشيخ الكلينى صاحب كتاب (الكافى)، قال فى كتابه الغيبة فى فصول ما روى فى غيبة الإمام المنتظر (ع) («٢»): (هذه الروايات التى قد جاءت متواترة تشهد بصحة الغيبة وباختفاء العلم والمراد بالعلم الحجة للعالم، وهى مشتملة على أمر الأئمّة (عليهم السلام) للشيعة بأن يكونوا فيها على ما كانوا عليه ولا يزالون ولا ينتقلون، بل يثبتون ولا يتحولون ويكونون متوقعين لما وعدوا به، وهم معذورون فى أن لا يروا حجتهم وإمام زمانهم فى أيام الغيبة، وضيق عليهم فى كل عصر وزمان قبله أن لا يعرفوه بعينه واسمه ونسبه، ومحظور عليهم الفحص والكشف عن صاحب الغيبة والمطالبة باسمه أو موضعه أو غيابه أو الإشادة بذكره، فضلًا عن المطالبة بمعاينته، وقال لنا: إيّاكم والتنويه، وكونوا على ما أنتم عليه، وإيّاكم والشكّ، فأهل الجهل الذين لا علم لهم بما أتى عن الصادقين (ع) من هذه الروايات الواردة للغيبة وصاحبها يطالبون بالإرشاد إلى شخصه والدلالة على موضعه، ويقترحون إظهاره لهم، وينكرون غيبته، لأنهم بمعزل عن العلم وأهل المعرفة، مسلّمون لما امروا به، ممتثلون له، صابرون على ما ندبوا إلى الصبر عليه، وقد أوقفهم

العلم والفقه مواقف الرضا عن الله والتصديق لأولياء الله والامتثال والانتهاء عمّا نهوا عنه، حذرون ما حذّر الله فى كتابه من مخالفة رسول الله (ص) والأئمّة الذين هم فى وجوب الطاعة بمنزلته لقوله: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ («١»)، ولقوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ («٢»)، ولقوله: وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ («٣»).

وفى قوله فى الحديث الرابع من هذا الفصل حديث عبد الله بن سنان: «كيف أنتم إذا صرتم فى حال لا ترون فيها إمام هدى ولا علماً يرى»، دلالة على ما جرى وشهادة بما حدث من أمر السفراء الذين كانوا بين الإمام (ع) وبين الشيعة من ارتفاع أعيانهم وانقطاع نظامهم، لأن السفير بين الإمام فى حال غيبته وبين شيعته هو العلم، فلمّا تمّت المحنة على الخلق ارتفعت الأعلام ولا ترى حتّى يظهر صاحب الحق (ع) ووقعت الحيرة التى ذكرت وآذننا بها أولياء الله. وصحّ أمر الغيبة الثانية التى يأتى شرحها وتأويلها فيما يأتى من الأحاديث بعد هذا الفصل، نسأل الله أن يزيدنا بصيرة وهدى ويوفقنا لما يرضيه برحمته).

ثمّ إنه قدس الله لطيفه روى فى الفصل اللاحق عدّة أحاديث فى أن للقائم (ع) غيبتين نذكر نبذة منها: قال بعد ذكر سنده إلى إبراهيم بن عمر اليمانى، قال: سمعت أبا جعفر (الباقر) (ع) يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين»، وسمعته يقول: «لا يقوم القائم ولأحد فى

عنقه بيعة».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٧٢

وروى بسنده إلى أبى بصير قال: قلت لأبى عبد الله (الصادق) (ع): كان أبو جعفر (ع) يقول: «لقائم آل محمّد غيبتان، إحداهما أطول من الأخرى»، فقال: «نعم، ولا يكون ذلك حتّى يختلف سيف بنى فلان، وتضيق الحلقة، ويظهر السفيانى، ويشتد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل يلجأون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله (ص)».

وروى بسنده إلى المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، يرجع فى إحداهما إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، فى أىّ وادٍ سلك؟»، قلت: كيف نصنع إذا كان ذلك؟ قال: «إن ادّعى مدّع فاسألوه عن تلك العظائم التى يجيب فيها مثله».

ثمّ قال الشيخ النعمانى («١»): هذه الأحاديث التى يذكر فيها أن للقائم (ع) غيبتين أحاديث قد صحّت عندنا بحمد الله وأوضح الله قول الأئمّة (عليهم السلام) وأظهر برهان صدقهم فيها، فأما الغيبة الأولى فهى الغيبة التى كانت السفراء فيها بين الإمام (ع) وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودى الأشخاص والأعيان يخرج على أيديهم غوامض العلم وعويص الحكم والأجوبة عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات وهى الغيبة القصيرة التى انقضت أيامها وتصرّمت مدّتها، والغيبة الثانية هى التى ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذى يريده الله تعالى والتدبير الذى يمضيه فى الخلق، ولوقوع التمحيص والامتحان والبلبلة والغربلة والتصفية على من يدّعى هذا الأمر، كما قال

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٧٣

الله تعالى: ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ («١»)، وهذا زمان قد حضر جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق وممن لا يخرج فى غربال الفتنة، فهذا معنى قولنا: (له غيبتان)، ونحن فى الأخيرة نسأل الله أن يقرّب فرج أوليائه منها ويجعلنا فى حيّز خيره وجملة التابعين لصفوته).

وروى (رض) فى الباب الرابع عشر فى العلامات التى تكون قبل قيامه (ع) («٢») بسنده عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: «لا يقوم القائم حتّى يقوم اثنا عشر رجلًا كلهم يجمع على قول أنهم قد رأوه فيكذّبهم».

وقال الشيخ العلامة زين المحدّثين محمّد بن الفتال النيسابورى («٣») الشهيد فى سنة (٥٠٨ ه-) فى كتابه (روضة الواعظين) («٤»): (وروى أنه ولد يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة سبع وخمسين ومائتين قبل وفاة أبيه بسنتين وسبعة أشهر والأوّل هو المعتمد (أى سنة خمس وخمسين)، وبابه عثمان بن سعيد، فلمّا مات عثمان أوصى إلى ابنه أبى جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبى القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى، فلمّا حضرت السمرى الوفاة سُئل أن يوصى، فقال: إن الله بالغ أمره، وقد انتظر (ع) لدولة الحق).

وقال الشيخ أمين الإسلام («٥») أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٧٤

(رض) فى كتابه (إعلام الورى بأعلام الهدى) («١») عند ذكره الدلائل على إمامة الإمام الثانى عشر (ع) فى الباب الثالث، وبعد ذكره لرواية أبى بصير التى تقدم ذكرها وفيها الأخبار بالغيبتين قال: (فانظر كيف قد حصلت الغيبتان لصاحب الأمر على حسب ما تضمّنت الأخبار السابقة لوجوده عن آبائه وجدوده.

أما غيبته الصغرى منهما فهى التى كان فيها سفراؤه موجودين وأبوابه معروفين لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن على فيهم، فمنهم («٢»): أبو هاشم داود بن القاسم الجعفرى، ومحمّد بن على بن بلال، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمّان (العمرى)، وابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان، وعمر الأهوازى، وأحمد بن إسحاق، وأبو محمّد الوجنانى، وإبراهيم بن مهزيار، ومحمّد بن إبراهيم، فى

جماعة أخرى ربما يأتى ذكرهم عند الحاجة إليهم فى الرواية عنهم.

وكانت مدّة هذه الغيبة أربعاً وسبعين سنة، وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى باباً لأبيه وجدّه («٣») من قبل وثقة لهما، ثمّ تولّى الباقية من قبله وظهرت المعجزات على يده ولما مضى لسبيله قام ابنه أبو محمّد مقامه بنصّه عليه، ومضى على منهاج أبيه فى آخر جمادى الآخرة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٧٥

من سنة أربع أو خمس وثلاثمائة وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بنى نوبخت بنصّ أبى جعفر محمّد بن عثمان عليه وأقامه مقام نفسه ومات فى شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة وقام مقامه أبو الحسن على بن محمّد السمرى بنصّ أبى القاسم عليه وتوفّى لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرون وثلاثمائة).

ثمّ ذكر رواية أبى محمّد الحسن بن أحمد المكتّب التى سبق ذكرها والتى فيها وقوع الغيبة التامة وانقطاع السفراء وكذب من يدّعى المشاهدة أى السفارة والنيابة حتّى يظهر بعلامات الصيحة وخروج السفيانى، ثمّ قال: (ثمّ حصلت الغيبة الطولى التى نحن فى أزمانها والفرج يكون فى آخرها بمشيئة الله تعالى) («١»).

وقال فى الباب الخامس فى حل الشبهات فى غيبته (ع) («٢»): (فإن قالوا: الحق مع غيبة الإمام كيف يدرك؟ فإن قلتم: يدرك ولا يوصل إليه فقد جعلتم الناس فى حيرة وضلال مع الغيبة، وإن قلتم: يدرك الحق من جهة الأدلّة المنصوص بها عليه فقد صرّحتم بالاستغناء عن الإمام بهذه الأدلّة، وهذا يخالف مذهبكم.

الجواب: إن الحق على ضربين: عقلى وسمعى، فالعقلى يدرك ولا يؤثر فيه وجود الإمام ولا فقده، والسمعى عليه أدلّة منصوبة من أقوال النبى (ص) ونصوصه وأقوال الأئمّة الصادقين (عليهم السلام) قد بيّنوا ذلك وأوضحوه غير أن ذلك وإن كان على ما قلناه فالحاجة إلى الإمام مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٧٦

ذلك ثابتة، لأن جهة الحاجة مستمرة فى كل عصر وعلى كل حال هى كونه لطفاً لنا فى الفعل الواجب العقلى من الإنصاف والعدل واجتناب الظلم والبغى، وهذا مما لا يقوم غيره مقامه فيه).

وقال الشيخ أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى وهو من الأعلام فى القرن الخامس فى كتاب (الاحتجاج) («١»): (وأما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحون فى زمان الغيبة فأوّلهم: الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى نصّ به أوّلًا أبو الحسن على بن محمّد العسكرى ثمّ ابنه أبو محمّد الحسن، فتولّى القيام بأمورهما حال حياتهما (ع)، ثمّ بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان (ع) وكان توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يديه.

فلمّا مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه وناب منابه فى جميع ذلك، فلمّا مضى هو قام أبو القاسم حسين بن روح من بنى نوبخت، فلمّا مضى هو قام مقامه أبو الحسن على بن محمّد السمرى.

ولم يقم أحد منهم بذلك إلّا بنصّ عليه من قِبل صاحب الأمر (ع) ونصب صاحبه الذى تقدّم عليه ولم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر (ع) تدلُّ على صدق مقالتهم وصحة بابيتهم، فلمّا حان سفر أبى الحسن السمرى من الدنيا وقرب أجله، قيل له: إلى من توصى؟ فأخرج إليهم توقيعاً نسخته) ... ثمّ ذكر التوقيع الذى مرَّ ذكره.

وقال العلامة الحلى (رض) فى كتاب (الرجال) («٢») فى ترجمة محمّد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٧٧

بن عثمان العمرى: (يكنّى أبا جعفر وأبوه أبا عمرو جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان (ع) ولهما منزلة عظيمة جليلة عند الطائفة ...إلى أن قال:

وقال عند موته: امرت أن أوصى إلى أبى القاسم بن روح وأوصى إليه، وأوصى أبو القاسم بن روح إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى، فلمّا حضرت السمرى الوفاة سئل أن يوصى، فقال: لله أمر هو بالغه، والغيبة الثانية هى التى وقعت بعد السمرى).

وذكر ابن داود الحلى فى كتاب (الرجال) («١») عين ذلك بألفاظه فى الترجمة المذكورة.

وقال الخواجه نصير الدين الطوسى فى كتاب (تجريد الاعتقاد) فى المقصد الخامس فى الإمامة («٢»): (المسألة الأولى فى أن نصب الإمام واجب على الله تعالى. و ... وانحصار اللطف فيه معلوم للعقلاء ووجوده لطف وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا).

وشرح العلامة الحلى (رض) العبارة بقوله: (لطف الإمامة يتم بأمور منها: ما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه بالتصرف والعلم والنصّ عليه باسمه ونسبه، وهذا قد فعله الله تعالى، ومنها: ما يجب على الإمام وهو تحمله للإمامة وقبوله وهذا قد فعله الإمام، ومنها: ما يجب على الرعية وهو مساعدته والنصرة له وقبول أوامره وامتثال قوله، وهذا لم يفعله الرعية فكان منع اللطف الكامل منهم لا من الله تعالى ولا من الإمام) («٣»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٧٨

وقال العلامة المجلسى رفع الله درجته فى (شرح كتاب الكافى) فى ذيل الأحاديث المتعرضة لوقوع الغيبتين قال: (واعلم أنه كان له (ع) غيبتان أوّلهما: الصغرى، وهى زمان وفاة أبى محمّد العسكرى (ع) وهو لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ستين ومائتين إلى وقت وفاة رابع السفراء أبى الحسن على بن محمّد السمرى وهو النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة فتكون قريباً من سبعين. والعجب من الشيخ الطبرسى والسيد ابن طاووس أنهما وافقا فى التاريخ الأوّل وقالا فى وفاة السمرى توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ومع ذلك ذكرا أن مدّة الغيبة الصغرى أربع وسبعون ولعلّهما عدّا ابتداء الغيبة من ولادته (ع).

وأما سفراؤه (ع) فأوّلهم أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى فلمّا توفى (رض) نصَّ على ابنه أبى جعفر محمّد بن عثمان فقام مقامه وهو الثانى من السفراء وتوفى (رض) سنة أربع وثلاثمائة، وقيل: خمس وثلاثمائة وكان يتولّى هذا الأمر نحو من خمسين سنة، فلمّا دنت وفاته أقام أبا القاسم الحسين بن روح النوبختى مقامه وتوفى أبو القاسم قدس الله روحه فى شعبان سنة ستٍ وعشرين وثلاثمائة، فلمّا دنت وفاته نصَّ على أبى الحسن على بن محمّد السمرى، فلمّا حضرت السمرى (رض) الوفاة سئل أن يوصى، فقال: لله أمر هو بالغه، ومات روّح الله روحه فى النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، كل ذلك ذكره الشيخ («١»)).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٧٩

وقال الشيخ المفيد فى كتابه الإرشاد («

»): (وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده وبدولته مستفيضاً قبل غيبته وهو صاحب السيف من أئمّة الهدى (عليهم السلام) والقائم الحق المنتظر لدولة الإيمان وله قبل قيامه غيبتان إحداهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار، فأما القصرى فمنذ وقت ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة، وأما الطولى فهى بعد الأولى وفى آخرها يقوم بالسيف).

وروى الصدوق فى كمال الدين («٢») قال: كان مولده صلوات الله عليه لثمان ليال خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين، ووكيله عثمان بن سعيد (رض)، فلمّا مات عثمان أوصى إلى ابنه أبى جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبى القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبى الحسن على بن محمّد السمرى (رض)، فلمّا حضرت السمرى (رض) الوفاة سئل أن يوصى، فقال: لله أمر هو بالغه، فالغيبة التامة هى التى وقعت بعد مضى السمرى (رض)).

وقال السيد عبد الله الشبر («٣») فى كتابه (حق اليقين فى معرفة أصول الدين) فى المقصد الثالث من أحوال الغائب المستتر (ع): (فى بعض معجزاته وأحوال سفرائه: قال الطبرسى (رض) فى الاحتجاج: أما الأبواب المرضيون)، ... وذكر كل ما تقدم ذكره عن الطبرسى فى كتاب الاحتجاج.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٨٠

ومن وضوح انقطاع السفارة وانقطاع النائب المباشر المتصل بالحجة (ع) أخذ علماء العامة بالتشنيع على الشيعة بأنكم تستدلّون على ضرورة وجود المعصوم لهداية الأنام ولتدبير الأمور وإقامة العدل والقسط فكيف تناقضون ذلك بالالتزام بالغيبة والاستتار والانقطاع، ولكن علماء الإمامية لم يتركوا لهذه الأوهام مجالًا وأخذوا بالجواب عنها، وقد تقدّم طرفاً من ذلك فى الكلمات التى نقلناها وأن الحرمان من ظهور المعصوم وتصرّفه وتدبيره سببه راجع إلى الرعية والمكلفين من الخذلان وعدم الوقوف إلى جانب الحق والعدل، وأنه حين يكتمل نصاب الأنصار والأعوان يكتب الله تعالى فرجه الشريف.

ومن شاء مراجعة هذه السجالات بين علماء الفريقين فليسرح النظر فى ما ألّفه علماء الإمامية من الكتب باسم الغيبة أو التى تبحث عن حياة الحجة (ع)، وكل ذلك مما ينبّه على كون انقطاع النائب الخاص والسفير من ضروريات المذهب حتّى عرفه علماء أهل السُنّة ولنذكر بعض كلماتهم، وعلى القارئ مراجعة البقية فى مظانّها إن شاء الاطلاع عليها.

قال الشهرستانى («١») فى كتاب (الملل والنحل) («٢»): (ومن العجب! أنهم قالوا: الغيبة قد امتدّت مائتين ونيفاً وخمسين سنة، وصاحبنا قال: إن خرج القائم وقد طعن فى الأربعين فليس بصاحبكم. ولسنا ندرى كيف تنقضى مائتان ونيف وخمسون سنة فى أربعين سنة، وإذا سُئل القوم عن

مدّة الغيبة كيف تتصور؟ قالوا: أليس الخضر وإلياس (ع) يعيشان فى الدنيا من آلاف السنين لا يحتاجان إلى طعام وشراب، فلِمَ لا يجوز ذلك فى واحد من آل البيت؟ قيل لهم: ومع اختلافكم هذا كيف يصحُّ لكم دعوى الغيبة؟ ثمّ الخضر (ع) ليس مكلّفاً بضمان جماعة، والإمام عندكم ضامن مكلّف بالهداية والعدل، والجماعة مكلّفون بالاقتداء به والاستنان بسُنّته، ومن لا يرى كيف يقتدى به؟)، انتهى كلامه.

ولا يخفى تخبّطه وتحريفه فى النقل كعادته فى كتابه، إذ قول الشيعة عن أئمّتهم (عليهم السلام): إن القائم (ع) حين يظهر يكون فى سنّ الشيوخ وشاب المنظر حتّى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة فلا يصيبه الهرم بمرور الليالى والأيام، وليس ذلك من قدرة الله تعالى ببعيد.

وأما الجواب عن إشكاله الآخر فقد تقدّم، وقد ذكرت فى الروايات فوائد وجوده وانتفاع الناس منه فى غيبته، منها: أن قلوب المؤمنين مثبتة به فهم بها عاملون، وأنه كالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وأن المعصوم (ع) أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وبه يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبه ينزَّل الغيث، وتنشر الرحمة، وتخرج بركات الأرض، ولولا وجوده على الأرض لساخت بأهلها، ولولاه لم يعبد الله.

وقال الخواجه كلان («١») فى كتابه (ينابيع المودة) («٢») عن كتاب (المحجّة فيما نزل فى القائم الحجة) فى قوله تعالى: وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ («١»): عن ثابت الثمالى، عن على بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه على بن أبى طالب (عليهم السلام)، قال: «فينا نزلت هذه الآية وجعل الله الإمامة فى عقب الحسين إلى يوم القيامة، وأن للقائم منّا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى، فلا يثبت على إمامته إلّا من قوى يقينه وصحّت معرفته»)، انتهى كلامه.

وقد عرفت سابقاً أن الغيبة الصغرى إشارة إلى مدّة النواب الأربعة والكبرى إلى الغيبة التامة وانقطاع النواب والسفراء.

وقال علاء الدين المشهور بالمتقى الهندى («٢») فى كتاب (البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان) فى الباب الثانى عشر («٣»): (عن أبى عبد الله الحسين بن على (ع)، قال: «لصاحب هذا الأمر يعنى المهدى (ع) غيبتان إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم: مات، وبعضهم: ذهب» ... الحديث)، انتهى كلامه.

ومضمون هذه الرواية موجود فى الروايات التى وردت بطرقنا، ومن الواضح أن قول البعض المشار إليه فى الرواية بأنه (ع) مات أو ذهب أو فى أىّ وادٍ سلك؟ أو هلك كما فى الروايات الأخرى، لا يكون إلّا بعد انقطاع النائب الخاص والسفير للحجة (ع) وشدّة الامتحان بالغيبة التامة.

أقول: هذا غيض من فيض من كلمات علماء الإمامية، وتركنا الأكثر مخافة التطويل والملال، وكلّها على كون انقطاع النيابة الخاصة من معتقدات المذهب وضرورياته.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٨٣

الأمر الثالث النيابة العامة للفقهاء ... ص: ٨٣

قد عرفت انقطاع النيابة الخاصة والسفارة، ولكن ليس ذلك يعنى بقاء المؤمنين والمكلفين فى حيرة من أمرهم، بل قد نصَّب الأئمّة (عليهم السلام) وإمام زماننا (ع) لهم من يرجعون إليه فى كل ما ينزل بهم من الحوادث والوقائع، وفى تعلم الأحكام الشرعية وفصل الخصومات واستيفاء الحقوق وغيرها من حاجاتهم الدينية.

وهو الفقيه الجامع لشرائط معيّنة، كالعلم بالأحكام الشرعية من الكتاب والسُنّة وهى الروايات المعتبرة المأثورة عن المعصومين (عليهم السلام)، وكالعدالة، والتقوى، وغيرها من الشروط.

فقد قال الصادق (ع): «من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر فى حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنى قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردَّ، والراد علينا كالراد على الله، وهو على حدّ الشرك بالله» («١»).

وقال (ع): «اجعلوا بينكم رجلًا قد عرف حلالنا وحرامنا فإنّى قد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٨٤

جعلته عليكم قاضياً وإيّاكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر» («١»).

وروى الشيخ الصدوق فى كتاب (إكمال الدين وإتمام النعمة) («٢») عن محمّد بن محمّد بن عصام، عن محمّد بن يعقوب (الشيخ الكلينى)، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمرى (النائب الثانى فى الغيبة الصغرى) أن يوصل لى كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت على فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان (ع): «أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك»، ... إلى أن قال: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتى عليكم وأنا حجّة الله عليهم. وأما محمّد بن عثمان العمرى فرضى الله عنه وعن أبيه من قبل فإنّه ثقتى، وكتابه كتابى».

وروى هذا الحديث الشيخ الطوسى فى كتاب (الغيبة) («٣») عن جماعة عن جعفر بن محمّد بن قولويه (صاحب كتاب كامل الزيارات وأستاذ الشيخ المفيد الذى قال المفيد عنه: أفقه أهل زمانه) وأبو غالب الرازى (من أحفاد زرارة بن أعين ومن شيوخ الطائفة الأجلّاء) وغيرهم كلهم عن محمّد بن يعقوب (الشيخ الكلينى)، ورواه أيضاً الشيخ الطبرسى فى كتاب الاحتجاج.

وروى الطبرسى فى كتاب (الاحتجاج) («٤») عن الحجة (ع): «فأما

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٨٥

من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا بعض فقهاء الشيعة لا كلّهم، فإن من ركب من القبائح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً، ولا كرامة».

وروى الكشى فى كتاب (الرجال) («١») بسنده عن إسماعيل بن جابر عن أبى عبد الله (الصادق) (ع) قال: قال رسول الله (ص): «يحمل

هذا الدين فى كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفى الكير خبث الحديد».

وروى بسنده إلى أحمد بن ماهويه قال: كتبت إليه يعنى أبا الحسن الثالث (الهادى) (ع)، أسأله عمّن آخذ معالم دينى وكتب أخوه أيضاً بذلك فكتب إليهما: «فهمت ما ذكرتما، فاصمدا فى دينكما على كل مسن فى حبّنا، وكل كثير القدم فى أمرنا فإنهما كافوكما إنشاء الله تعالى» («٢»).

وروى الطبرسى فى كتاب (الاحتجاج) («٣») عن أبى جعفر الباقر (ع) أنه قال: «فنحن القرى التى بارك الله فيها، وذلك قول الله (عزوجل)، فمن أقرَّ بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا فقال: وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها («٤») أى: جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة، والقرى الظاهرة الرسل، والنقلة عنّا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٨٦

شيعتنا، وقوله تعالى: وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ («١») فالسير مثل للعلم سير به ليالى وأياماً، مثل لما يسير من العلم فى الليالى والأيام عنّا إليهم فى الحلال والحرام والفرائض والأحكام، آمنين فيها إذا أخذوا منه، آمنين من الشكّ والضلال والنقلة من الحرام إلى الحلال، لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم أخذهم إيّاه عنهم بالمعرفة» ... الحديث.

وروى البرقى فى كتاب (المحاسن) («٢») عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبى، عن عبد الله بن مسكان، عن أبى بصير («٣»)، قال: قلت لأبى عبد الله الصادق (ع): أرأيت الراد على هذا الأمر كالراد علينا؟ فقال: «يا أبا محمّد من ردَّ عليك هذا الأمر فهو كالراد على رسول الله (ص)».

هذا مع أن بيان الأحكام الشرعية وجوبه على الفقيه كان منذ صدر الشريعة قال تعالى: فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («٤»)، فأوجب على الطائفة المتفقّهة فى الدين الإنذار، كما أوجب على غيرهم من عامة الناس قبول قولهم فى بيان الأحكام الشرعية، وهو يستفاد من الآية الشريفة، حيث إن حذر الناس بعد الإنذار مطلوب وراجح بدلالة الآية، ولا يترتّب الحذر إلّا عند وجوب قبول ما أنذروا به.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٨٧

ولهذا كانت طوائف تلو الأخرى تنهال على الرسول (ص) ثمّ على الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) من بعده للتفقّه ومعرفة الفرائض والسنن والآداب وأركان العقيدة والإيمان.

ثمّ تذهب الطوائف وتنشر وتبيّن ذلك لعامة الناس، وهذا مما يقتضيه طبيعة النظام البشرى، حيث إنه ليس من الممكن عادةً أن ينهال كل المكلفين والناس بأجمعهم على الرسول (ص) وعلى المعصومين (عليهم السلام) بالسؤال عن معالم الدين، فهذا الممشى والسلوك عند العقلاء دأبوا عليه وأقرَّه الشرع المقدس فى نشر الأحكام.

وقد روى عبد المؤمن الأنصارى عن أبى عبد الله (الصادق) (ع): «قول الله (عزوجل): فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ («١») فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله (ص) فيتعلموا ثمّ يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم» («... ٢») الحديث.

وروى النجاشى فى كتابه (الرجال) («٣») عن الباقر (ع) أنه قال لأبان بن تغلب وهو أحد الفقهاء من تلامذته: «اجلس فى مسجد المدينة وافت الناس، فإنّى أحبّ أن يرى فى شيعتى مثلك».

وسأل عبد العزيز بن المهتدى الرضا (ع) قال: قلت: لا أكاد أصل إليك أسألك عن كل ما أحتاج إليه من معالم دينى، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ منه ما أحتاج إليه من معالم دينى؟ فقال: «نعم» («٤»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٨٨

وكذلك سأل على بن المسيب الهمدانى قال: قلت للرضا (ع): شقّتى بعيدة ولست أصل إليك فى كل وقت فممن آخذ معالم دينى؟

قال: «من زكريا بن آدم القمى المأمون على الدين والدنيا» («١»).

وسأل عبد الله بن أبى يعفور قال: قلت لأبى عبد الله (الصادق) (ع): إنه ليس كل ساعة ألقاك ولا يمكن القدوم ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألنى وليس عندى كل ما يسألنى عنه، فقال: «ما يمنعك من محمّد بن مسلم الثقفى فإنّه سمع من أبى وكان عنده وجيهاً» («٢»).

وسأل شعيب العقرقوفى قال: قلت لأبى عبد الله (ع): ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء فمن نسأل؟ قال: «عليك بالأسدى يعنى أبا بصير» («٣»).

والأخبار المشتملة على إرجاع الناس إلى تلامذتهم (عليهم السلام) كثيرة، ومن هنا حثَّ الأئمّة المعصومون (عليهم السلام) على التفقّه فى الدين وحفظ الروايات المأثورة عنهم وبينوا فضل ذلك.

فقد روى الصدوق قال: قال على (ع): قال رسول الله (ص): «اللهم ارحم خلفائى» ثلاثاً، قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون بعدى يروون حديثى وسُنّتى» («٤»).

وروى الكشى عن جميل بن درّاج قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «بشّر المخبتين بالجنّة: بريد بن معاوية العجلى، وأبو بصير ليث بن البخترى المرادى، ومحمّد بن مسلم، وزرارة،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٨٩

أربعة نجباء أمناء الله على حلاله وحرامه ولولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست» («١»).

وروى عن أبى بصير أن أبا عبد الله (الصادق) (ع) قال له فى حديث: «لولا زرارة ونظراؤه لظننَّ أن أحاديث أبى (ع) ستذهب» («٢»).

وفى رواية أخرى عن الصادق (ع) قال: «أحبُّ الناس إلىَّ أحياءً وأمواتاً أربعة: بُريد بن معاوية العجلى، وزرارة، ومحمّد بن مسلم، والأحوال، وهم أحبُّ الناس إلىَّ أحياءً وأمواتاً» («٣»)، وهؤلاء الأربعة كانوا من أفقه أصحابه وأصحاب الباقر (ع).

وروى سليمان بن خالد عن الصادق (ع) أنه قال: «ما أجد أحداً أحيى ذكرنا وأحاديث أبى (ع) إلّا زرارة، وأبو بصير ليث المرادى، ومحمّد بن مسلم، وبُريد بن معاوية العجلى، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفّاظ الدين وأمناء أبى (ع) على حلال الله وحرامه وهم السابقون إلينا فى الدنيا والسابقون فى الآخرة» («٤»).

وروى جميل بن درّاج عن الصادق (ع) أنه ذكر أقواماً وقال: «كان أبى (ع) ائتمنهم على حلال الله وحرامه وكانوا عيبة («٥») علمه، وكذلك اليوم هم عندى مستودع سرى وأصحاب أبى حقاً، إذا أراد الله بأهل الأرض سوءً صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتى أحياءً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٩٠

وأمواتاً هم الذين أحيوا ذكر أبى (ع)، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأويل الغالين» ثمّ بكى، فقلت: من هم؟ فقال: «من عليهم صلوات الله وعليهم رحمته أحياءً وأمواتاً: بُريد العجلى، وأبو بصير، وزرارة، ومحمّد بن مسلم» («١»).

وعن الصادق (ع) قال: «اعرفوا منازل الرجال منّا على قدر رواياتهم عنّا» («٢»).

وعنه (ع) قال: قال رسول الله (ص): «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحبُّ بغاة العلم» («٣»).

وعنه (ع) قال: «عليكم بالتفقّه فى دين الله ولا تكونوا أعراباً («٤»)، فإنه من لم يتفقّه فى دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكّ له عملًا» («٥»).

وقال (ع): «لوددت أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتّى يتفقّهوا» («٦»).

وقال (ع): «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإن فينا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۱

أهل البيت فى كل عدولًا ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» («۱»).

وقال الصادق (ع): «إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه فى الدين» («۲»).

وعن الباقر (ع) قال: «من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً» («۳»).

وقال الصادق (ع): «احتفظوا بكتبكم فإنّكم سوف تحتاجون إليها» («۴»)، وقال للمفضل بن عمر: «اكتب وبث علمك فى إخوانك فإن متّ فأورث كتبك بنيك فإنه يأتى على الناس زمان هرج لا يأنسون إلّا بكتبهم» («۵»).

والأحاديث فى هذا المجال كثيرة جدّاً لا يسع المقام ذكرها.

والسرُّ فى هذا الحثّ الشديد هو أن الفقهاء حصون الإسلام يدفعون عنه بدع الباطل ودعاته وكذب المفترين كما تقدّم فى الروايات.

وقال الكاظم (ع): «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التى كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التى كان يصعد فيها بأعماله وثُلِمَ فى الإسلام ثَلمة لا يسدّها شىء، لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها» («۶»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۲

وقال الصادق (ع): «ما من أحد يموت من المؤمنين أحبُّ إلى إبليس من موت فقيه» («۱»).

وقال (ع): «إن أبى كان يقول: إن الله (عزوجل) لا يقبض العلم بعدما يهبطه، ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم، فتليهم الجفاة («۲») فيضلّون ويضلّون، ولا خير فى شىء ليس له أصل» («۳»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۳

الأمر الرابع منابع الشريعة ... ص: ۹۳

إن منابع الشريعة هما الكتاب العزيز والسُنّة المطهرة من أقوال وأفعال الرسول (ص) وأقوال الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وأفعالهم وتقريراتهم، وقال الكاظم (ع) لهشام بن الحكم فى الوصية المعروفة: «يا هشام إن لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة (عليهم السلام)، وأما الباطنة فالعقول» («۱»).

وقال الصادق (ع) لعبد الله بن سنان: «حجة الله على العباد النبى، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل» («۲»).

وفى حديث طويل للصادق (ع) حيث بيّن فيه أن بالعقل مبدأ الأمور وقوّتها وعمارتها وبه عرف الله وصفاته الكمالية وبه عرفت الكمالات، قيل له: فهل يكفى العباد بالعقل دون غيره؟ قال: «إن العاقل لدلالة عقله الذى جعله الله قوامه وزينته وهدايته علم أن الله هو الحق وأنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبة وأن له كراهية وأن له طاعة وأن له معصية، فلم يجد عقله يدلّه على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلّا بالعلم والأدب وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلّا به» («۳»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۹۴

وقد روى السُنّة والشيعة بالطرق المستفيضة المتواترة حديث الثقلين عن رسول الله (ص) أنه قال: «إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً، كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتّى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما».

وقد رواه عن النبى (ص) أكثر من ثلاثين صحابياً وما لا يقلُّ عن مائتى عالم من كبار علماء السُنّة بألفاظ مختلفة فى كتبهم («۱») فضلًا عن الشيعة.

وروى الشيخ الصدوق فى (معانى الأخبار) («۲») عن الباقر (ع) قال: «خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) بالكوفة بعد منصرفه

من النهروان، وبلغه أن معاوية يسبّه ويلعنه ويقتل أصحابه، فبعد حمد الله والثناء عليه قال (ع): يا أيها الناس إنه بلغنى ما بلغنى وإنى أرانى قد اقترب أجلى، وكأنى بكم وقد جهلتم أمرى، وإنى تارك فيكم ما تركه رسول الله (ص) كتاب الله وعترتى، وهى عترة الهادى إلى النجاة خاتم الأنبياء وسيد النجباء والنبى المصطفى».

وقال الصادق (ع): «الله تبارك وتعالى أنزل فى القرآن تبيان كل شىء، حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل فى القرآن، إلّا وقد أنزله الله فيه» («٣»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٩٥

وقال (ع): «ما خلق الله حلالًا ولا حراماً إلّا وله حدّ كحدّ الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار، حتّى أرش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة» («١»).

وقال: «ما من شىء إلّا وفيه كتاب أو سُنّة» («٢»).

وقال زين العابدين (ع): «إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسُنّة وإن قلَّ» («٣»).

وقال الباقر (ع): «كل من تعدّى السُنّة رُدَّ إلى السُنّة» («

).

وقال الصادق (ع): «من خالف كتاب الله وسُنّة محمّد (ص) فقد كفر» («٥»).

وعن الباقر (ع) عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (ص): «لا قول إلّا بعمل، ولا قول ولا عمل إلّا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلّا بإصابة السُنّة» («۶»).

وقال (ع): «من دان الله بغير سماع من صادق ألزمه الله التيه يوم القيامة» («٧»)، أى من تديّن وعمل بحكم بغير المأثور من المعصوم جعل الله حاله يوم القيامة وهو يوم الفزع الأكبر فى تيه، مع كونه ذلك اليوم فى أشدّ الحاجة إلى الأمان والقرار، أو أن التيه كناية عن الضلال وعاقبة السوء.

وفى الرسالة المشهورة للإمام الصادق (ع) إلى أصحابه والتى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٩۶

أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا يضعونها فى مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها، والتى رواها الكلينى (رض) فى كتاب (الروضة من الكافى) («١») بطرق معتبرة نذكر موضعاً منها مما يهمُّ الكلام فى المقام.

قال (ع): «أيتها العصابة المرحومة المفلحة، إن الله أتمَّ لكم ما آتاكم من الخير، واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله فى دينه بهوى ولا- رأى ولا مقاييس، قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شىء، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلًا، لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا- رأى ولا- مقاييس، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصّيهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمّة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم وقد سبق فى علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدى به إلى الله بإذنه وإلى جميع سبل الحق.

وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذى أكرمهم الله به وجعله عندهم إلّا من سبق عليه فى علم الله الشقاء فى أصل الخلق تحت الأظلة («٢») فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقاييسهم حتّى دخلهم الشيطان،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٩٧

لأنهم جعلوا أهل الإيمان فى علم القرآن عند الله كافرين، وجعلوا أهل الضلالة فى علم القرآن عند الله مؤمنين، وحتّى جعلوا ما أحلَّ الله فى كثير من الأمر حراماً، وجعلوا ما حرَّم الله فى كثير من الأمر حلالًا، فذلك أصل ثمرة أهوائهم، وقد عهد إليهم رسول الله (ص)

قبل موته، فقالوا: نحن بعد ما قبض الله (عزوجل) رسوله (ص) يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأى الناس بعدما قبض الله (عزوجل) رسوله (ص) وبعد عهده الذى عهده إلينا وأمرنا به مخالفاً لله ولرسوله (ص).

فما أحد أجرأ على الله ولا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك وزعم أن ذلك يسعه، والله إن لله على خلقه أن يطيعوه ويتّبعوا أمره فى حياة محمّد (ص) وبعد موته، هل يستطيع أولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحداً ممن أسلم مع محمّد (ص) أخذ بقوله ورأيه ومقاييسه؟ فإن قال: نعم، فقد كذب على الله وضلَّ ضلالًا بعيداً، وإن قال: لا، لم يكن لأحد أن يأخذ برأيه وهواه ومقاييسه فقد أقرَّ بالحجة على نفسه، وهو ممن زعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض الرسول (ص)، وقد قال الله وقوله الحق: وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ («١») وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويتبع أمره فى حياة محمّد (ص) وبعد قبض الله محمّداً (ص)، وكما لم يكن لأحد من الناس مع محمّد (ص) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه خلافاً لأمر محمّد (ص) فكذلك لم يكن لأحد من الناس بعد محمّد (ص) أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقاييسه»....

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٩٨

إلى أن قال (ع): «أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار الرسول (ص) وآله وسُنّته وآثار الأئمّة الهداة من أهل بيت رسول الله (ص) من بعده وسُنّتهم، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلَّ لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم، وقد قال أبونا رسول الله (ص): المداومة على العمل فى اتّباع الآثار والسنن وإن قلَّ أرضى لله وأنفع عنده فى العاقبة من الاجتهاد فى البدع واتّباع الأهواء، إلّا أن اتّباع الأهواء واتّباع البدع بغير هدى من الله ضلال وكل ضلالة بدعة وكل بدعة فى النار، ولن ينال شىء من الخير عند الله إلّا بطاعته والصبر والرضا، لأن الصبر والرضا من طاعة الله»....

إلى أن قال (ع): «فإن من لم يجعل الله من أهل صفة الحق فأولئك هم شياطين الإنس والجن، وإن لشياطين الإنس حيلة ومكراً وخدائع ووسوسة بعضهم إلى بعض يريدون إن استطاعوا أن يردّوا أهل الحق عمّا أكرمهم الله به من النظر فى دين الله الذى لم يجعل الله شياطين الإنس من أهله إرادة أن يستوى أعداء الله وأهل الحق فى الشكّ والإنكار والتكذيب فيكونون سواء كما وصف الله تعالى فى كتاب من قوله: وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً («١»)، ثمّ نهى الله أهل النصر بالحق أن يتّخذوا من أعداء الله وليّاً ولا نصيراً، فلا يهولنكم ولا يردّنكم عن النصر بالحق الذى خصّكم الله به من حيلة شياطين الإنس ومكرهم من أموركم»....

إلى أن قال: «هذا أدبنا أدب الله، فخذوا به وتفهّموه واعقلوه، ولا تنبذوه وراء ظهوركم».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٩٩

وروى الكلينى فى كتاب (الكافى) فى أبواب الحجة باب الغيبة («١») بسنده عن أمير المؤمنين (ع): «اللهم إنه لا بدَّ لك من حجج فى أرضك، حجة بعد حجة على خلقك، يهدونهم إلى دينك، ويعلّمونهم علمك، كى لا يتفرق أتباع أوليائك، ظاهر غير مطاع، أو مكتتم يترقب، إن غاب عن الناس شخصهم فى حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم، وآدابهم فى قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون».

ويقول (ع) فى هذه الخطبة فى موضع آخر: «فيمن هذا؟ ولهذا يأرز («٢») العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدّقون عليهم فيه، اللهم فإنى لأعلم أن العلم لا يأرز كله ولا ينقطع مواده، وإنّك لا تخلى أرضك من حجة لك على خلقك ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور كيلا تبطل حجتك ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم بل أين هم؟ وكم هم؟ أولئك الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً».

وفى كلامه (ع) إشارة إلى غيبة الحجة (ع)، حيث قال: «أو مكتتم مترقب إن غاب عن الناس» والاكتتام إشارة إلى عدم نصب الحجة الغائب النائب الخاص فى غيبته وهى الطولى الكبرى، وأشار (ع) بقوله: «إن غاب عن الناس شخصهم فى حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم، وآدابهم فى قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون» إلى الوظيفة فى الغيبة الكبرى، وهى الرجوع إلى أحاديث

الأئمّة الحجج (عليهم السلام) المثبتة فى كتب المؤمنين الرواة منذ قديم أيام الأئمّة (عليهم السلام)، وأن هذه الأحاديث المأثورة عنهم هى علم الأئمّة وآدابهم، وهى منبع الدين والشريعة والهداية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٠٠

وأشار (ع) بقوله: «ولهذا يأرز العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه ويروونه كما سمعوه من العلماء ويصدقون عليهم فيه» إلى أن العلم بالشريعة بين الناس يذهب ويقلُّ بذهاب الفقهاء والحفّاظ والرواة عن الأئمّة (عليهم السلام)، وهذا وجه قول الصادق (ع) الذى سبق حول زرارة ومحمّد بن مسلم وأبى بصير وبُريد.

وروى الصدوق فى كتابه (إكمال الدين) («١») بسنده عن الصادق (ع)، عن آبائه (عليهم السلام) فى وصية النبى (ص) لعلى (ع) قال: «يا على، أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً قوم يكونون فى آخر الزمان لم يلحقوا بالنبى (ص)، وحجب عنهم الحجة، فآمنوا بسوادٍ على بياض».

وروى الكشّى فى كتاب (الرجال) («٢») بسنده إلى أبى هاشم الجعفرى (داود بن القاسم من ذرية جعفر الطيّار رضوان الله تعالى عليه) قال: أدخلت كتاب يوم وليلة الذى ألّفه يونس عبد الرحمن (وهو من أصحاب الرضا (ع) وكان من أفقه أصحابه) على أبى الحسن العسكرى (ع) فنظر فيه وتصفّحه كله، ثمّ قال: «هذا دينى ودين آبائى كلّه وهو الحق كلّه».

وروى الكلينى بسنده عن محمّد بن الحسن بن أبى خالد شينو له قال: قلت لأبى جعفر الثانى (الجواد) (ع): جُعلت فداك، إن مشايخنا رووا عن أبى جعفر (الباقر) وأبى عبد الله (الصادق) (ع) وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم فلم ترو عنهم، فلمّا ماتوا صارت تلك الكتب إلينا، فقال: «حدّثوا بها فإنها حق» («٣»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٠١

وروى الشيخ الجليل الأقدم ابن شعبة الحرانى فى كتابه (تحف العقول) («١») عن الكاظم (ع) أنه كان لأبى يوسف (تلميذ أبى حنيفة وقاضى العبّاسيين) معه كلام فى مجلس الرشيد، فقال الرشيد بعد كلام طويل لموسى بن جعفر (ع): بحق آبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجارياه («٢»)، فقال: «نعم»، وأتى بدواة وقرطاس فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، جميع أمور الأديان أربعة: أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمّة على الضرورة التى يضطرّون إليها، والأخبار المجمع عليها وهو الغاية المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حادثة وأمر يحتمل الشكّ والإنكار فسبيله استيضاح أهله لمنتحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها وسُنّة مجمع عليها لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله ولا تسع خاصة الأمّة وعامتها الشكّ فيه والإنكار له، وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه، وأرش الخدش فما فوقه، فهذا المعروض الذى يعرض عليه أمر الدين، فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عليك صوابه نفيته.

فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهى الحجة البالغة التى بيّنها الله ورسوله (ص) فى قوله لنبيّه: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ («٣») تبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلم العالم بعلمه، لأن الله عدل لا يجور يحتجّ على خلقه بما يعلمون يدعوهم إلى ما يعرفون لا إلى ما يجهلون وينكرون».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٠٢

ومضمون كتاب الكاظم (ع) هو مضمون ما تقدّم فى بداية هذا الأمر الرابع عن الصادق (ع) من أن العقل وإن كان حجة يدرك به التوحيد وصفات الخالق والكمالات وحسن العدل وقبح الظلم وإحالة اجتماع النقيضين ونحوها، ولكن لا يكتفى به فى معرفة مراضى الله ومعاصيه وأوامره ونواهيه، بل لا بدَّ من العلم وهو الكتاب العزيز والسُنّة المطهرة للنبى وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فهذه هى الحجج الثلاث المشار إليها فى قوله (ع): «فمن أورد واحدة من هذه الثلاث وهى الحجة البالغة».

كما أن المشار إليه بقوله (ع): «وهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه، وأرش الخدش فما فوقه، فهذا المعروض الذى يعرض عليه

أمر الدين» هو ما تقدم فى صدر كلامه (ع) من إجماع الأمّة على الضرورة والأخبار المجمع عليها أو الأمر الذى لا اختلاف فيه والذى فيه الشكّ سواء كان من الأصول أو الفروع، والمراد من العرض هو ملاحظة الأمر المشكوك سواء فى أصول الدين أو فروعه ومقارنته مع الضروريات والسُنّة القطعية والمستفيضة عنهم (عليهم السلام)، فما وافقها اصطفى وارتضى، وما نافاها أنكر ونفى.

وهذه ضابطة وردت بها أحاديث مستفيضة كما فى قول الباقر (ع): «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام فى الهلكة، إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه» («١»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٠٣

وقال الصادق (ع): «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص)، وإلّا فالذى جاءكم به أولى به» («١»)، وقال: «كل شىء مردود إلى الكتاب والسُنّة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف» («٢»).

وقال الرضا (ع): «إن الله حرَّم حراماً وأحلَّ حلالًا وفرض فرائض، فما جاء فى تحليل ما حرَّم الله أو فى تحريم ما أحلَّ الله أو دفع فريضة فى كتاب الله رسمها بين قائم بلا ناسخ نسخ ذلك فذلك ما لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرّم ما أحل الله ولا ليغيّر فرائض الله وأحكامه، كان فى ذلك كلّه متبعاً مسلّماً مؤدّياً عن الله، وذلك قول الله: إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ («٣»)، فكان (ع) متّبعاً لله مؤدّياً عن الله ما أمره به من تبليغ الرسالة»، ... إلى أن قال: «إنّا لا نرخّص فيما لم يرخّص فيه رسول الله (ص)، ولا نأمر بخلاف ما أمر به رسول الله (ص)»، ...) إلى أن قال: «فإما أن نستحلَّ ما حرَّم رسول الله (ص)، أو نحرّم ما استحلَّ رسول الله (ص)، فلا يكون ذلك أبداً، لأنّا تابعون لرسول الله (ص)، مسلّمون له كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربّه مسلّماً له، وقال الله (عزوجل): ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا («۴»)» («۵»).

وقال الصادق (ع): «حلال محمّد (ص) حلال أبداً إلى يوم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٠۴

القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجىء غيره» («١»)، وقال: «قال على: ما أحد ابتدع بدعة إلّا ترك بها سُنّة» («٢»).

وفى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) فى كتابه إلى مالك الأشتر قال: «واردد إلى الله ورسوله ما يظلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله سبحانه لقوم أحبَّ إرشادهم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ («٣») فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، والردّ إلى الرسول الأخذ بسُنّته الجامعة غير المتفرقة» («۴»).

وفى (تفسير العيّاشى) («۵») عن سدير قال: قال أبو جعفر الباقر وأبو عبد الله (الصادق) (ع): «لا يُصدّق علينا إلّا ما وافق كتاب الله وسُنّة نبيّه (ص)».

وقد تقدّم قول الحجة (ع): «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا» («۶») وهى الأحاديث المعتبرة المأثورة عن آبائه المعصومين (عليهم السلام) وعنه فى الغيبة الصغرى.

وقد تكرّر إرجاع الحجة (ع) فى التوقيعات الصادرة فى الغيبة الصغرى إلى الروايات المأثورة عن آبائه (عليهم السلام) المدوّنة فى الكتب المشهورة بين الطائفة، ففى الكتاب («٧») لمحمّد بن عبد الله بن جعفر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٠۵

الحميرى («١») إلى الحجة (ع) بتوسط النواب الأربعة سأله عن المصلّى إذا قام من التشهد الأوّل إلى الركعة الثالثة هل يجب عليه أن يكبّر؟ فإن بعض أصحابنا قال: (لا يجب عليه التكبير، ويجزيه أن يقول: بحول الله وقوته أقوم وأقعد)؟

الجواب توقيع الحجة (ع): «إن فيه حديثين: أما أحدهما: فإنه إذا انتقل من حالة إلى حالة أخرى فعليه التكبير، وأما الآخر: فإنه روى: أنه إذا رفع رأسه من السجدة الثانية فكبّر ثمّ جلس ثمّ قام فليس عليه فى القيام بعد القعود تكبير، وكذلك فى التشهّد الأوّل يجرى هذا

المجرى، وبأيّهما أخذت من جهة التسليم كان صواباً» («٢»).

فأرجع (ع) السائل وهو محمّد بن عبد الله الحميرى إلى الحديثين المرويين عن آبائه (عليهم السلام)، ثمّ أكّد على السائل الأخذ بأىّ واحد منهما والعمل به من باب التسليم والردّ فى كل ما ينوبه إلى الأحاديث المنقولة عنهم (عليهم السلام).

وسأل الحميرى أيضاً فى ضمن المسائل التى فى كتابه: وروى فى ثواب القرآن فى الفرائض وغيرها أن العالم (هو لقب للإمام الكاظم (ع)) («٣») قال: «عجباً لمن لم يقرأ فى صلاته: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ («۴») كيف تقبل صلاته؟».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٠۶

وروى: «ما زكّت صلاة من لم يقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

وروى: «أن من قرأ فى فرائضه: الهُمَزة أعطى من الثواب قدر الدنيا»، فهل يجوز أن يقرأ: الهُمَزة ويدع هذه السور التى ذكرناها مع ما قد روى أنه لا تقبل صلاة ولا تزكوا إلّا بهما؟.

التوقيع: «الثواب فى السور على ما قد روى وإذا ترك سورة مما فيها الثواب وقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و إِنَّا أَنْزَلْناهُ لفضلهما أعطى ثواب ما قرأ وثواب السور التى ترك ويجوز أن يقرأ غير هاتين السورتين وتكون صلاته تامة، ولكن يكون قد ترك الفضل» («١»).

وسأل عن التوجّه للصلاة أن يقول: على ملّة إبراهيم ودين محمّد (ص) فإن بعض أصحابنا ذكر أنه إذا قال: على دين محمّد فقد أبدع لأنّا لم نجده فى شىء من كتب الصلاة خلا حديثاً فى كتاب القاسم بن محمّد عن جدّه عن الحسن بن راشد أن الصادق (ع) قال للحسين (أى بن راشد): «كيف تتوجّه؟»، فقال: أقول: لبّيك وسعديك، فقال له الصادق (ع): «ليس عن هذا أسألك، كيف تقول وجّهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً؟»، قال الحسن: أقول، فقال الصادق (ع): «إذا قلت ذلك فقل: على ملّة إبراهيم ودين محمّد ومنهاج على بن أبى طالب والإئتمام بآل محمّد، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين».

فأجاب (ع): «التوجّه كلّه ليس بفريضة، والسُنّة المؤكّدة فيه التى هى كالإجماع الذى لا خلاف فيه: وجّهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً على ملّة إبراهيم ودين محمّد وهدى أمير المؤمنين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٠٧

وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وأنا من المسلمين، اللهم اجعلنى من المسلمين، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ اقرأ الحمد». قال الفقيه الذى لا يشكّ فى علمه: «إن الدين لمحمّد والهداية لعلى أمير المؤمنين لأنها له (ص) وفى عقبه باقية إلى يوم القيامة، فمن كان كذلك فهو من المهتدين، ومن شكّ فلا دين له، ونعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى» («١»).

وسأل عن سجدة الشكر بعد الفريضة: فإن بعض أصحابنا ذكر أنها (بدعة) فهل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة؟ وإن جاز ففى صلاة المغرب هى بعد الفريضة أو بعد الأربع ركعات النافلة؟

فأجاب (ع): «سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها ولم يقل: إن هذه السجدة بدعة إلّا من أراد أن يحدث بدعة فى دين الله، فأما الخبر المروى فيها بعد صلاة المغرب والاختلاف فى أنها بعد الثلاث أو بعد الأربع، فإن فضل الدعاء والتسبيح بعد الفرائض على الدعاء بعقيب النوافل كفضل الفرائض على النوافل، والسجدة دعاء وتسبيح، فالأفضل أن تكون بعد الفرائض، فإن جعل بعد النوافل أيضاً جاز» («٢»).

وكتب إليه (ع) أيضاً فى سنة (٣٠٨ ه-) كتاباً سأله فيه عن مسائل أخرى سأل: إن قبلنا مشايخ وعجائز يصومون رجباً منذ ثلاثين سنة وأكثر ويصلون بشعبان وشهر رمضان. وروى لهم بعض أصحابنا: أن صومه معصية؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٠٨

فأجاب (ع): «قال الفقيه: يصوم منه أياماً إلى خمسة عشر يوماً إلّا أن يصومه عن الثلاثة الأيام الفائتة، للحديث: إن نعم شهر القضاء

رجب».

وسأل عن الركعتين الأخراوين قد كثرت فيها الروايات فبعض يروى: أن قراءة الحمد وحدها أفضل، وبعض يروى: أن التسبيح فيهما أفضل. فالفضل لأيّهما لنستعمله؟ فأجاب (ع): «قد نسخت قراءة امّ الكتاب فى هاتين الركعتين التسبيح، والذى نسخ التسبيح قول العالم (ع): كل صلاة لا قراءة فيها فهو خداج إلّا للعليل أو يكثر عليه السهو فيتخوف بطلان الصلاة عليه».

وسأل: عن الرجل يعرض له الحاجة مما لا يدرى أن يفعلها أم لا، فيأخذ خاتمين فيكتب فى أحدهما: (نعم أفعل) وفى الآخر: (لا تفعل) فيستخير الله مراراً ثمّ يرى فيهما، فيخرج أحدهما فيعمل بما يخرج، فهل يجوز ذلك أم لا؟ والعامل به والتارك له هو مثل الاستخارة أم هو سوى ذلك؟

فأجاب (ع): «الذى سَنَّه العالم («۱») (ع) فى هذه الاستخارة بالرقاع والصلاة».

وسأل عن الرجل ينوى إخراج شىء من ماله وأن يدفعه إلى رجل من إخوانه ثمّ يجد فى أقربائه محتاجاً أيصرف ذلك عمّن نواه له أو إلى قرابته؟

فأجاب: «يصرفه إلى أدناهما وأقربهما من مذهبه فإن ذهب إلى قول العالم (ع): لا يقبل الله الصدقة وذو رحم محتاج، فليقسم بين القرابة وبين الذى نوى حتّى يكون قد أخذ بالفضل كله» («۲»).

أقول: فكل هذا الإرجاع من الحجة (ع) لأحاديث آبائه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٠٩

المعصومين (عليهم السلام) مع أنه معصوم أيضاً وقوله كقولهم حجة على العباد ليس إلّا لتعليم الشيعة على الرجوع إلى الأحاديث المأثورة عن آبائه (عليهم السلام) فى الغيبة الكبرى.

والأئمّة الإثنا عشر كلهم نور واحد ومشكاة واحدة، قال هشام بن سالم وهو من أجلّاء أصحاب الصادق (ع)، وكذلك قال حماد بن عثمان وغيره قالوا: سمعنا أبا عبد الله (ع) يقول: «حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدّى، وحديث جدّى حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول (ص)، وحديث رسول الله (ص) قول الله (عزوجل)» («۱»).

وقال جابر الجعفى (وهو من حوارى الباقر (ع)): قلت لأبى جعفر (ع): إذا حدّثتنى بحديث فأسنده لى، فقال: «حدّثنى أبى، عن جدّى، عن رسول الله (ص)، عن جبرئيل، عن الله تبارك وتعالى، وكلّ ما أحدّثك بهذا الإسناد، وقال: يا جابر لحديث واحد تأخذه عن صادق («۲») خير لك من الدنيا وما فيها» («۳»).

وروى الكلينى عن الصادق (ع) أنه قال: «ليس يخرج شىء من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١١٠

عند الله (عزوجل) حتّى يبدأ برسول الله (ص)، ثمّ بأمير المؤمنين (ع)، ثمّ بواحد بعد واحد، لكيلا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا» («۱»).

وروى الكلينى عن الحكم بن أبى نعيم قال: أتيت أبا جعفر (الباقر) (ع) وهو بالمدينة فقلت له: علىَّ نذر بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتّى أعلم أنك قائم آل محمّد أم لا؟ فلم يجبنى بشىء، فأقمت ثلاثين يوماً، ثمّ استقبلنى فى طريق فقال: «يا حكم وإنك لههنا بعد»، فقلت: نعم، إنى أخبرتك بما جعلت لله علىَّ فلم تأمرنى ولم تنهنى عن شىء ولم تجبنى بشىء، فقال: «بكّر علىَّ غدوة المنزل»، فغدوت عليه، فقال (ع): «سل عن حاجتك؟»، فقلت: إنى جعلت لله على نذراً وصياماً وصدقة بين الركن والمقام إن أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتّى أعلم أنك قائم آل محمّد أم لا؟ فإن كنت أنت رابطتك، وإن لم تكن أنت، سرت فى الأرض فطلبت المعاش، فقال: «يا حكم كلّنا قائم بأمر الله»، قلت: فأنت المهدى؟ قال: «كلّنا نهدى إلى الله»، قلت: فأنت صاحب السيف؟ قال: «كلّنا صاحب السيف ووارث السيف»، قلت: فأنت الذى تقتل أعداء الله ويعزُّ بك أولياء الله ويظهر بك دين الله؟

فقال: «يا حكم كيف أكون أنا وقد بلغت خمساً وأربعين سنة؟ وإن صاحب هذا الأمر أقرب عهداً باللبن منّى وأخفُّ على ظهر الدابة» («۲»).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۱

الأمر الخامس الرؤيا ليست مصدراً للتشريع ... ص: ۱۱۱

اشارة

إن الرؤيا بعنوان الوحى النبوى ليست مصدراً للتشريع إلّا للأنبياء والرسل خاصة.

قال تعالى: قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ («۱»).

وروى السيد البحرانى فى تفسيره عن الصدوق بسنده عن الحسن بن على بن فضال، قال: سألت أبا الحسن على بن موسى الرضا (ع) عن معنى قول النبى (ص): «أنا ابن الذبيحين»؟ قال: «يعنى إسماعيل بن إبراهيم (ع) وعبد الله بن عبد المطلب، أما إسماعيل فهو الغلام الحليم الذى بشَّر الله تعالى به إبراهيم (ع) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ ولم يقل له: يا أبتِ افعل ما رأيت» («... ۲») الحديث.

وبهذا المضمون عدّة روايات.

وقال تعالى: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً («۳»).

أى يريد كل واحد من هؤلاء الذين لم يؤمنوا أن يكون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۲

رسولًا يوحى إليه أو لعلَّه تفسير لقوله تعالى: وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً* أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلًا* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا («۱»).

وروى الكلينى بسنده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله (عزوجل): وَكانَ رَسُولًا نَبِيًّا («۲») ما الرسول وما النبى؟ قال: «النبى الذى يرى فى منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذى يسمع الصوت ويرى فى المنام ويعاين الملك»، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك»، ثمّ تلا هذه الآية: «وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ («۳»)» («۴»).

وروى أيضاً بسنده عن الحسن بن العبّاس المعروفى أنه كتب إلى الرضا (ع): جُعلت فداك أخبرنى ما الفرق بين الرسول والنبى والإمام؟ قال: فكتب أو قال: «الفرق بين الرسول والنبى والإمام أن الرسول الذى ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحى، وربما رأى فى منامه نحو رؤيا إبراهيم (ع)، والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۳

الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص» («۱»).

وبهذا المضمون عدّة روايات أخرى.

وروى المجلسى عن أمالى الشيخ الطوسى بسنده عن أمير المؤمنين (ع) قال: «رؤيا الأنبياء وحى» («۲»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۱۴

وروى الكلينى بسنده عن ابن أذينة عن أبى عبد الله (الصادق) (ع) قال: قال: «ما تروى هذه الناصبة؟»، فقلت: جعلت فداك فيما ذا؟ فقال: «فى أذانهم وركوعهم وسجودهم»، فقلت: إنهم يقولون: إن ابى بن كعب رآه فى النوم، فقال: «كذبوا فإن دين الله (عزوجل) أعز من أن يرى فى النوم» قال: فقال له سدير السيرفى: جُعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً، فقال أبو عبد الله (ع): «إن الله (عزوجل) لمّا عرج بنبيّه (ص) إلى سماواته السبع» («... ١») الحديث، ثمّ ذكر (ع) تفصيل ذلك.

وقال العلامة المجلسى (رض): قد ورد بأسانيد صحيحة عن الصادق (ع) فى حديث الأذان أن «دين الله تبارك وتعالى أعزُّ من أن يرى فى النوم» وقال: المراد أنه لا يثبت أصل شرعية الأحكام بالنوم بل إنما هى بالوحى الجلى («٢»).

وقد اتّضح أن المقصود من أن الرؤيا ليست مصدراً للشريعة إلّا للأنبياء خاصة أن الرؤيا المشتملة على الأمر والنهى هى أحد أقسام الوحى الإلهى للأنبياء، ومن المعلوم أنه مخصوص بمن ينبئ من الله (عزوجل).

أما الرؤيا الصادقة المشتملة على حكاية وقائع مستقبلية أى التى يكون مضمونها الأخبار بخلاف الرؤيا الأولى التى يكون مضمونها الإنشاء التشريعى الإلهى فهذه أيضاً تحصل للأنبياء والرسل وهى تكون صادقة دائماً لديهم.

قال تعالى: إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١١٥

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ* قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ («... ١») الآية، وهذه التى فيها التأويل والتعبير.

قال تعالى على لسان يعقوب (ع) مخاطباً يوسف (ع): وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ («٢»).

وقال تعالى: وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ («٣»)، وقال: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ. («۴»)

حيث رآى النبى (ص) ذلك عام الحديبية وهى سنة الست من الهجرة وصدقت العام الذى بعده.

هذا وقد بحث علماء الكلام (وهو العلم الباحث عن أصول العقائد) عن طريق معرفة النبى أنه مبعوث واطمئنانه بذلك وعن كيفية العصمة فى الوحى وتلقيه ومجمل الأدلّة العقلية فى ذلك هى بعينها الأدلّة الدالة على ضرورة بعث الله (عزوجل) الرسل والأنبياء لهداية عباده فهى على ضرورة تأييد الأنبياء وحفظهم وعصمتهم وفى نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: «وقد قرن الله به (ص) من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره» («
).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١١۶

واستفاضت الروايات بأنه (ص) لم يزل مؤيّداً بروح القدس يكلّمه ويسمع صوته ويرى الرؤيا الصادقة حتّى بعثه الله نبياً ورسولًا.

وقد سأل أصحاب الأئمّة عن ذلك، فعن زرارة بن أعين قال: قلت لأبى عبد الله (ع): كيف لم يخف رسول الله (ص) فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما ينزغ به الشيطان؟ فقال: «إن الله إذا اتخذ عبداً رسولًا أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذى يأتيه من قبل الله مثل ما يراه بعينه» («١»).

وروى الكلينى بسنده عن بُريد أنه سأل أبا جعفر (الباقر) وأبا عبد الله الصادق (ع) قال: قلت: فما الرسول والنبى والمحدّث؟ قال: «الرسول الذى يظهر له الملك فيكلمه، والنبى هو الذى يرى فى منامه، وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد، والمحدّث الذى يسمع الصوت ولا يرى الصورة»، قال: قلت: أصلحك الله كيف يعلم أن الذى رأى فى النوم حق وأنه من الملك؟ قال: «يوفق حتّى يعرفه، لقد ختم الله بكتابكم الكتب، وختم بنبيّكم الأنبياء» («٢»).

وروى عن محمّد بن هارون، عن أبى عبد الله (ع) قال: «ما علم رسول الله أن جبرئيل من عند الله إلّا بالتوفيق» («٣»).

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ («۴»). فالوحى إنزال حق ومعصوم، وفى تلقى الرسول إيّاه حق ومعصوم، وقال

عزَّ من قائل: وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ وَما يَنْبَغِي لَهُمْ وَما يَسْتَطِيعُونَ («۵»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١١٧

إذا تنبهت إلى مجمل ما سبق يتّضح لك أن غير المعصوم من سائر الناس ليس له أىّ حظّ من الرؤيا من النحو الأوّل وهى ما يكون فيها إنشاء أىّ أوامر ونواهى إلهية ونحوها من الأحكام الشرعية، وإن توهم ذلك متوهم فليستيقن بأن ذلك من الشياطين وقد أشار القرآن الكريم إلى عدّة من أفعال الشياطين.

فمنها: الهمز كما فى قوله تعالى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ («١»).

ومنها: النزول على الأفّاك (أى الكذّاب المفترى) الآثم كما فى قوله تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ* تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («٢»).

ومنها: الاستهواء كما فى قوله تعالى: كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرانَ («٣»).

ومنها: النزغ كما فى قوله تعالى: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ («۴»).

ومنها: المسّ كما فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا («۵»).

ومنها: الأز كما فى قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا («۶»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١١٨

ومنها: الإلقاء كما فى قوله تعالى: لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ («١»).

ومنها: الإيحاء كما فى قوله تعالى: إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ («٢»)، وغير ذلك من الآيات.

وعن الباقر (ع) قال: «لمّا ترون من بعثه الله (عزوجل) للشقاء على أهل الضلالة من أجناد الشياطين وأرواحهم أكثر مما ترون مع خليفة الله الذى بعثه للعدل والصواب للملائكة»، قيل: يا أبا جعفر، وكيف يكون شىء أكثر من الملائكة؟ قال: «كما يشاء الله (عزوجل)». قال السائل: يا أبا جعفر إنّى لو حدّثت بعض أصحابنا الشيعة بهذا الحديث لأنكروه، قال: «كيف ينكرونه؟»، قال: يقولون: إن الملائكة أكثر من الشياطين. قال: «صدقت افهم عنّى ما أقول لك: إنه ليس من يوم ولا ليلة إلّا وجميع الجن والشياطين تزور أئمّة الضلالة، وتزور أئمّة الهدى عددهم من الملائكة، حتّى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولى الأمر قيض الله (عزوجل) من الشياطين بعددهم، ثمّ زاروا ولى الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتّى لعلَّه يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سئل ولى الأمر عن ذلك لقال: رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتّى يفسّر له تفسيراً ويعلّمه الضلالة التى هو عليها» («٣»).

والهمز كالعصر، والنزغ الجذب للشىء من مقره، والمسّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١١٩

كاللمس، والأز كالهز، وهذه الأفعال توردها الشياطين فى القلوب بتوسط الخواطر والواردات والميول والتجاذب النفسى.

وعن كتاب (مجالس الصدوق) («١») بسنده عن أبى بصير، عن أبى جعفر (ع) قال: سمعته يقول: «إن لإبليس شيطاناً يقال له: (هزع) يملأ المشرق والمغرب فى كل ليلة يأتى الناس فى المنام، ولهذا يرى الأضغاث».

نعم، الرؤيا من القسم الثانى وهى المتضمنة للأخبار والحكاية عن الوقائع المستقبلة، فلغير المعصوم حظّ يسير منها بحسب تقواه وصدق حديثه ولسانه وصفاء قلبه، فعن الصدوق (على بن بابويه) بسند عن الكاظم عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (ص): «الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشياطين، والذى يحدّث به الإنسان نفسه فيراه فى منامه» («٢»)، وقال (ص): «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» («٣»).

ولا تخفى دلالة الرواية على أن الرؤيا الصادقة التى هى نصيب غير المعصوم هى ما تكون بشرى، أى حاكية ومخبرة، أى من القسم

الثانى لا الأوّل، وهى المتضمنة للإنشاء والتشريع.

ومثل ذلك مفاد الرواية عن الباقر (ع)، عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: أتى رجل من أهل البادية رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله أخبرنى عن قول الله: الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ* لَهُمُ الْبُشْرى فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِى الْآخِرَةِ («۴»)، فقال رسول الله (ص): «أما قوله: لَهُمُ الْبُشْرى فِى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۰

الْحَياةِ الدُّنْيا فهى الرؤيا الحسنة ترى للمؤمن فيبشّر بها فى دنياه، وأما قوله: وَفِى الْآخِرَةِ فإنها بشارة للمؤمن عند الموت إن الله غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك» («۱»).

وروى الكلينى بسنده عن أبى الحسن (ع) قال: «إن الأحلام لم تكن فى ما مضى فى أوّل الخلق وإنما حدثت»، فقلت: وما العلّة فى ذلك؟ فقال: «إن الله عزَّ ذكره بعث رسولًا إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا؟ فوالله ما أنت بأكثرنا مالًا ولا بأعزّنا عشيرة، فقال: إن أطعتمونى أدخلكم الله الجنّة وإن عصيتمونى أدخلكم الله إلى النار. فقالوا: وما الجنّة وما النار؟ فوصف لهم ذلك فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متّم. فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله (عزوجل) فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك. فقال: إن الله عزَّ ذكره أراد أن يحتجَّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم، وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان» («۲»).

وإذا عرفت أن الرؤيا التى هى من نحو الأخبار على ثلاثة أقسام: صادقة، وكاذبة، وتخيّلات، يتّضح لك عدم دوام الصدق فيها ففى كتاب (التوحيد) («۳») للمفضل بن عمر الجعفى قال له الإمام الصادق (ع): «فكّر يا مفضل فى الأحلام كيف دُبّر الأمر فيها، فمزج صادقها بكاذبها، فإنها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلّها تكذب

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۱

لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلًا لا معنى له، فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس فى مصلحة يهتدى لها، أو مضرّة يتحذر منها، وتكذب كثيراً لئلّا يعتمد عليها كل الاعتماد».

وعن كتاب (بصائر الدرجات) («۱») فى قصة الحسن بن عبد الله الرافقى (الواقفى) الزاهد العابد، حيث كان يلقاه السلطان فيستقبله بالكلام الصعب يعظه ويأمره بالمعروف، وكان يحتمله لصلاحه، فلم يزل حاله حتّى اهتدى للمعرفة على يد الإمام الكاظم (ع) فى لقاءات متعددة، وكان يرى الرؤيا الحسنة وترى له، ثمّ انقطعت عنه الرؤيا، فرأى ليلة أبا عبد الله (ع) فيما يرى النائم فشكى إليه انقطاع الرؤيا، فقال: «لا تغتم فإن المؤمن إذا رسخ فى الإيمان رفع عنه الرؤيا».

ولعلَّ ذلك مراد ما حكاه الشيخ المفيد قال: (وقد كان شيخى (رض) قال لى: إن كل من كثر علمه واتّسع فهمه قلَّت مناماته) («۲»).

وعن كتاب (ثواب الأعمال) («۳») للصدوق (رض) بسنده عن هشام بن أحمد، وعبد الله ابن مسكان، ومحمّد بن مروان، عن أبى عبد الله (ع) قال: «ثلاثة يعذّبون يوم القيامة: من صوَّر صورة من الحيوان حتّى ينفخ فيها وليس بنافخ فيها، والذى يكذب فى منامه يعذّب حتّى يعقد بين شعيرتين وليس بعاقدهما، والمستمع من قوم وهم له كارهون يصبُّ فى أذنيه الإنك وهو الأسرب (الرصاص)».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۲۲

جواب شبهة من رآنى فى منامه فقد رآنى ... ص: ۱۲۲

»: وبعد هذا كلّه لعلَّ قائلًا يقول: أليس قد روى عن رسول الله (ص) أنه قال: «من رآنى فى منامه فقد رآنى لأن الشيطان لا يتمثّل فى صورتى ولا فى صورة أحد من أوصيائى ولا فى صورة أحد من شيعتهم» («۱») وحينئذٍ كانت رؤيا الرسول (ص) أو أحد أوصيائه صادقة لا محالة، وهى لا يفرق فيها بين أن تكون من القسم الأوّل وهى ما كان فيها أمر ونهى، أو من القسم الثانى وهى الأخبار عن ما

يستقبل من الأمور.

وهذه المقالة وَهْمٌ فاسد لجهات عدّة:

الأولى: أن أكثر ما روى عن الرسول (ص): «من رآنى فى منامه فقد رآنى» فهو بطرق العامة لا بطرق الخاصة الإمامية، وأما ما روى بطريق الخاصة فالمرحوم العلّامة المجلسى على سعة باعه وتوغله فى الرواية لم يذكر فى كتاب البحار، فى باب رؤية النبى (ص) والأوصياء (عليهم السلام) إلّا رواية واحدة بهذا المضمون، ثمّ ذكر أنه روى المخالفون (أهل السنّة) ذلك بأسانيد عندهم، ولذا قال السيد المرتضى عندما سئل عن هذا الخبر: (هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد، ولا معوّل على مثل ذلك) («٢»).

وهى ليست على درجة من الاعتبار، وبعبارة أخرى أن حجية الرواية يشترط فيها أمور منها ما يتعلق بالسند والطريق وهو الأشخاص الذين ينقل كل منهم عن الآخر حتّى يصل إلى المعصوم (ع)، فإنهم لا بدَّ أن يكونوا عدولًا أو ثقاتاً قد اطمئن إلى صدق لهجتهم، فلا يقبل من

غير العادل والثقة، قال تعالى: إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ («١»)، وكذلك مجهول الحال فإنه لا يمكن الاعتماد عليه فى النقل والحديث.

الثانية: أن هذه المسألة وهى كون الرؤيا مصدراً لاستقاء أحكام الشريعة من سلك مسائل الأصول الاعتقادية فكيف يعوّل فيها على خبر واحد ظنّى، إذ لا بدَّ فيها من اليقين والقطع، ولذلك قال العلامة المجلسى تغمّده الله برحمته: (أن الظاهر إن هذا من مسائل الأصول، ولا بدَّ فيه من العلم، ولا يثبت بأخبار الآحاد المفيدة للظن) («٢»).

الثالثة: لو فرضنا اعتبار طريق الرواية وفرضنا إمكان إثبات مثل هذه المسألة بخبر واحد ظنّى فإن ذلك يتم لو كنّا نحن والرواية على تقدير صحة هذه الاستفادة من معنى الرواية، وأما مع ما تقدّم من الآيات القرآنية والسُنّة المستفيضة المتواترة معنى فى أن الرؤيا المتضمنة للأمر والنهى من خصائص الأنبياء والمرسلين فلا يمكن الاعتماد على هذه الاستفادة من الرواية ولا برفع اليد عن الدليل القطعى بخبر واحد، ولا يوسوس فى ذلك إلّا من ليس يتحرّج فى دينه ومن لا يركن إلى أوّليات عقله وفطرته.

الرابعة: توجد روايتان معتبرتان بل أكثر تدلُّ بالخصوص على عدم صحة أن من رآهم فى المنام مطلقاً ودوماً فقد رآهم (عليهم السلام)، فقد روى الشيخ الجليل الكشّى فى كتابه (معرفة الرجال) («٣») عن جبريل بن أحمد أنه حدّثه محمّد بن

عيسى (العبيدى اليقطينى)، عن على بن الحكم، عن حمّاد بن عثمان، عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله (الصادق) (ع): «أخبرنى عن حمزة («١») أيزعم أن أبى آتيه؟»، قلت: نعم. قال: «كذب والله ما يأتيه إلّا المتكوّن، إن إبليس سلّط شيطاناً يقال له: المتكوّن يأتى الناس فى أىّ صورة شاء، إن شاء فى صورة صغيرة وإن شاء فى صورة كبيرة، ولا والله ما يستطيع أن يجىء فى صورة أبى (ع)».

وروى عن سعد بن عبد الله الأشعرى قال: حدّثنى أحمد (بن عيسى الأشعرى)، عن أبيه، والحسين بن سعيد (الأهوازى)، عن ابن أبى عمير، عن محمّد بن عمر بن أذينة، عن بُريد بن معاوية العجلى، وبطريق آخر عن سعد بن عبد الله، قال: حدّثنى محمّد بن عيسى (العبيدى)، عن يونس بن عبد الرحمن، ومحمّد بن أبى عمير، عن محمّد بن عمر بن أذينة، عن بُريد بن معاوية العجلى، قال: كان حمزة بن عمارة الزبيدى (البربرى) لعنه الله يقول لأصحابه أن أبا جعفر (الباقر) (ع) يأتينى فى كل ليلة ولا يزال إنسان يزعم أنه قد رآه فقدّر لى أنى لقيت أبا جعفر (ع) فحدّثته بما يقول حمزة، فقال: «كذب، عليه لعنة الله ما يقدر الشيطان أن يتمثل فى صورة نبى ولا وصى نبى» («٢»).

وهاتان الروايتان وإن كان يحتمل منهما الرؤية فى اليقظة، ولكن ذلك لا يخدش فى المطلوب وهو عدم دوام المطابقة بين ما يعتقده الرائى سواء فى المنام أو اليقظة أنه قد رأى الأئمّة مع الواقع والحقيقة، وذلك لتلبيس وخداع الشيطان للرائى وتشكّل الشيطان (الذى

يسمى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٢٥

المتكوّن) بصور مختلفة يغرى الرائى أن تلك الصور هم الأئمّة (عليهم السلام)، مع أن تلك الصور ليست بصورهم (عليهم السلام)، لأنه لا يستطيع التمثّل والتشكّل بصورهم (عليهم السلام)، وستأتى فى الفصل اللاحق نقل عدّة روايات بهذا المضمون.

الخامسة: لو رفعنا اليد فرضاً عن ما سبق فإنما يتبع ما يرى فى الشىء الذى علم من الشريعة المقدسة صحته، أى كان المرئى موافقاً لظاهر الشريعة لا ما كان مخالفاً لها، وذلك لكون منشأ ودليل حجيّة الرؤية هى هذه الرواية التى هى واصل لنا من الشريعة، فكيف تعارض الشريعة، وهل يمكن للفرع أن يستأصل ويبيد الأصل.

قال الكراجكى فى كتابه (كنز الفوائد) («١»): (وجدت لشيخنا المفيد (رض) فى بعض كتبه: أن الكلام فى باب رؤيا المنامات عزيز، وتهاون أهل النظر به شديد، والبلية بذلك عظيمة، وصدق القول فيه أصل جليل ... إلى أن قال:

وأما رؤية الإنسان للنبى (ص) أو لأحد الأئمّة (عليهم السلام) فى المنام فإن ذلك عندى على ثلاثة أقسام:

قسم أقطع على صحته، وقسم أقطع على بطلانه، وقسم أجوّز فيه الصحة والبطلان فلا أقطع فيه على حال.

فأما الذى أقطع على صحته فهو كل منام رأى فيه النبى (ص) أو أحد الأئمّة (عليهم السلام) وهو الفاعل لطاعة أو آمر بها، وناهٍ عن معصية أو مبيّن لقبحها، وقائل لحق أو داع إليه، وزاجر عن باطل أو ذام لمن هو عليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٢٦

وأما الذى أقطع على بطلانه فهو كل ما كان ضد ذلك، لعلمنا أن النبى (ص) والإمام (ع) صاحبا حق، وصاحب الحق بعيد عن الباطل.

وأما الذى أجوّز فيه الصحة والبطلان فهو المنام الذى يرى فيه النبى والإمام (ع) وليس هو آمراً ولا ناهياً ولا على حال يختص بالديانات («١») مثل أن يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً ونحو ذلك.

وأما الخبر الذى يروى عن النبى (ص) من قوله: «من رآنى فقد رآنى، فإن الشيطان لا يتشبّه بى» فإنه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون فى كل حال، ويكون المراد به القسم الأوّل من الثلاثة الأقسام، لأن الشيطان لا يتشبّه بالنبى (ص) فى شىء من الحق والطاعات ... إلى أن قال:

وجميع هذه الروايات أخبار آحاد، فإن سلمت فعلى هذا المنهاج، وقد كان شيخى يقول:

إذا جاز من بشر أن يدّعى فى اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قلّة حيلة البشر وزوال اللبس فى اليقظة فما المانع من أن يدّعى إبليس عند النائم بوسوسة له أنه نبى؟ مع تمكّن إبليس مما لا يتمكن منه البشر وكثرة اللبس المعترض فى المنام.

ومما يوضح لك أن من المنامات التى يتخيل للإنسان أنه قد رأى فيها رسول الله والأئمّة منها ما هو حق ومنها ما هو باطل إنك ترى الشيعى يقول: رأيت فى المنام رسول الله (ص) ومعه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) وهو يأمرنى بالاقتداء به دون غيره، ويعلمنى أنه خليفته من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٢٧

بعده وأن أبا بكر وعمر وعثمان ظالموه وأعداؤه وينهانى عن موالاتهم ويأمرنى بالبراءة منهم ونحو ذلك مما يختص بمذهب الشيعة، ثمّ يرى الناصبى يقول: رأيت رسول الله فى النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهو يأمرنى بمحبتهم وينهانى عن بغضهم ويعلمنى أنهم أصحابه فى الدنيا والآخرة، وأنهم معه فى الجنّة ونحو ذلك مما يختصّ بمذهب الناصبية، فنعلم لا محالة أن أحد المنامين حق والآخر باطل فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت الدليل فى اليقظة على صحة ما تضمنه، والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه، وليس يمكن الشيعى أن يقول للناصبى: إنك كذبت فى قولك إنك رأيت رسول الله (ص)، لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه.

وقد شاهدنا ناصبياً يتشيّع وأخبرنا فى حال تشيّعه بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه حال نصبه، فبان بذلك أن أحد المنامين باطل، وأنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك، وأن المنام الصحيح هو لطف من الله تعالى بعبده على المعنى المتقدم وصفه.

وقولنا فى المنام الصحيح: إن الإنسان رأى فى نومه النبى (ص) إنما معناه أنه كأن قد رآه، وليس المراد به التحقق فى اتصال شعاع بصره بجسد النبى (ص)، وأىّ بصر يدرك به فى حال نومه؟ وإنما هى معانى تصورت، وفى نفسه تخيّل له فيها أمر لطف الله تعالى له به قام مقام العلم، وليس هذا بمناف للخبر الذى روى من قوله: «من رآنى فقد رآنى»، لأن معناه: فكأنما رآنى، وليس يغلط فى هذا المكان إلّا من ليس له من عقله اعتبار).

ولهذا بحث الكثير فى علم ما اصطلح عليه ب- (العرفان) عن الفارق

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٢٨

بين الإلهام الرحمانى والإلهام الشيطانى، وبين الكشف الحقيقى والكشف الكاذب غير الحقيقى، وبين الواردات الرحمانية والملكية والواردات القلبية الشيطانية والجنية.

فقد ذكر الشارح القيصرى فى شرحه على (فصوص الحكم) لابن العربى فى الفصل السادس والسابع من الفصول التى ذكرها فى المقدمة، قال: (وكما أن النوم ينقسم بأضغاث أحلام وغيرها كذلك ما يرى فى اليقظة ينقسم إلى أمور حقيقية محضة واقعة فى نفس الأمر وإلى أمور خيالية صرفة لا حقيقة لها شيطانية، وقد يخلطها الشيطان بيسير من الأمور الحقيقية ليضلّ الرائى، لذلك يحتاج السالك إلى مرشد يرشده وينجّيه من المهالك والأوّل إما أن يتعلّق بالحوادث أو لا.

فإن كان متعلقاً بها فعند وقوعها كما شاهدها أو على سبيل التعبير وعدم وقوعها حصل التميز بينهما وبين الخيالية الصرفة وعبور الحقيقة عن صورتها الأصلية إنما هو للمناسبات التى بين الصور الظاهرة هى فيها وبين الحقيقة، ولظهورها فيها أسباب كلّها راجعة إلى أحوال الرائى وتفصيله يؤدّى إلى التطويل.

وأما إذا لم يكن كذلك (أى الرؤيا غير الأخبارية بالمستقبليات) فللفرق بينها وبين الخيالية الصرفة موازين يعرفها أرباب الذوق والشهود بحسب مكاشفاتهم، كما أن للحكماء ميزاناً يفرّق بين الصواب والخطأ وهو المنطق.

منها: ما هو ميزان عام، وهو القرآن والحديث المنبئ كل منهما على الكشف التام المحمّدى (ص).

ومنها: ما هو خاص، وهو ما يتعلق بحال كل منهم القابض عليه من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٢٩

الاسم الحاكم والصفة العالية عليه، وسنومى فى الفصل التالى (أى السابع) بعض ما يعرف به إجمالًا) («١»).

أقول: فترى أن الميزان عندهم لكون ما يرد على القلب وما ينكشف له سواء بالرؤية فى المنام أو فى اليقظة أو بغير الرؤية من الإلهام القلبى وغيره الميزان بين الحق والحقيقى منه وبين الباطل والشيطانى والخيالى الذى لا واقعية له هو القرآن الكريم والسُنّة المطهرة.

وقد برهن الشارح القيصرى على ذلك بحسب مصطلح علم العرفان بقوله فى الفصل السابع:

(ولمّا كان من الكشف الصورى والمعنوى على حسب استعداد السالك ومناسبات روحه وتوجّه سرّه إلى كل من أنواع الكشف، وكانت الاستعدادات متفاوتة والمناسبات متكثرة صارت مقامات الكشف متفاوتة بحيث لا يكاد ينضبط، وأصحُّ المكاشفات وأتمّها إنما يحصل لمن يكون مزاجه الروحانى أقرب إلى الاعتدال التام كأرواح الأنبياء والكمل من الأولياء صلوات الله عليهم) («٢»).

ولذا تقرر عندهم أن كل كشف فهو يعرض على كشف الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، فإن وافقه فيعلم صحته وإلّا فيعلم فساده، وأن الكشف المعصوم من الباطل هو كشف الأنبياء المتجلّى فى الكتب السماوية التى يبعثون بها، وكذلك أقوالهم وأفعالهم.

وذكر أيضاً السيد حيدر بن على الحسينى الأملى والذى وصفه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣٠

القاضى التسترى (فى مجالس المؤمنين) بالعارف المحقق الأوحد من أصحابنا الإمامية المتألهين («١») (فى كتابه جامع الأسرار ومنبع الأنوار) («٢»):

(وأما الإلهام العام فيكون بسبب وغير سبب، ويكون حقيقياً وغير حقيقى، فالذى يكون بالسبب ويكون حقيقياً فهو بتسوية النفس وتحليتها وتهذيبها بالأخلاق المرضية والأوصاف الحميدة موافقاً للشرع ومطابقاً للإسلام لقوله تعالى: وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها («٣») والذى يكون بغير السبب ويكون غير حقيقى فهو يكون لخواص النفوس واقتضاء الولادة والبلدان كما يحصل للبراهمة والكشايش (القساوسة) والرهبان.

والتمييز بين هذين الإلهامين محتاج إلى ميزان إلهى ومحك ربّانى، وهو نظر الكامل المحقق والإمام المعصوم والنبى المرسل المطلع على بواطن الأشياء على ما هى عليه واستعدادات الموجودات وحقائقها، ولهذا احتجنا بعد الأنبياء والرسل (عليهم السلام) إلى الإمام والمرشد لقوله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ («۴»)، لأن كل واحد ليس له قوة التمييز بين الإلهامين الحقيقى وغير الحقيقى، وبين الخاطر الإلهى والخاطر الشيطانى، وغير ذلك. والذكر هو القرآن أو النبى، وأهله هم أهل بيته من الأئمّة المعصومين المطّلعين على أسرار القرآن وحقائقه ودقائقه، ولقوله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣١

تعالى أيضاً تأكيداً لهذا المعنى: فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ («١»)، أى إلى أهل الله تعالى وأهل رسوله، والآيات الدالة على متابعة الكامل والمرشد الذى هو الإمام المعصوم أو العلماء الورثة من خلفائهم كثيرة فارجع إليها لأن هذا ليس موضعها.

فنرجع ونقول: وإن تحققت عرفت أيضاً أن الخواطر التى قسّموها إلى أربعة أقسام: إلهى، وملكى، وشيطانى، ونفسانى كان سببه ذلك، أى عدم العلم بالإلهامين المذكورين، أعنى الحقيقى وغير الحقيقى، لأنها كلّها من أقسام الإلهام وتوابعه).

ونقل المتقى الهندى صاحب كنز العمال فى كتابه (البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان) («٢») عن الشيخ الحسن الشاذلى المالكى رئيس الطريقة الشاذلية (الصوفية) أنه قال: (إن الله تعالى ضمن العصمة فى جانب الكتاب والسُنّة، ولم يضمنها فى جانب الكشف والإلهام).

ونقل عن أبى القاسم القشيرى النيشابورى الأشعرى الشافعى (الصوفى المفسر المحدّث الفقيه العارف) أنه قال: (لا ينبغى للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة من الخطأ والزلل).

هذا وقد عقد الشيخ الكلينى فى أصوله تحت عنوان: أن للقلب أذنين ينفث فيهما الملك والشيطان، وروى عن الصادق (ع):

«ما من قلب إلّا وله أذنان على إحداهما ملك مرشد وعلى الأخرى شيطان مفتن هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣٢

والملك يزجره عنها وهو قول الله (عزوجل): عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ* ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ («١»)» («٢»).

وقال (ع): «ما من مؤمن إلّا ولقلبه أذنان فى جوفه أذن ينفث فيهما الوسواس الخنّاس وأذن ينفث فيهما الملك فيؤيّد الله المؤمن بالملك فذلك قوله: وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ («٣»)» («۴»).

و (سأل) السيد مهنا بن سنان العلّامة الحلّى (رض) عن مفاد هذه الرواية وأنه لو فرض أن الرؤية متضمنة للأمر بالشىء أو النهى عن شىء، فهل يتمثل ذلك الأمر ويجتنب المنهى أم لا، سيّما إذا كان خلاف ظاهر الشريعة؟

(فأجابه) نوّر الله ضريحه: (أما ما يخالف الظاهر فلا ينبغى المصير إليه، وأما ما يوافق الظاهر فالأولى المتابعة من غير وجوب، ورؤيته (ص) لا يعطى وجوب الاتّباع فى المنام) («۵»).

الخامسة: ما هو مفاد الرواية ودلالتها؟ فقد تعدّدت الآراء فى ذلك:

أ ما حكى عن الفيض الكاشانى أن معنى الروايـة هو من رآنى أى تحقق وتيقّن من رؤيـة صورتى، لأنه قـد رآه فى اليقظـة. فقـد رآه تحقيقاً وحقيقة لأن الشيطان لا يتمثل بصورته (ص).

وحينئذٍ يكون مفاد الحديث مخصوص بمن شهد زمانه (ص) أو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣٣

أحد الأئمّة فى ظهورهم (عليهم السلام) أو من عرف أوصافهم (عليهم السلام) وشمائلهم المنقولة فى الكتب بدقّة.

وهـذا الإلحـاق والتتمـة من بعض المتأخّرين، ويشـهد له التعليل فى الروايـة، لأن الشـيطان لا يتمثل فى صورتى ولا فى صورة أحـد من أوصـيائى، فإن ذلك يعنى حصر الرؤية بصورهم المختصة بهم (عليهم السلام)، وهى التى كانوا عليها فى حياتهم من شمائلهم الخاصة بهم.

ب ما أفاده السـيد المرتضى فى كتاب (الغرر والدرر) («١») وهو: «من رآنى فى اليقظـة فقد رآنى على الحقيقة، لأن الشـيطان لا يتمثل بى لليقظان»، فقـد قيل: إن الشـياطين ربما تمثّلت بصورة البشـر، وهذا التشبيه أشـبه بظاهر ألفاظ الخبر، لأنه قال: «من رآنى فقد رآنى»، فأثبت غيره رائياً له ونفسه مرئيـة، وفى النوم لا رائى له فى الحقيقـة ولا مرئى وإنما ذلك فى اليقظـة، ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام من اعتقد أنه يرانى فى منامه، وإن كان غير راءٍ له على الحقيقة فهو فى الحكم كأنه قد رآنى، وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته) انتهى.

أقول: ما أفاده السـيد يفهم من الكلام المتقدم للشـيخ المفيد، ولكن هذا المفاد ينسـجم مع بعض الروايات المنقولة بطرق العامة، حيث لم يقيّد فيها الرؤية بكونها فى المنام.

ج أن المراد هو الزيارة بالزاى المنقوطـة المعجمـة، إذ فى كتاب عيون الشـيخ الصدوق («٢») وهى الروايـة التى نقلها العلامة المجلسـى فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣٤

كتـاب البحار («١») ونقلهـا أيضـاً عن مجـالس (أمـالى) («٢») الصـدوق: «مـن زارنى فى منـامه فقـد رآنى» بـالزاى المعجمـة، نعـم فى (الأمـالى) بالراء غير المعجمـة، وحينئـذٍ يكون المعنى أن الزيارة فى المنام تعـدل الزيارة فى اليقظـة فى الثواب، ويمكن أن تقرب هـذه النسخة بأن الكلام فى ابتداء الرواية كان حول ثواب زيارة الإمام الرضا (ع).

ولكن نسخة الراء غير المعجمة أنسب بمجموع الرواية.

د أن المراد هو بيان فضـيلة هذه الرؤية والتشـرف بهم (عليهم السلام) وصدق ما يخبرون به فى المنام إذا رآهم النائم بصورهم الخاصة بهم، ويشـهد ذلـك مورد الروايـة التى بطرقنـا والروايـات التى بطرق العامـة، فـإن الاستشـهاد ب- «من رآنى فى منـامه فقـد رآنى لأن الشيطان لا يتمثل فى صورة أحد من أوصيائى» فى الرواية وقع للإستدلال بصدق ما أخبر به النائم فى الرؤيا من قبلهم (عليهم السلام).

ثمّ ليتنبّه إلى أن الأمر والنهى فى الرؤية (تارة) يكون كتشـريع حكم كلّى وأنه لا يختص بالنائم بل لسائر المكلفين، فهذا ليس إلّا وحى يختص به الأنبياء.

(وتارة) يكون أمر جزئى شخصـى للنائم خاصة لمرّة واحدة فقط مثل: ابن مسـجداً، أو تصدق بكذا من مالك، ونحو ذلك. فهذا الذى تقدّم أنه إن وافق الشـريعة فلا حرج فى المتابعة من دون وجوب شـرعى كما أفاده العلامة الحلّى (رض) وجزم بصـحة (الرؤية) الشـيخ المفيد، وإن عارض وخالف الشريعة فلا ينبغى المصير إليه، كما عبّر بذلك العلّامة الحلّى، وقطع ببطلانه الشيخ المفيد.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣٥

ولنختم هذا الأمر برواية عن الإمام الصادق (ع) أخرجها المجلسى عن كتاب (مصباح الشريعة) («١») قال:

«إن الله (عزوجل) مكّن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته، وعلّمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يشبه

أخلاقهم وأحوالهم أحد من الخلائق أجمعين، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، وجعل حبّهم وطاعتهم سبب رضاه، وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه، وأمر كل قوم باتّباع ملّة رسولهم، ثمّ أبى أن يقبل طاعة أحد إلّا بطاعتهم ومعرفة حقّهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله، فعظّم جميع أنبياء الله. ولا تنزلهم بمنزلة أحد من دونهم، ولا تتصرّف بعقلك فى مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلّا ببيان محكم من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقق بها فضائلهم ومراتبهم، وأنى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله؟ وإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأت صحبتهم وأنكرت معرفتهم وجهلت خصوصيتهم بالله، وسقطت عن درجة حقيقة الإيمان والمعرفة، فإيّاك ثمّ إيّاك».

وليعلم أن من خواص النبى (ص) والأوصياء أنهم تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ووردت بذلك الروايات المستفيضة.

كما وللسيد المرتضى رفع الله درجته تحقيقاً فى المقام يكون نهاية للمطاف قال فى كتاب (الغرر والدرر) («٢»):

(إعلم أن النائم غير كامل العقل، لأن النوم ضرب من السهو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣٦

والسهو ينفى العلوم، ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه، وجميع المنامات إنما هى اعتقادات يبتدئها النائم فى نفسه، ولا يجوز أن تكون من فعل غيره فيه، لأن من عداه من المحدّثين سواء كانوا بشراً أو ملائكة أو جناً أجسام والجسم لا يقدر أن يفعل فى غيره اعتقاداً ابتداء بل ولا شيئاً من الأجناس على هذا الوجه، وإنما يفعل ذلك فى نفسه على سبيل الابتداء وإنما قلنا: إنه لا يفعل فى غيره جنس الاعتقادات متولّداً، لأن الذى يعدى الفعل من محل القدرة إلى غيرها من الأسباب إنما هو الاعتمادات، وليس جنس الاعتمادات ما يولد الاعتقادات، ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولّد فيه شىء من الاعتقادات، وقد بيّن ذلك وشرح فى مواضع كثيرة، والقديم تعالى هو القادر أن يفعل فى قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الاعتقادات.

ولا يجوز أن يفعل فى قلب النائم اعتقاداً، لأن أكثر اعتقادات النائم جهل، ويتأول الشىء على خلاف ما هو به، لأنه يعتقد أنه يرى ويمشى وأنه راكب وعلى صفات كثيرة، وكل ذلك على خلاف ما هو به، وهو تعالى لا يفعل الجهل، فلم يبقَ إلّا أن الاعتقادات كلّها من جهة النائم، وقد ذكر فى المقالات أن المعروف [بصالح قبه] كان يذهب إلى ما يراه النائم فى منامه على الحقيقة، وهذا جهل منه يضاهى جهل السوفسطائية، لأن النائم يرى أن رأسه مقطوع وأنه قد مات وأنه قد صعد إلى السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كلّه، وإذا جاز عند صالح هذا أن يعتقد اليقظان فى السراب أنه ماء وفى المردى (خشبة يدفع بها

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣٧

الملّاح السفينة) إذا كان فى الماء أنه مكسور وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشبهة واللبس، فألا جاز ذلك فى النائم وهو من الكمال أبعد ومن النقص أقرب)، انتهى كلامه.

وللحكماء والفلاسفة تحقيقات حول أقسام الرؤية بلحاظ عالم الخيال والعقل والقوة والواهمة وغير ذلك لا يسع المقام لها.

وفى الروايات المأثورة عن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ما يهتدى به إلى كثير من أبحاث المقام.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣٨

الأمر السادس نبذة من أحوال النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى ... ص: ١٣٨

قال الصدوق: حدّثنا محمّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى (رض)، قال: كنت عند الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (رض) مع جماعة فيهم على بن عيسى القصرى، فقام إليه رجل فقال له: إنّى اريد أن أسألك عن شىء؟ فقال له: سل عمّا بدا لك. فقال الرجل: أخبرنى عن الحسين بن على (ع) أهو ولى الله؟ قال: نعم.

قال: أخبرنى عن قاتله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل يجوز أن يسلّط الله (عزوجل) عدوّه على وليّه؟ فقال له أبو القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه): افهم عنّى ما أقول لك، اعلم أن الله (عزوجل) لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان ولا يشافههم بالكلام، ولكنه (جل جلاله) يبعث إليهم رسلًا من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليهم رسلًا من غير صنفهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم، فلمّا جاؤوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا ولا نقبل منكم حتّى تأتوننا بشىء نعجز أن نأتى بمثله فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه، فجعل الله (عزوجل) لهم المعجزات التى يعجز الخلق عنها.

فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والأعذار، فغرق جميع من طغى وتمرّد.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٣٩

ومنهم من ألقى فى النار فكانت برداً وسلاماً.

ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة وأجرى من ضرعها لبناً.

ومنهم من فلق له البحر وفجر له من الحجر العيون، وجعل له العصا اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون.

ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم.

ومنهم من انشق له القمر، وكلّمته البهائم مثل البعير والذئب، وغير ذلك.

فلمّا أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق عن أمرهم، وعن أن يأتوا بمثله كان من تقدير الله (عزوجل) ولطفه وحكمته أن جعل أنبياءه (عليهم السلام) مع هذه القدرة والمعجزة فى حالة غالبين وأخرى مغلوبين وفى حال قاهرين وفى أخرى مقهورين، ولو جعلهم الله (عزوجل) فى جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله (عزوجل)، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار.

ولكنه (عزوجل) جعل أحوالهم فى ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا فى حال المحنة والبلاء صابرين، وفى حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا فى جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين.

وليعلم العباد أن لهم (عليهم السلام) إلهاً هو خالقهم ومدبّرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله، وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم وادّعى لهم الربوبية، أو عاند أو خالف وعصى وجحد بما أتت به الرسل والأنبياء (عليهم السلام)، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ («١»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٤٠

قال محمّد بن إبراهيم بن إسحاق (رض)، فعدّت إلى الشيخ أبى القاسم بن روح (رض) من الغد وأنا أقول فى نفسى: أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأنى فقال لى: يا محمّد بن إبراهيم لإن أخّر من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق أحبُّ إلىَّ من أن أقول فى دين الله (عزوجل) برأيى أو من عند نفسى، بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة صلوات الله عليه وسلامه («١»).

قال الشيخ الطوسى: أخبرنى الحسين بن عبيد الله (أستاذه)، عن أبى الحسن محمّد بن داود القمى، قال: حدّثنى سلامة بن محمّد قال: أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) كتاب التأديب إلى قم وكتب إلى جماعة الفقهاء بها، وقال لهم: انظروا فى هذا الكتاب وانظروا فيه شىء يخالفكم؟ فكتبوا إليه أنه كلّه صحيح وما فيه شىء يخالف إلّا قوله: الصاع فى الفطرة نصف صاع من طعام والطعام عندنا مثل الشعير من كل واحد صاع («٢»).

وقال الشيخ الصدوق: أخبرنا محمّد بن على بن متيل، قال: كانت امرأة يقال لها زينب من أهل (آبة) وكانت امرأة محمّد بن عبديل الأبى معها ثلاثمائة دينار، فصارت إلى عمّى جعفر بن محمّد بن متيل وقالت: أحبُّ أن اسلّم هذا المال من يدى إلى يد أبى القاسم بن

روح، قال: فأنفدنى معها أترجم عنها، فلمّا دخلت على أبى القاسم (رض) أقبل يكلّمها بلسان آبى فصيح، فقال لها: (زينب! جونا، خوبذا، كوبذا، جون

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٤١

استه) («١»). ومعناه كيف أنت؟ وكيف كنت؟ وما خبر صبيانك؟ قال: فاستغنت عن الترجمة وسلّمت المال ورجعت («٢»).

وقال الشيخ الطوسى: أخبرنى الحسين بن إبراهيم، عن أيّوب بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (النائب الثانى فى الغيبة الصغرى)، قال: حدّثتنى امّ كلثوم بنت أبى جعفر (رض)، قالت: كان أبو القاسم الحسين بن روح (رض) وكيلًا لأبى جعفر (رض) سنين كثيرة ينظر له فى أملاكه ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصّيصاً به حتّى أنه كان يحدّثه بما يجرى بينه وبين جواريه لقربه منه وانسه.

قالت: وكان يدفع إليه فى كل شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له، غير ما يصل إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم لجاهه ولموضعه وجلالة محلّه عندهم، فحصل فى أنفس الشيعة محصلًا جليلًا لمعرفتهم باختصاص أبى إيّاه وتوثيقه عندهم ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر، فمهّدت له الحال فى طول حياة أبى إلى أن انتهت الوصية إليه بالنصّ عليه.

فلم يختلف فى أمره ولم يشكّ فيه أحد إلّا جاهل بأمر أبى أولًا، مع ما لست أعلم أن أحداً من الشيعة شكّ فيه، وقد سمعت هذا من غير واحد من بنى نوبخت (رح) مثل أبى الحسن بن كبرياء وغيره («٣»).

وبنو النوبخت هو البيت الذى ينتمى إليه النائب الثالث فى الغيبة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٤٢

الصغرى، وهو أبو القاسم الحسين بن روح النوبختى (رضوان الله تعالى عليه)، وهذا البيت خرج منه العلماء فى الفنون المختلفة سيّما علم الكلام، فقد تصدّر هذا البيت رئاسة هذا العلم فى الشيعة سنين طويلة، وكذلك فى علم النجوم والعلوم الأخرى.

وقال الطوسى: أخبرنى جماعة عن أبى عبد الله الحسين بن على بن بابويه القمى (أخى الصدوق محمّد بن على بن بابويه وكلا الأخوين ولدا بدعاء الإمام العسكرى (ع) وأبوهما كان وكيلًا له)، قال: حدّثنى جماعة من أهل قم منهم عمران الصفار، وقريبه علوية الصفار، والحسين بن أحمد بن على بن أحمد بن إدريس (رح)، قالوا: حضرنا بغداد فى السنة التى توفى فيها أبو على بن الحسين بن موسى بن بابويه وكان أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) (وهو النائب الرابع فى الغيبة الصغرى) يسألنا كل قريب عن خبر على بن الحسين، فنقول: قد ورد الكتاب باستقلاله، حتّى كان اليوم الذى قبض فيه فسألنا عنه، فذكرنا له مثل ذلك، فقال: آجركم الله فى على بن الحسين، فقد قبض فى هذه الساعة، (قالوا): فأثبتنا تاريخ الساعة واليوم والشهر، فلمّا كان بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر يوماً ورد الخبر أنه قبض فى تلك الساعة التى ذكرها الشيخ أبو الحسن (السمرى) (رض) («١»).

ورواه أيضاً عن جماعة، عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه (الصدوق)، قال: حدّثنا أبو الحسن صالح بن شعيب الطالقانى فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد، قال: حضرت بغداد عند المشايخ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٤٣

(رح) (وجهاء وعلماء الطائفة) فقال الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض) ابتداءً منه: رحم الله على بن الحسين بن بابويه القمى، (قال): فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم فورد الخبر أنه توفى فى ذلك اليوم، ومضى أبو الحسن السمرى (رض) فى النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة («١»).

وروى الصدوق بسنده عن أحمد الداودى قال: كنت عند أبى القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه)، فسأله رجل ما معنى قول العبّاس للنبى (ص): (إن عمّك أبا طالب قد أسلم بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثة وستين)، فقال: عنى بذلك إله أحد جواد. وتفسير

ذلك أن الألف واحد، واللام ثلاثون، والهاء والألف واحد، والحاء ثمانية، والدال أربعة، والجيم ثلاثة، والواو ستة، والألف واحد، والدال أربعة، فذلك ثلاثة وستون («٢»).

وقال الصدوق: حدّثنا الحسين بن على بن محمّد القمى المعروف بأبى على البغدادى قال: كنت ببخارى فدفع إلىَّ المعروف بابن جاوشير عشرة سبائك ذهباً وأمرنى أن اسلّمها بمدينة السلام إلى الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) فحملتها معى، فلمّا بلغت آمويه («٣») ضاعت منّى سبيكة من تلك السبائك ولم أعلم بذلك حتّى دخلت مدينة السلام.

فأخرجت السبائك لُاسلّمها فوجدتها قد نقصت واحدة، فاشتريت

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۴۴

سبيكة مكانها بوزنها وأضفتها إلى التسع السبائك، ثمّ دخلت على الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (قدس الله روحه) ووضعت السبائك بين يديه.

فقال لى: خذ تلك السبيكة التى اشتريتها وأشار إليها بيده وقال: إن السبيكة التى ضيّعتها قد وصلت إلينا وهو ذا هى، ثمّ أخرج إلىَّ تلك السبيكة التى كانت ضاعت منّى بآمويه فنظرت إليها فعرفتها.

قال الحسين بن على بن محمّد المعروف بأبى البغدادى: ورأيت تلك السنة بمدينة السلام امرأة فسألتنى عن وكيل مولانا (ع) من هو؟ فأخبرها بعض القميين أنه أبو القاسم الحسين بن روح وأشار إليها، فدخلت عليه وأنا عنده، فقالت له: أيها الشيخ أىّ شىء معى؟ فقال: ما معك فألقيه فى الدجلة، ثمّ ائتينى حتّى اخبرك.

قال: فذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقته فى الدجلة، ثمّ رجعت ودخلت إلى أبى القاسم الروحى (قدس الله روحه)، فقال أبو القاسم لمملوكة له: أخرجى إلىَّ الحُقّ، فأخرجت إليه حُقّه، فقال للمرأة: هذه الحُقّة التى كانت معك ورميت بها فى الدجلة اخبرك بما فيها أو تخبرينى؟ فقالت له: بل أخبرنى أنت، فقال: فى هذه الحُقّة زوج سوار ذهب وحلقة كبيرة فيها جوهرة وحلقتان صغيرتان فيهما جوهر وخاتمان أحدهما فيروزج والآخر عقيق، فكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً.

ثمّ فتح الحُقّة فعرض على ما فيها، فنظرت إليه فقالت: هذا الذى حملته بعينه ورميت به فى الدجلة، فغشى علىَّ وعلى المرأة فرحاً بما شاهدناه من صدق الدلالة، ثمّ قال الحسين لى بعدما حدّثنى بهذا الحديث: أشهد عند الله (عزوجل) يوم القيامة بما حدّثت به أنه كما ذكرته لم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۴۵

أزد فيه ولم أنقص منه، وحلف بالأئمّة الإثنى عشر (صلوات الله عليهم) لقد صدق فيما حدّث به وما زاد فيه وما نقص منه («١»).

وروى الشيخ الطوسى عن مشايخه، عن أبى الحسن على بن محمّد الدلّال القمى قال: دخلت على أبى جعفر محمّد بن عثمان (النائب الثانى) (رض) يوماً لُاسلّم عليه، فوجدته وبين يديه ساجة ونقّاش ينقش عليها ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمّة (عليهم السلام) على حواشيها، فقلت له: يا سيدى، ما هذه الساجة؟ فقال لى: هذه لقبرى تكون فيه اوضع عليها (أو قال: اسند إليها) وقد عرفت منه، وأنا فى كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءً من القرآن فيه فأصعد.

وأظنه (قال): فأخذ بيدى وأرانيه، فإذا كان يوم كذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا صرت إلى الله (عزوجل) ودفنت فيه وهذه الساجة معى، فلمّا خرجت من عنده أثبت ما ذكره، ولم أزل مترقباً به ذلك، فما تأخّر الأمر حتّى اعتل أبو جعفر فمات فى اليوم الذى ذكره من الشهر الذى قاله من السنة التى ذكرها ودفن فيه («٢»).

وروى بسنده عن محمّد بن على بن الأسود القمى أن أبا جعفر العمرى (رض) حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج فسألته عن ذلك فقال: للناس أسباب. وسألته عن ذلك فقال: قد امرت أن أجمع أمرى فمات بعد ذلك بشهرين (رضى الله عنه وأرضاه) («٣»).

وقال الشيخ الطوسى: وأخبرنا عن أبى محمّد هارون بن موسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۴۶

(شيخ الطائفة فى زمانه)، قال: أخبرنى أبو على محمّد بن همام (أشهر من أن يعرف) (رضى الله عنه وأرضاه) أن أبا جعفر محمّد بن عثمان العمرى (قدس الله روحه) جمعنا قبل موته وكنّا وجوه الشيعة وشيوخها فقال لنا: إن حدث على حدث الموت فالأمر إلى أبى القاسم الحسين بن روح النوبختى، فقد امرت أن أجعله فى موضعى بعدى، فارجعوا إليه وعوّلوا فى أموركم عليه («١»).

وروى أيضاً بسنده إلى أبى إبراهيم جعفر بن أحمد النوبختى (قال): قال لى أبو أحمد ابن إبراهيم، وعمّى أبو جعفر عبد الله بن إبراهيم، وجماعة من أهلنا يعنى بنى نوبخت:

أن أبا جعفر العمرى لمّا اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة، منهم أبو على بن همام، وأبو عبد الله بن محمّد الكاتب، وأبو عبد الله الباقطانى، وأبو سهل إسماعيل بن على النوبختى، وأبو عبد الله بن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر، فدخلوا على أبى جعفر (رض) فقالوا له: إن حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح النوبختى القائم مقامى والسفير بينكم وبين صاحب الأمر (ع) والوكيل والثقة والأمين، فارجعوا إليه فى أموركم، وعوّلوا عليه فى مهمّاتكم فبذلك امرت وقد بلغت («٢»).

وقال الشيخ (قال ابن نوح): أخبرنى أبو نصر هبة الله ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر، (قال): كان لأبى جعفر العمرى محمّد بن عثمان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۴٧

العمرى كتب مصنّفة فى الفقه مما سمعها من أبى محمّد الحسن (العسكرى) (ع) ومن الصاحب (ع) ومن أبيه عثمان بن سعيد عن أبى محمّد وعن أبيه على بن محمّد (عليهم السلام) فيها كتب ترجمتها كتب الأشربة ذكرت الكبيرة امّ كلثوم بنت أبى جعفر (رض) أنها وصلت إلى أبى القاسم الحسين بن روح (رض) عند الوصية إليه كانت فى يده.

(قال أبو نصر): وأظنّها قالت: وصلت بعد ذلك إلى أبى الحسن السمرى (رضى الله عنه وأرضاه) («١»).

وقال (قال أبو العبّاس): وأخبرنى هبة الله بن محمّد بن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى (رض) عن شيوخه قالوا: لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد ومحمّد بن عثمان (رحمهما الله تعالى) إلى أن توفى أبو عمرو عثمان بن سعيد (رحمه الله تعالى)، وغسّله ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان وتولّى القيام به وجعل الأمر كلّه مردوداً إليه، والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته لما تقدم له من النصّ عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه فى حياة الحسن (العسكرى) (ع) وبعد موته فى حياة أبيه عثمان بن سعيد لا يختلف فى عدالته ولا يرتاب بأمانته.

والتوقيعات تخرج على يده إلى الشيعة فى المهمّات طول حياته بالخط الذى كانت تخرج فى حياة أبيه عثمان لا يعرف الشيعة فى هذا الأمر غيره ولا يرجع إلى أحد سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم فى هذا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۴٨

الأمر بصيرة، وهى مشهورة عند الشيعة، وقد قدمنا طرفاً منها فلا نطول بإعادتها فإن ذلك كفاية للمنصف إن شاء الله تعالى («١»).

وقال الشيخ الطوسى فى كتاب (الغيبة) («٢»): فأما السفراء الممدوحون فى زمان الغيبة فأوّلهم: من نصّ به أبو الحسن على بن محمّد (الهادى) العسكرى، وأبو محمّد الحسن بن على بن محمّد ابنه (عليهم السلام) وهو الشيخ الموثوق به أبو عمر عثمان بن سعيد العمرى وكان أسدياً ... إلى أن قال:

فأخبرنى جماعة، عن أبى محمّد هارون بن موسى، عن أبى على محمّد بن همام الإسكافى، قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميرى، قال: حدّثنا أحمد بن إسحاق بن سعد القمى («٣»)، قال: دخلت على أبى الحسن على بن محمّد (الهادى) صلوات الله عليه فى يوم من الأيام فقلت: يا سيدى أنا أغيب وأشهد ولا يتهيّأ لى الوصول إليك إذا شهدت فى كل وقت فقول من نقبل وأمر من نمتثل؟ فقال لى (صلوات الله عليه): «هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّى يقوله، وما أدّاه إليكم فعنّى يؤدّيه».

فلمّا مضى أبو الحسن (الهادى) (ع) وصلت إلى أبى محمّد ابنه الحسن العسكرى (ع) مثل قولى لأبيه، فقال لى: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضى وثقتى فى المحيا والممات، فما قاله لكم فعنّى يقوله، وما أدّى إليكم فعنّى يؤدّيه».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٤٩

(قال أبو محمّد هارون): قال أبو على: قال أبو العبّاس الحميرى: فكنّا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ونتواصف جلالة محل أبى عمرو.

وروى بسنده إلى محمّد بن إسماعيل، وعلى بن عبد الله الحسنيان، قالا: دخلنا على أبى محمّد الحسن (ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتّى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاى بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن...

(فى حديث طويل يسوقانه) إلى أن ينتهى، إلى أن قال الحسن (العسكرى) (ع) لبدر: «فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمرى».

فما لبثنا إلّا يسيراً حتّى دخل عثمان فقال له سيدنا أبو محمّد (ع): «امض يا عثمان فإنّك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال»، (... ثمّ ساق الحديث) إلى أن قالا: ثمّ قلنا بأجمعنا: يا سيدنا، والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى، قال: «نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمرى وكيلى وأن ابنه محمّداً وكيل ابنى مهديكم» («١»).

وروى بسنده عن جماعة من الشيعة منهم محمّد بن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيّوب بن نوح (فى خبر طويل مشهور) قالوا جميعاً: اجتمعنا إلى أبى محمّد الحسن بن على (العسكرى) (ع) نسأله عن الحجة من بعده وفى مجلسه (ع) أربعون رجلًا، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمرى فقال له: يا بن رسول الله، اريد أن أسألك عن أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٥٠

أنت أعلم به منّى، فقال له: «اجلس يا عثمان»، فقام مغضباً ليخرج فقال: «لا يخرجنَّ أحد»، فلم يخرج منّا أحد، إلى أن كان بعد ساعة فصاح (ع) بعثمان، فقام على قدميه فقال: «أخبركم بما جئتم؟»، قالوا: نعم يا بن رسول الله، (قال): «جئتم تسألونى عن الحجة من بعدى»، قالوا: نعم. فإذا غلام كأنه قطع من قمر أشبه الناس بأبى محمّد (ع)، فقال: «هذا إمامكم من بعدى وخليفتى عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدى فتهلكوا فى أديانكم، ألا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتّى يتمّ له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه» («... ١») (فى حديث طويل).

وقال (وأخبرنا جماعة)، عن أبى القاسم جعفر بن محمّد قولويه، وأبى غالب الزرارى، وأبى محمّد التلعكبرى، كلّهم عن محمّد بن يعقوب الكلينى (رحمه الله تعالى)، عن محمّد بن عبد الله، ومحمّد بن يحيى عن عبد الله بن جعفر الحميرى («٢»).

قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عند أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعرى القمى، فغمزنى أحمد أن أسأله عن الخلف، فقلت له: يا أبا عمر إنى اريد أن أسألك وما أنا بشاكّ فيما اريد أن أسألك عنه، فإن اعتقادى ودينى أن الأرض لا تخلو من حجة إلّا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رفعت الحجة واغلق باب التوبة فلم يكن ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً، فأولئك أشرار من خلق الله (عزوجل)، وهم الذين تقوم عليهم القيامة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٥١

ولكن أحببت أن أزداد يقيناً، فإن إبراهيم (ع) سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى فقال: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلى وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى («١»).

وقد أخبرنا أحمد بن إسحاق أبو على عن أبى الحسن (ع) قال: سألته فقلت له: لمن أعامل وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال له: «العمرى ثقتى فما أدّى إليك فعنّى يؤدّى وما قال لك فعنّى يقول فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون».

(قال): وأخبرنى أبو على أنه سأل أبا محمّد الحسن بن على عن مثل ذلك، فقال له: «العمرى وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك فعنّى يؤدّيان، وما قالا لك فعنّى يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان»، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك.

(قال): فخرَّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثمّ قال: سل، فقلت له: أنت رأيت الخلف من أبى محمّد (ع)؟ فقال: إى والله ورقبته مثل ذا وأومأ بيديه، فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لى: هات هات، فالاسم؟ قال: محرَّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندى، وليس لى أن احلل واحرم ولكن عنه (ع) فإن الأمر عند السلطان أن أبا محمّداً (ع) مضى ولم يخلف ولداً وقسّم ميراثه وأخذه من لا حقَّ له وصبر على ذلك، وهو ذا عياله يجولون، وليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك («٢»).

وروى عن جماعة، عن الصدوق، عن ابن هارون الفامى، عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميرى، عن أبى قال: خرج التوقيع إلى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٥٢

الشيخ أبى جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمرى (قدس الله روحه) فى التعزية بأبيه (رض) وفى فصل من الكتاب:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره، ورضاءً بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه (ع)، فلم يزل مجتهداً فى أمرهم ساعياً فيما يقربه إلى الله (عزوجل) وإليهم، نضَّر الله وجهه وأقاله عترته»....

وفى فصل آخر: «أجزل الله لك الثواب وأحسن لك العزاء رزيت ورزينا وأوحشك فراقه وأوحشنا فسرَّه الله فى منقلبه، كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخلفه من بعده ويقوم مقامه بأمره ويترحم عليه.

وأقول: الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله (عزوجل) فيك وعندك أعانك الله وقوّاك وعضدك ووفّقك وكان لك ولياً وحافظاً وراعياً وكافياً» («١»).

أقول: هذا طرف يسير مما ورد فى النواب الأربعة فى الغيبة الصغرى (٣٢٩٠ ٢٦٠ ه-)، ومنه تتنبه لمراد الشيخ الطوسى حيث يقول:

(وقد نقلت عنه (أى النائب الثانى) دلائل كثيرة ومعجزات الإمام ظهرت على يده وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم (أى زادت الشيعة) فى هذا الأمر بصيرة وهى مشهورة عند الشيعة) («٢»).

ولمراد الشيخ الطبرسى حيث يقول:

(ولم يقم أحد منهم (أى من الأربعة) إلّا بنصّ من قبل صاحب

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٥٣

الأمر (ع) ونصب صاحبه الذى تقدّم عليه، ولم تقبل الشيعة قولهم إلّا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر (ع) تدلُّ على صدق مقالتهم وصحة بابيتهم) («١»).

أقول: بل النائب الأوّل والثانى نصَّ عليهما الإمام الحسن العسكرى (ع) كما تقدّمت الرواية التى رواها الطائفة عن الإمام الحسن العسكرى (ع)، والنائب الأوّل كان وكيلًا خاصاً للإمام الهادى (ع) ثمّ للإمام الحسن العسكرى (ع) ثمّ سفيراً للصاحب (ع).

فلينتبه اللبيب إلى كيفية ثبوت سفارة النواب الأربعة وبدئها وانتهائها لدى الشيعة وأعلامها وشيوخها، وأن ذلك كان بحضور الإمام العسكرى (ع)، ثمّ تنصيص كل على الآخر مع ما ظهر من البراهين والدلائل على أيديهم ومع مكانتهم العلمية والفقهية وجلالة محلّهم لدى علماء الطائفة.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٥٤

الأمر السابع ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية لعنهم الله ... ص: ١٥٤

اشارة

قال الشيخ الطوسى فى كتاب (الغيبة) («١»): ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية لعنهم الله:

أوّلهم: المعروف بالشريعى ...: ص: ۱۵۴

(أخبرنا) جماعة، عن أبى محمّد التلعكبرى (هارون بن موسى)، عن أبى على محمّد بن همام، (قال): كان الشريعى يكنّى بأبى محمّد.
(قال) هارون: وأظنُّ اسمه كان الحسن وكان من أصحاب أبى الحسن على بن محمّد (الهادى)، ثمّ الحسن بن على بعده (ع) وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلًا له، وكذب على الله وعلى حججه (عليهم السلام) ونسب إليهم ما لا يليق بهم، وما هم منه براء، فلعنته الشيعة، وتبرّأت منه وخرج توقيع الإمام بلعنه والبراءة منه.
(قال هارون): ثمّ ظهر منه القول بالكفر والإلحاد، (قال): وكل هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أوّلًا على الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثمّ يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية (وهو القول بالحلول أى حلول الله (عزوجل) والعياذ بالله فيهم) كما اشتهر من أبى جعفر الشلمغانى ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى («٢»).
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۱۵۵

ومنهم: محمّد بن نصير النميرى ...: ص: ۱۵۵

(قال ابن نوح): أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمّد، (قال): كان محمّد بن نصير النميرى من أصحاب أبى محمّد الحسن بن على (ع) فلمّا توفى أبو محمّد ادعى مقام أبى جعفر محمّد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان وادعى البابية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل، ولعن أبى جعفر محمّد بن عثمان له وتبريه منه واحتجابه عنه وادعى ذلك الأمر بعد الشريعى.
(قال أبو طالب الأنبارى): لما ظهر محمّد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر (النائب الثانى أبو جعفر العمرى) (رض) وتبرأ منه فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه فلم يأذن له وحجبه وردّه خائباً.
(وقال) سعد بن عبد الله: كان محمّد بن نصير النميرى يدعى أنه رسول نبى وأن على بن محمّد (الهادى) (ع) أرسله، وكان يقول بالتناسخ (أى أن أرواح الأموات تحلُّ فى أجسام الأحياء) ويغلو فى أبى الحسن ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً فى أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل فى المفعول به وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات وأن الله (عزوجل) (تعالى الله) لا يحرّم شيئاً من ذلك، وكان محمّد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوى أسبابه ويعضده (أى كان داعية له وناشراً لأكذوبته).
(أخبرنى) بذلك عن محمّد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان أنه رآه عياناً وغلام له على ظهره، (قال): فلقيته فعاتبته على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر.
قال سعد: فلمّا اعتل محمّد بن نصير العلّة التى توفى فيها، قيل له
دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ۱۵۶
وهو مثقل اللسان: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد، فلم يدر من هو؟ فافترقوا بعده ثلاث فرق: قالت فرقة: إنه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد بن محمّد بن موسى بن الفرات، وفرقة قالت: إنه أحمد بن أبى الحسين بن بشر بن يزيد فتفرقوا فلا يرجعون إلى شىء.

ومنهم: أحمد بن هلال الكرخى ...: ص: ۱۵۶

قال أبو على بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبى محمّد (العسكرى) (ع) فاجتمعت الشيعة على وكالة أبى جعفر محمّد بن عثمان بنصّ الحسن (ع) فى حياته، ولمّا مضى الحسن (ع) قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبى جعفر محمّد بن عثمان وترجع إليه وقد نصَّ عليه الإمام المفترض الطاعة (أى الإمام العسكرى (ع))؟ فقال لهم: لم أسمعه ينصُّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه يعنى عثمان بن سعيد فأمّا أن أقطع أن أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعه غيرك.

فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبى جعفر فلعنوه وتبرؤا منه ثمّ ظهر التوقيع على يد أبى القاسم بن روح بلعنه والبراءة منه فى جملة من لعن.

ومنهم: أبو طاهر محمّد بن على بن بلال ...: ص: ۱۵۶

وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (نضَّر الله وجهه) وتمسكه بالأموال التى كانت عنده للإمام وامتناعه من تسليمها وادّعاؤه أنه الوكيل حتّى تبرأت الجماعة منه ولعنوه وخرج من صاحب الزمان (ع) ما هو معروف.

(وحكى أبو غالب الزرارى)، قال: حدّثنى أبو الحسن محمّد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٥٧

محمّد بن يحيى المعاذى، (قال): كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبى طاهر بن بلال بعدما وقعت الفرقة، ثمّ إنه رجع عن ذلك وصار فى جملتنا، فسألناه عن السبب؟ (قال): كنت عند أبى طاهر يوماً وعنده أخوه أبو الطيب وابن خزر وجماعة من أصحابه إذ دخل الغلام فقال: أبو جعفر العمرى على الباب، ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال التى كانت جرت وقال: يدخل، فدخل أبو جعفر (رض) فقام له أبو طاهر والجماعة وجلس فى صدر المجلس وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه فأمهلهم إلى أن سكتوا.

(ثمّ قال): يا أبا طاهر نشدتك الله أو نشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان (ع) بحمل ما عندك من المال إلىَّ؟ فقال: اللهم نعم، فنهض أبو جعفر (رض) منصرفاً ووقعت على القوم سكتة، فلمّا تجلَّت عنهم قال له أخوه أبو الطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبو طاهر: أدخلنى أبو جعفر (رض) إلى بعض دوره فأشرف على من علو داره فأمرنى بحمل ما عندى من المال إليه، فقال له أبو الطيب: ومن أين علمت أنه صاحب الزمان (ع)؟ قال: وقع على («۱») من الهيبة له، ودخلنى من الرعب منه ما علمت أنه صاحب الزمان (ع) فكان هذا سبب انقطاعى عنه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٥٨

ومنهم: الحسين بن منصور الحلاج ...: ص: ۱۵۸

(أخبرنا) الحسين بن إبراهيم، عن أبى العبّاس أحمد بن على بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد الكاتب ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى (قال):

لمّا أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له (أى اعتقد) أن أبا سهل ابن إسماعيل بن على النوبختى (رض) ممن تجوز عليه مخرقته (أى ممن تنطلى عليه أكذوبته)، وتتم عليه حيلته، فوجّه إليه يستدعيه، وظنَّ أن أبا سهل كغيره من الضعفاء فى هذا الأمر بفرط جهله، وقدر (أى ظن) أن يستجره إليه فيتمخرق ويتصوف بانقياده على غيره (أى ظن أن يجره إليه فيتخذه عضداً وشاهداً على ادّعائه)، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة لقدر (أى لمكانة) أبى سهل فى أنفس الناس ومحلّه من العلم والأدب أيضاً عندهم، ويقول له فى مراسلته إيّاه: إنّى وكيل صاحب الزمان (ع) وبهذا أوّلًا كان يستجر الجهّال ثمّ يعلو منه إلى غيره وقد امرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك، لتقوى نفسك، ولا ترتاب بهذا الأمر.

فأرسل إليه أبو سهل (رض) يقول لك: إنى أسألك أمراً يسيراً يخف مثله عليك فى جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أنّى رجل احبّ الجوارى وأصبو إليهن ولى منهن عدة أتخطاهن والشيب يبعدنى عنهن وأحتاج أن أخضبه فى كل جمعة وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهن ذلك وإلّا انكشف أمرى عندهن، فصار القرب بعداً والوصال هجراً، واريد أن تغنينى عن الخضاب وتكفينى مؤنته، وتجعل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٥٩

لحيتى سوداء، فإننى طوع يديك وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لى فى ذلك من البصيرة، ولك من المعونة.

فلمّا سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ فى مراسلته وجهل فى الخروج إليه بمذهبه وأمسك عنه ولم يرد إليه جواباً ولم يرسل إليه رسولًا، وصيّره أبو سهل (رض) احدوثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه.

(وأخبرنى) جماعة عن أبى عبد الله الحسين بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه أن ابن الحلاج صار إلى قم وكاتب قرابة أبى الحسن (أخى الصدوق) يستدعيه ويستدعى أبا الحسن أيضاً ويقول: أنا رسول الإمام ووكيله، (قال):

فلمّا وقعت المكاتبة فى يد أبى (رض) (أى أبى الحسن بن على بن بابويه القمى والذى كان وكيلًا للعسكرى (ع)) خرقها وقال لموصلها إليه: ما أفرغك للجهالات؟ فقال له الرجل وأظن أنه قال: إنه ابن عمّته أو ابن عمّه فإن الرجل قد استدعانا فلِمَ خرقت مكاتبته؟ وضحكوا منه وهزؤوا به، ثمّ نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه.

(قال): فلمّا دخل إلى الدار التى كان فيها دكّانه نهض له من كان هناك جالساً غير رجل رآه جالساً فى الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه أبى فلمّا جلس وأخرج حسابه ودواته كما تكون التجّار أقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه فأخبره فسمعه الرجل يسأل عنه فأقبل عليه وقال له: تسأل عنّى وأنا حاضر؟ فقال له أبى: أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرق رقعتى وأنا اشاهدك تخرقها؟ فقال له أبى: فأنت الرجل إذاً.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٦٠

(ثمّ قال): يا غلام برجله وبقفاه، فخرج من الدار العدو لله ولرسوله، ثمّ قال له: أتدعى المعجزات؟ عليك لعنة الله، (أو كما قال)، فاخرج بقفاه فما رأيناه بعدها بقم.

ومنهم ابن أبى العزاقر ...: ص: ١٦٠

(وهو محمّد بن على الشلمغانى يكنّى بأبى جعفر) أخبرنى الحسين بن إبراهيم، عن أحمد بن على بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد الكاتب ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى (رض)، قال: حدّثتنى الكبيرة امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى (رض).

(قال): كان أبو جعفر ابن أبى العزاقر وجيهاً عند بنى بسطام، وذاك أن الشيخ أبا القاسم رضى الله عنه وأرضاه كان قد جعل له عند الناس منزلةً وجاهاً فكان عند ارتداده يحكى كل كذب وبلاء وكفر لبنى بسطام ويسنده عن الشيخ أبى القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه، حتّى انكشف ذلك لأبى القاسم فأنكره وأعظمه ونهى بنى بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه، فلم ينتهوا وأقاموا على توليه، وذاك أنه كان يقول لهم:

إننى أذعت السر وقد اخذ على الكتمان فعوقبت بالإبعاد بعد الاختصاص، لأن الأمر عظيم لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبى مرسل أو مؤمن ممتحن، فيؤكّد فى نفوسهم عظم الأمر وجلالته، فبلغ ذلك أبا القاسم (رض) فكتب إلى بنى بسطام بلعنه والبراءة منه وممن تابعه على قوله، وأقام على توليه، فلمّا وصل إليهم أظهروه عليه فبكى بكاءً عظيماً.

ثمّ قال: إن لهذا القول باطناً عظيماً، وهو أن اللعنة الإبعاد، فمعنى قوله: لعنه الله، أى باعده الله عن العذاب والنار، والآن قد عرفت منزلتى، ومرّغ خديه على التراب وقال: عليكم بالكتمان لهذا الأمر.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۶١

قالت الكبيرة آ: وقد كنت أخبرت الشيخ أبا القاسم أن امّ أبى جعفر بن بسطام قالت لى يوما وقد دخلنا إليها فاستقبلتنى وأعظمتنى وزادت فى إعظامى حتّى انكبّت على رجلى تقبلها، فأنكرت ذلك وقلت لها: مهلًا يا ستّى فإن هذا أمر عظيم، وانكببت على يدها فبكت.

ثمّ قالت: كيف لا أفعل بك هذا وأنت مولاتى فاطمة؟ فقلت لها: وكيف ذاك يا ستى؟ فقالت لى: إن الشيخ يعنى أبا جعفر محمّد بن على خرج إلينا بالسر، قالت: فقلت لها: وما السر؟ قالت: قد أخذ علينا كتمانه وأفزع إن أنا أذعته عوقبت، قالت: وأعطيتها موثقاً أنى لا أكشفه لأحد واعتقدت فى نفسى الاستثناء بالشيخ (رض) يعنى أبا القاسم الحسين بن روح.

قالت: إن الشيخ أبا جعفر (ابن أبى العزاقر) قال لنا: إن روح رسول الله (ص) انتقلت إلى أبيك تعنى أبا جعفر محمّد بن عثمان (رض)، وروح أمير المؤمنين على (ع) انتقلت إلى بدن الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح، وروح مولاتنا فاطمة (ع) انتقلت إليك، فكيف لا اعظمك يا ستّنا!

فقلت لها: مهلًا لا تفعلى، فإن هذا كذب يا ستنا. فقالت لى: سر عظيم، وقد اخذ علينا أن لا نكشف هذا لأحد، فالله الله فىَّ، لا يحل بى العذاب، ويا ستّى لولا أنك حملتنى على كشفه ما كشفته لك ولا لأحد غيرك.

قالت الكبيرة امّ كلثوم آ: فلمّا انصرفت من عندها دخلت إلى الشيخ أبى القاسم بن روح (رض) فأخبرته بالقصة وكان يثق بى ويركن إلى قولى، فقال لى: يا بنية إيّاك أن تمضى إلى هذه المرأة بعدما جرى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۶٢

منها، ولا تقبلى لها رقعة إن كاتبتك، ولا رسولًا إن أنفذته إليك، ولا تلقيها بعد قولها، فهذا كفر بالله تعالى وإلحاد قد أحكمه هذا الرجل الملعون فى قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أن يقول لهم: بأن الله تعالى اتحد به، وحلَّ فيه، كما تقول النصارى فى المسيح (ع) ويعدو إلى قول الحلاج (لعنه الله).

قالت: فهجرت بنى بسطام، وتركت المضى إليهم ولم أقبل لهم عذراً ولا لقيت امّهم بعدها، وشاع فى بنى نوبخت الحديث فلم يبقَ أحد إلّا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبى جعفر الشلمغانى والبراءة منه ومن يتولاه ورضى بقوله أو كلّمه فضلًا عن موالاته.

ثمّ ظهر التوقيع من صاحب الزمان (ع) بلعن أبى جعفر محمّد بن على والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضى بقوله، وأقام على توليه بعد المعرفة بهذا التوقيع.

وله حكايات قبيحة وأمور فظيعة ننزّه كتابنا عن ذكرها، ذكرها ابن نوح وغيره.

(وكان) سبب قتله أنه لما أظهر لعنه أبو القاسم بن روح واشتهر أمره وتبرأ منه وأمر جميع الشيعة بذلك، لم يمكنه التلبيس، فقال فى مجلس حافل فيه رؤساء الشيعة وكل يحكى عن الشيخ أبى القاسم لعنه والبراءة منه: أجمعوا بينى وبينه حتّى آخذ يده ويأخذ بيدى، فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه وإلّا فجميع ما قاله فىَّ حق، ورقى ذلك إلى الراضى لأنه كان ذلك فى دار ابن مقلة فأمر بالقبض عليه وقتله، فقتل واستراحت الشيعة منه.

(وقال) أبو الحسن محمّد بن أحمد بن داود: كان محمّد بن الشلمغانى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۶٣

المعروف بابن أبى العزاقر (لعنه الله) يعتقد القول بحمل الضد، ومعناه أنه لا يتهيأ إظهار فضيلة للولى إلّا بطعن الضد فيه، لأنه يحمل السامع طعنه على طلب فضيلته فإذن هو أفضل من الولى إذ لا يتهيأ إظهار الفضل إلّا به، وساقوا المذهب من وقت آدم الأوّل إلى آدم

السابع، لأنهم قالوا: (سبع عوالم وسبع أوادم، ونزلوا إلى موسى وفرعون ومحمّد وعلى مع أبى بكر ومعاوية).

وأما فى الضد فقال بعضهم: الولى ينصب الضد ويحمله على ذلك كما قال قوم من أصحاب الظاهر: إن على بن أبى طالب نصب أبا بكر فى ذلك المقام، وقال بعضهم: لا، ولكن هو قديم معه لم يزل، قالوا: والقائم الذى ذكروا أصحاب الظاهر أنه من ولد الحادى عشر فإنه يقوم، معناه إبليس، لأنه قال: فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ («١») ولم يسجد، ثمّ قال: لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ («٢») فدلَّ على أنه كان قائماً فى وقت ما امر بالسجود ثمّ قعد بعد ذلك، وقوله: يقوم القائم إنما هو ذلك القائم الذى امر بالسجود فأبى وهو إبليس لعنه الله.

وقال شاعرهم لعنهم الله:

يا لاعناً بالضد من عدى

ما الضد إلّا ظاهر الولىّ والحمد للمهيمن الوفى لست على حال كحمامى ولا حجامى ولا جغدى قد فقت من قول على الفهدى نعم وجاوزت مدى العبدى فوق عظيم ليس بالمجوسى لأنه الفرد بلا كيفى متحد بكل أوحدى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۶۴

مخالط للنورى والظلمى

يا طالباً من بيت هاشمى وجاحداً من بيت كسروى قد غاب فى نسبة أعجمى فى الفارسى الحسب الرضى كما التوى فى العرب من لوى (وقال الصفوانى): سمعت أبا على بن همام يقول: سمعت محمّد بن على العزاقرى الشلمغانى يقول: الحق واحد وإنما تختلف قمصه فيوم يكون فى أبيض ويوم يكون فى أحمر، ويوم يكون فى أزرق، (قال ابن همام): فهذا أوّل ما أنكرته من قوله لأنه قول أصحاب الحلول. (وأخبرنا) جماعة، عن أبى محمّد هارون بن موسى، عن أبى على محمّد بن همام، أن محمّد بن على الشلمغانى لم يكن قط باباً إلى أبى القاسم، ولا طريقاً له ولا نصبه أبو القاسم بشىء من ذلك على وجه ولا سبب ومن قال بذلك فقد أبطل وإنما كان فقيهاً من فقهائنا فخلط وظهر عنه ما ظهر، وانتشر الكفر والإلحاد عنه، فخرج فيه التوقيع على يد أبى القاسم بلعنه والبراءة منه وممن تابعه وشايعه وقال بقوله.

(وأخبرنى) الحسين بن إبراهيم، عن أحمد بن على بن نوح، عن أبى نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد، قال: حدّثنى أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحامدى البزاز المعروف بغلام أبى على بن جعفر المعروف بابن رهومة النوبختى وكان شيخاً مستوراً قال: سمعت روح بن أبى القاسم بن روح يقول: لما عمل محمّد بن على الشلمغانى كتاب التكليف قال الشيخ يعنى أبا القاسم (رض): اطلبوه إلىَّ لأنظره، فجاؤا به فقرأه من أوّله إلى آخره فقال: ما فيه شىء إلّا وقد روى عن الأئمّة إلّا موضعين أو ثلاثة فإنه كذب عليهم فى روايتها (لعنه الله).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۶۵

(وأخبرنى) جماعة عن أبى الحسن محمّد بن أحمد بن داود، وأبى عبد الله الحسين بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه أنهما قالا: مما أخطأ محمّد بن على فى المذهب فى باب الشهادة أنه روى عن العالم (الكاظم) (ع) أنه قال: إذا كان لأخيك المؤمن على رجل حق فدفعه عنه، ولم يكن له من البيّنة عليه إلّا شاهد واحد وكان الشاهد ثقة رجعت إلى الشاهد فسألته عن شهادته فإذا أقامها عندك شهدت معه عند الحاكم على مثل ما يشهد عنده لئلّا يتوى (يهلك) حق امرئ مسلم، (واللفظ لابن بابويه) وقال: هذا كذب منه ولسنا نعرف ذلك، وقال فى موضع آخر: كذب فيه.

نسخة التوقيع الخارج فى لعنه ...: ص: ١۶۵

(أخبرنا جماعة) عن أبى محمّد هارون بن موسى، (قال): حدّثنا محمّد بن همام قال: خرج على يد الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح

(رض) فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة فى ابن أبى العزاقر والمداد رطب لم يجف.

(وأخبرنا جماعة)، عن ابن داود قال: خرج التوقيع من الحسين بن روح فى الشلمغانى وأنفذ نسخته إلى أبى على بن همام فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة.

(قال ابن نوح): وحدّثنا أبو الفتح أحمد بن ذكا مولى على بن محمّد بن الفرات قال: أخبرنا أبو على بن همام بن سهيل بتوقيع خرج فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة.

قال محمّد بن الحسن بن جعفر بن إسماعيل بن صالح الصيمرى: أنفذ الشيخ الحسين بن روح (رض) من مجلسه فى دار المقتدر إلى شيخنا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۶۶

أبى على ابن همام فى ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وأملاه أبو على على وعرفنى أن أبا القاسم (رض) راجع فى ترك إظهاره فإنه فى يد القوم وحبسهم فأمر بإظهاره وأن لا يخشى ويأمن فتخلص وخرج من الحبس بعد ذلك بمدة يسيرة والحمد لله.

التوقيع ...: ص: ١۶۶

«عرّف عرفك الله الخير أطال الله بقاءك وعرّفك الخير كله وختم به عملك من تثق بدينه وتسكن إلى نيته من إخواننا أسعدكم الله بأن محمّد بن على المعروف بالشلمغانى وهو ممن عجّل الله له النقمة ولا أمهله قد ارتد عن الإسلام وفارقه، وألحد فى دين الله وادّعى ما كفر معه بالخالق جلَّ وتعالى وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالًا بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً وإننا قد برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم بمنّه ولعنّاه عليه لعائن الله تترى فى الظاهر منّا والباطن فى السرّ والجهر وفى كل وقت وعلى كل حال وعلى من شايعه وبايعه أو بلغه هذا القول منّا وأقام على توليه بعده.

وأعلمهم تولّاكم الله أنّا من التوقى والمحاذرة منه على ما كنّا عليه ممن تقدمه من نظرائه من الشريعى والنميرى والهلالى والبلالى وغيرهم وعادة الله جلَّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة وبه نثق وإيّاه نستعين وهو حسبنا فى كل أمورنا ونعم الوكيل».

(قال هارون): وأخذ أبو على هذا التوقيع ولم يدع أحداً من الشيوخ إلّا وأقرأه إيّاه وكوتب من بعد منهم بنسخته فى سائر الأمصار فاشتهر ذلك فى الطائفة فاجتمعت على لعنه والبراءة منه، وقتل محمّد بن على الشلمغانى فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۶٧

ذكر أمر أبى بكر البغدادى ... ص: ١۶٧

ابن أخى الشيخ أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (رض) وأبى دلف المجنون:

(أخبرنى) الشيخ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان عن أبى الحسن على بن بلال المهلبى (قال): سمعت أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه يقول: أما أبو دلف الكاتب (لا حاطه الله) فكنّا نعرفه ملحداً ثمّ أظهر الغلو ثمّ جنَّ وسلسل ثمّ صار مفوضاً وما عرفناه قط إذا حضر فى مشهد إلّا استخف به ولا عرفته الشيعة إلّا مدة يسيرة والجماعة تتبرأ منه وممن يومى إليه وينمس به («١»).

وقد كنّا وجهنا إلى أبى بكر البغدادى لما ادّعى له هذا ما ادّعاه («٢») فأنكر ذلك وحلف عليه فقبلنا ذلك منه فلمّا دخل بغداد مال إليه وعدل من الطائفة وأوصى إليه لم نشكّ أنه على مذهبه فلعناه وبرئنا منه لأن عندنا أن كل من ادعى الأمر بعد السمرى فهو كافر منمس («٣») ضال مضل وبالله التوفيق.

(وذكر أبو عمرو) محمّد بن محمّد بن نصر السكرى (قال): لمّا قدم ابن محمّد بن الحسن ابن الوليد القمى من قبل أبيه والجماعة

وسألوه عن الأمر الذى حكى فيه من النيابة أنكر ذلك وقال: ليس إلىَّ من هذا الأمر شىء ولا ادعيت شيئاً من هذا وكنت حاضراً لمخاطبته إيّاه بالبصرة.

(وذكر ابن عياش) قال: اجتمعت يوماً مع أبى دلف فأخذنا فى ذكر أبى بكر البغدادى فقال لى: تعلم من أين كان فضل سيدنا الشيخ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۶٨

(قدّس الله روحه وقدّس به) على أبى القاسم الحسين بن روح وعلى غيره؟ فقلت له: ما أعرف. قال: لأن أبا جعفر محمّد بن عثمان قدم اسمه على اسمه فى وصيته قال: فقلت له: فالمنصور (أى الخليفة العبّاسى) أفضل من مولانا أبى الحسن موسى (ع)، قال: وكيف؟ قلت: لأن الصادق قدم اسمه على اسمه فى الوصية.

فقال لى: أنت تتعصب على سيدنا وتعاديه، فقلت: الخلق كلهم تعادى أبا بكر البغدادى وتتعصب عليه، غيرك وحدك، وكدنا نتقاتل ونأخذ بالأزياق («١»).

وأمر أبى بكر البغدادى فى قلة العلم والمروءة أشهر وجنون أبى دلف أكثر من أن يحصى لا نشغل كتابنا بذلك ولا نطول بذكره وذكر ابن نوح طرفاً من ذلك.

(وروى) أبو محمّد هارون بن موسى عن أبى القاسم الحسين بن عبد الرحيم الأبراورى قال: أنفذنى أبو عبد الرحيم إلى أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (رض) فى شىء كان بينى وبينه فحضرت مجلسه وفيه جماعة من أصحابنا وهم يتذاكرون شيئاً من الروايات وما قاله الصادقون (عليهم السلام) حتّى أقبل أبو بكر محمّد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادى ابن أخى جعفر العمرى فلمّا بصر به أبو جعفر (رض) قال للجماعة: أمسكوا (أى توقفوا عن محادثتكم) فإن هذا الجائى ليس من أصحابكم.

وحكى أنه توكل لليزيدى بالبصرة فبقى فى خدمته مدة طويلة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١۶٩

وجمع مالًا عظيماً فسعى به إلى اليزيدى فقبض عليه وصادره وضربه على امّ رأسه حتّى نزل الماء فى عينيه فمات أبو بكر ضريراً.

وقال أبو نصر هبة الله بن محمّد بن أحمد الكاتب ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر محمّد بن عثمان العمرى (رض): إن أبا دلف محمّد بن مظفر الكاتب كان فى ابتداء أمره مخمّساً («١») مشهوراً بذلك لأنه كان تربية الكرخيين وتلميذهم وصنيعتهم وكان الكرخيون مخمسة لا يشكّ فى ذلك أحد من الشيعة، وقد كان أبو دلف يقول ذلك ويعترف به ويقول: نقلنى سيدنا الشيخ الصالح (قدّس الله روحه ونوَّر ضريحه) عن مذهب أبى جعفر الكرخى إلى المذهب الصحيح يعنى أبا بكر البغدادى.

وجنون أبى دلف وحكايات فساد مذهبه أكثر من أن تحصى فلا نطول بذكره هاهنا، انتهى ما ذكره الشيخ الطوسى.

ونقلناه كلّه مع طوله لأن ما ذكره من قصص المدّعين للسفارة والوكالة والبابية الكاذبين على الله وعلى حججه (عليهم السلام)، تتكرّر بين فترة وأخرى فى عصر الغيبة التامة الكبرى. كما يقال التاريخ يعيد نفسه، بل من تأمّل بعبرة فيما مرَّ من الوقائع التى ذكرها الشيخ يجد أن ما يحدث فى زمننا هذا من ادّعاء البابية هو بحذافيره مسلسل الوقائع السابقة من نسبة الأباطيل إلى الأئمّة (عليهم السلام) ومن سرقة الأموال واتخاذ الضعفاء والجهلة أنصاراً والنساء مسرحاً للخرافات والخزعبلات، ومن ينتسب إلى العلم واجهة للغواية و ... و... و...

وكما قال شيخ الطائفة فى زمانه أبو محمّد هارون بن موسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٧٠

التلعكبرى («١»): وكل هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أوّلًا على الإمام وأنهم وكلاؤه فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم ثمّ يترقّى الأمر بهم إلى قول الحلاجية (القائلين بالحلول أى الكفر والإلحاد) كما اشتهر من أبى جعفر الشلمغانى ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٧١

الأمر الثامن ثواب الثبات والتمسّک بالدين فى الغيبة الكبرى وشدّة المحنة ... ص: ١٧١

روى الصدوق بسنده عن الجواد عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال: «للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأنّى بالشيعة يجولون جولان النعم فى غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معى فى درجتى يوم القيامة»، ثمّ قال (ع): «إن القائم منّا إذا قام لم يكن لأحد فى عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه» («١»).

وروى عن الأصبغ بن نباتة قال: ذكر عند أمير المؤمنين (ع) القائم (ع)، فقال: «أما ليغيبنَّ حتّى يقول الجاهل: ما لله فى آل محمّد حاجة»، وفى حديث آخر: «بعد غيبة وحيرة، فلا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله (عزوجل) ميثاقهم بولايتنا وكتب فى قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه» («٢»).

وروى توقيعاً من صاحب الزمان (ع) كان خرج إلى العمرى (النائب الأوّل) وابنه (النائب الثانى فى الغيبة الصغرى) W عن سعد بن عبد الله، قال الشيخ أبو عبد الله جعفر (رض): وجدته مثبتاً عنه: «وفّقكما الله لطاعته، وثبّتكما على دينه، وأسعدكما بمرضاته، انتهى إلينا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٧٢

ما ذكرتما أن الميثمى أخبركما عن المختار ومناظراته من لقى واحتجاجه بأنه لا خلف غير جعفر بن على («١») وتصديقه إيّاه، وفهمت جميع ما كتبتما به مما قال أصحابكما عنه، وأنا أعوذ بالله من العمى بعد الجلاء ومن الضلالة بعد الهدى ومن موبقات الأعمال ومرديات الفتن، فإنه (عزوجل) يقول: الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ («٢»).

كيف يتساقطون فى الفتنة، ويترددون فى الحيرة، ويأخذون يميناً وشمالًا، فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عاندوا الحق أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا ما يعلمون أن الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهراً وإما مغموراً.

أوَلم يعلموا انتظام أئمّتهم بعد نبيهم (ص) واحداً بعد واحد إلى أن أفضى الأمر بأمر الله (عزوجل) إلى الماضى يعنى الحسن بن على (ع) فقام مقام آبائه (عليهم السلام) يهدى إلى الحق والى طريق مستقيم، كانوا نوراً ساطعاً، وشهاباً لامعاً، وقمراً زاهراً، ثمّ اختار (عزوجل) له ما عنده فمضى على منهاج آبائه (عليهم السلام) حذو النعل بالنعل على عهد عهده ووصية أوصى بها إلى وصى ستره الله (عزوجل) بأمره إلى غاية، وأخفى مكانه بمشيئة للقضاء السابق والقدر النافذ، وفينا موضعه، ولنا فضله، ولو قد أذن الله (عزوجل) فيما قد منعه عنه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحق ظاهراً بأحسن حلية وأبين دلالة وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه وقام بحجّته.

ولكن أقدار الله (عزوجل) لا تغالب، وإرادته لا ترد، وتوفيقه لا يسبق،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٧٣

فليدعوا عنهم اتّباع الهوى، وليقيموا على أصلهم الذى كانوا عليه، ولا يبحثوا عمّا ستر عنهم فيأثموا ولا يكشفوا ستر الله (عزوجل) فيندموا، وليعلموا أن الحق معنا وفينا ولا يقول ذلك سوانا إلّا كذّاب مفتر، ولا يدّعيه غيرنا إلّا ضال غوى، فليقتصروا منّا على هذه الجملة دون التفسير، ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله» («١»).

وروى بسنده عن أبى عبد الله (ع) قال: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان فى فسطاط القائم (ع)» («٢»).

وروى عن عبد الحميد الواسطى أنه سأل الباقر (ع) قال: قلت: فإن متُّ قبل أن أدرك القائم؟ قال: «القائل منكم: أن لو أدركت قائم آل محمّد نصرته كان كالمقارع بين يديه بسيفه، لا بل كالشهيد معه» («٣»).

وروى عن أبى الحسن عن آبائه (عليهم السلام) أن رسول الله (ص) قال: «أفضل أعمال أمّتى انتظار الفرج من الله (عزوجل)» («٤»).

وروى عن الصادق (ع): «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله (عزوجل): وَارْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ («۵»)، فَانْتَظِرُوا إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ («۶»)، فعليكم بالصبر، فإنه إنما يجىء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم» («۷»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٧۴

وقال (ع): «المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه فى سبيل الله» («١»).

وروى بسنده عن عمّار الساباطى قال: قلت لأبى عبد الله (ع): العبادة مع الإمام منكم المستتر فى دولة الباطل أفضل أم العبادة فى ظهور الحق ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟ فقال: «يا عمّار، الصدقة والله فى السر أفضل من الصدقة فى العلانية، وكذلك عبادتكم فى السر فى دولة الباطل أفضل؟ لخوفكم من عدّوكم فى دولة الباطل، وحال الهدنة ممن يعبد الله (عزوجل) فى ظهور الحق مع الإمام الظاهر فى دولة الحق، وليس العبادة مع الخوف وفى دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن فى دولة الحق.

اعلموا أن من صلّى منكم صلاة فريضة وحداناً مستتراً بها من عدّوه فى وقتها فأتمّها كتب الله (عزوجل) له بها خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلّى منكم صلاة نافلة فى وقتها فأتمّها كتب الله (عزوجل) له عشرين حسنة ويضاعف الله حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودان الله (عزوجل) على دينه وعلى إمامه وعلى نفسه وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة كثيرة إن الله (عزوجل) كريم».

قال: فقلت: جُعلت فداك، قد رغبتنى فى العمل وحثثتنى عليه، ولكن احبُّ أن أعلم كيف صرنا اليوم أفضل أعمالًا من أصحاب الإمام منكم الظاهر فى دولة الحق ونحن وهم على دين واحد وهو دين الله (عزوجل)؟

فقال: «إنكم سبقتموهم إلى الدخول فى دين الله (عزوجل) وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كل فقه وخير وإلى عبادة الله سراً مع عدّوكم مع الإمام المستتر مطيعون له صابرون معه منتظرون لدولة الحق خائفون على

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٧۵

إمامكم وأنفسكم من الملوك، تنظرون إلى حق إمامكم وحقكم فى أيدى الظلمة قد منعوكم ذلك واضطروكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوّكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم، فهنيئاً لكم هنيئاً».

قال: فقلت له: جُعلت فداك، فما نتمنى إذاً أن نكون من أصحاب الإمام القائم فى ظهور الحق ونحن اليوم فى إمامتك وطاعتك أفضل أعمالًا من أعمال أصحاب دولة الحق؟

فقال: «سبحان الله! أما تحبون أن يظهر الله (عزوجل) الحق والعدل فى البلاد، ويحسن حال عامة العباد ويجمع الله الكلمة ويؤلّف بين قلوب مختلفة، ولا يعصى الله (عزوجل) فى أرضه، ويقام حدود الله فى خلقه، ويرد الله الحق إلى أهله فيظهروه حتّى لا يستخفى بشىء من الحق مخافة أحد من الخلق، أما والله يا عمّار لا يموت منكم ميّت على الحال التى أنتم عليها إلّا كان أفضل عند الله (عزوجل) من كثير ممن شهد بدراً وأحداً فأبشروا» («١»).

وروى عن الصادق (ع): «المنتظر للثانى عشر كالشاهر سيفه بين يدى رسول الله (ص) يذب عنه، هو (الإمام الثانى عشر ...) هو المفرج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد وبلاء طويل وجور، فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان» («٢»).

وروى الكلينى بسنده عن يمان التمّار قال: كنّا عند أبى عبد الله (ع) جلوساً فقال لنا: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٧۶

كالخارط للقتاد ثمّ قال هكذا بيده («١») فأيّكم يمسك شوك القتاد بيده؟»، ثمّ أطرق ملياً، ثمّ قال: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتق الله عبد وليمسك بدينه» («٢»).

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «إذا فُقد الخامس من ولد السابع فالله الله فى أديانكم لا يزيلكم عنها أحد، يا بنى إنه لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتّى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هى محنة من الله (عزوجل) امتحن بها خلقه، لو علم آباؤكم وأجدادكم

ديناً أصحُّ من هذا لاتّبعوه» («۳»).

أقول: المقصود من ذيل الرواية ليس التقليد للآباء والأجداد، بل هو التنبيه إلى أن من الآباء والأجداد من كان همّه وسعيه فى البحث عن الحق والدين الصحيح، واختيار مثلهم لهذا الدين يكون مؤشراً لصحة هذا الدين، وليس ذلك دعوة للتقليد كما قد يتوهم.

وروى أن سائلًا سأل الصادق (ع) قال: قلت: إذا أصبحت وأمسيت لا أرى إماماً ائتمُّ به ما أصنع؟ قال: «فأحبّ من كنت تحبّ، وابغض من كنت تبغض حتّى يظهره الله (عزوجل)» («۴»).

وروى النعمانى فى كتاب (الغيبة) عن الصادق (ع) أنه قال: «أقرب ما يكون العباد من الله (عزوجل) وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله جلَّ وعزَّ ولم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۱۷۷

يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه وهم فى ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجة الله جلَّ ذكره ولا ميثاقه، فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً فإن أشدّ ما يكون غضب الله (عزوجل) على أعدائه إذا افتقدوا حجة الله فلم يظهر لهم، وقد علم الله أن أولياءه («۱») لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفة عين، ولا يكون ذلك إلّا على رأس شرار الناس» («۲»).

وروى عن أبى جعفر (الباقر) (ع) أنه قال: «لتمحّصنَّ يا شيعة آل محمّد تمحيص الكحل فى العين، وإن صاحب العين يدرى متى يقع الكحل فى عينه ولا يعلم متى يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا ويمسى وقد خرج منها، ويمسى على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها» («۳»).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «والله لتكسّرنَّ تكسّر الزجاج وإن الزجاج ليعاد فيعود كما كان، والله لتكسرنَّ تكسّر الفخار، وإن الفخار ليتكسّر فلا يعود كما كان، ووالله لتغربلنَّ ووالله لتمحّصنَّ حتّى لا يبقى منكم إلّا الأقل» وصعر كفه («۴»).

ثمّ قال النعمانى: فتبيّنوا يا معشر الشيعة هذه الأحاديث المروية عن أمير المؤمنين ومن بعده من الأئمّة (عليهم السلام) واحذروا ما حذّروكم وتأمّلوا ما جاء عنهم تأمّلًا شافياً، وفكّروا فيها فكراً تنعمونه، فلم يكن فى التحذير شىء أبلغ من قولهم: «إن الرجل يصبح على شريعة من أمرنا ويمسى وقد خرج منها، ويمسى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج ۱، ص: ۱۷۸

على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها»، أليس هذا دليلًا على الخروج من نظام الإمامة وترك ما كان يعتقد منها على غير طريق.

وفى قوله: «لتكسّرنَّ تكسّر الزجاج» ... الخ، فضرب ذلك مثلًا لمن يكون على مذهب الإمامية فيعدل عنه إلى غيره بالفتنة التى تعرض له ثمّ تلحقه السعادة بنظرة من الله فتبيّن له ظلمة ما دخل فيه وصفاء ما خرج منه فيبادر قبل موته بالتوبة والرجوع إلى الحق فيتوب الله عليه ويعيده إلى حاله فى الهدى كالزجاج الذى يعاد بعد تكسّره فيعود كما كان، ولمن يكون على هذا الأمر فيخرج عنه ويتمّ على الشقاء بأن يدركه الموت وهو على ما هو عليه غير تائب منه ولا عائد إلى الحق، فيكون مثله كمثل الفخار الذى يكسّر فلا يعاد إلى حاله، لأنه لا توبة له بعد الموت ولا فى ساعته، نسأل الله الثبات على ما منَّ به علينا، وأن يزيد فى إحسانه، فإنما نحن له ومنه» («۱») انتهى.

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «ما يكون ذلك (أى ظهور الحجة (ع)) حتّى تميّزوا وتمحّصوا، وحتّى لا يبقى منكم إلّا الأقل»، ثمّ صعر كفه («۲»).

وعن الرضا (ع): «والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتّى تمحّصوا وتميّزوا، وحتّى لا يبقى منكم إلّا الأندر فالأندر» («۳»)، وفى رواية: «حتّى يشقى من شقى ويسعد من سعد» («

»).

هذا والروايات فى هذا المجال كثيرة جدّاً تطلب من مظانها.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٧٩

الأمر التاسع تفسير الكتاب الوارد من الناحية المقدّسة على الشيخ المفيد وتشرّف عدّة من أساطين الفقه والعلم بلقائه (ع ...) ص: ١٧٩

لعلَّ قائل يقول: ما تفسير ما وقع من خروج كتاب ورد من الناحية المقدّسة حرسها الله ورعاها على الشيخ المفيد أبى عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان (قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه)؟

وما تفسير ما شاع نقله واستفاض من تشرّف عدّة من أساطين الفقهاء والعلماء بلقائه (ع)، حتّى أن ثُلّة منهم نقل عنه (ع) بعض الأدعية المسطورة فى كتب الشيعة؟

وكيف يتّفق مع ما تسالمت عليه الطائفة من انقطاع السفار، وأن «من ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفتر» («١») كما ورد فى التوقيع الذى خرج على يد النائب الرابع.

فتفسير ذلك: أنه التبس على القائل معنى السفارة والنيابة الخاصة والوكالة والبابية مع ما ذكره من الموارد، ولنوضّح الفرق بمثال موجود فى يومنا هذا.

وهو الفرق بين سفير دولة ما وبين مواطن كأحد المواطنين لتلك الدولة قد أبلغ من قبلها بإيصال رسالة ما إلى جهة معينة، فالسفير للدولة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨٠

له منصب دائم من قبلها لإيصال والقيام بنيابة الدولة وتمثيلها، بخلاف ذلك المواطن الذى اتّفق أن امر بإيصال رسالة ما، فإنه لم ينصب لمقام معين، ولم يجعل ممثلًا دائمياً.

ومن ثَمَّ نقول: الفرق بين الباب والسفير وبين مثل المكاتبة التى تشرّف بها المفيد رضوان الله تعالى عليه هو أن السفير كالنواب الأربعة فى الغيبة الصغرى هو الذى ينصب بنحو دائم كحلقة وصل بين الشيعة والإمام، ويكون على اتصال دائم بحيث يوصل من وإلى الحجة (ع)، وهو يأتمر فى كل صغيرة وكبيرة من أعماله وإجراءاته وتنفيذه فى المهام الدينية من قبل الحجة (ع)، وتظهر على يديه دلائل وبراهين على النيابة الخاصة من قبل الحجة (ع)، مع إظهار السفير سفارته لأجلاء الطائفة الإمامية، وأين هذا من مثل المكاتبة المذكورة؟

وقد تقدّم ذكر عدّة ممن كانوا يكتبون الأسئلة ويبعثون بها إلى الحجة (ع) عبر النواب فى الغيبة الصغرى، كأبى جعفر محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميرى المعروف بمكاتبته للحجة عبر النواب الأربعة، ومع ذلك فلم يكن سفيراً ولا نائباً خاصاً ولا وكيلًا بالمباشرة ولا بالواسط بل كسائر الفقهاء.

وكذلك عدّة كثيرة من الفقهاء كاتبوا فى الغيبة الصغرى عبر النواب الأربعة أو كتب إليهم.

منهم محمّد بن صالح («١»)، وإسحاق بن يعقوب («٢»)، ومحمّد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨١

الصالح («١»)، والحسن بن الفضل اليمانى («٢»)، وعلى بن محمّد الشمشاطى («٣»)، وأبو رجاء المصرى («٤»)، ومحمّد بن هارون («٥»)، وأبو القاسم بن أبى جليس («٦»)، وهارون بن موسى بن الفرات، ومحمّد بن محمّد البصرى، ومحمّد بن يزداد، ومحمّد بن كشمرد («٧»)، وعلى بن محمّد بن إسحاق الأشعرى، وإبراهيم بن محمّد بن الفرج وغيرهم كثير جدّاً، ومع ذلك لم يكونوا وكلاء بالمباشرة ولا بالواسطة.

هذا مع أن الشيخ المفيد كتب إليه من الحجة (ع) لأنه أرسل كتاباً ثمّ أتاه الجواب، وكيف يتوهّم أن الشيخ المفيد يدّعى أنه سفير مع

أنه نفسه ذكر فى (الرسائل الخمس فى الغيبة) («٨») انقطاع السفارة والنواب بموت النائب الرابع فى الغيبة الصغرى، وذكر ذلك فى كتاب الإرشاد فى الفصل الذى عقده للإمام الثانى عشر (ع) («٩») وفى بقية كتبه، ومع أن الشيخ المفيد نفسه ذكر عن شيخه أبى القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه: (أن عندنا أن كل من ادّعى الأمر بعد السمرى فهو كافر منمّس ضال مضل) («١٠»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨٢

نعم، الشيخ المفيد كبقية الفقهاء العدول له النيابة العامة، وهى المرجعية، والتى يستقى الفقيه علمه بالأحكام الشرعية من الكتاب والأخبار المأثورة عن الرسول (ص) والأئمّة (عليهم السلام) كما تقدّم شرح ذلك فى الأمر الثالث من هذا الفصل.

هذا مع أنه يصعب الجزم بصدور هذا الكتاب من الناحية المقدسة وورود للشيخ المفيد، وذلك لأن الشيخ الطبرسى (رض) تفرّد بذكر ذلك فى كتابه (الاحتجاج) ولم يذكر طريقه وسنده إلى الشيخ المفيد.

أما تفرّده فلأن الشيخ الطوسى وهو تلميذ الشيخ المفيد ومن خواصه المقرّبين إليه لم يذكر ذلك فى كتابه الرجال والفهرست عند ترجمة شيخه المفيد، مع أنه أثنى عليه بأبلغ الثناء والمدح، ولو كان مثل هذا الكتاب من الناحية المقدسة لناسب ذكره فى الترجمة، لأنه أبلغ شىء فى التعريف بمكانة شيخه، كما لم يذكر الشيخ الطوسى هذه الواقعة فى بقية كتبه.

وكذلك الشيخ الجليل أبو العبّاس أحمد بن على النجاشى تلميذ الشيخ المفيد لم يذكر ذلك فى ترجمة شيخه فى رجاله مع أنه أطرى عليه بأحسن الثناء.

وكذلك لم يعثر فى كتب السيد المرتضى على بن الحسين الموسوى على ذكر لهذه الواقعة، مع أن السيد يأتى بشىء من الاطراء والمدح لأستاذه الشيخ المفيد عند تصادف ذكر شيخه فى كتبه.

وكذلك لم يذكر ذلك ابن الحلّى فى سرائره فى المستطرفات فى ما استطرفه من كتاب العيون والمحاسن تصنيف المفيد، حيث أتى بترجمة للمفيد فى البدء فيها من المدح والثناء الجميل.

وكذلك لم يذكر ذلك العلّامة الحلّى فى كتاب الرجال عند

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨٣

ترجمة الشيخ المفيد مع أنه أطرى عليه بالمدح الجزيل، مع أن العلّامة الحلّى (رض) من أعلام الطائفة فى القرن السابع فهو متأخر عن الشيخ الطبرسى الذى هو من أعلام القرن السادس.

وكذلك لم يذكر ذلك تقى الدين بن داود الحلّى فى كتاب الرجال المعاصر للعلّامة الحلّى.

وكذلك لم يذكر ذلك الشيخ أبو الفتح الكراجكى تلميذ المفيد مع أنه كرّر ذكره فى كتابه كنز الفوائد.

نعم، ذكر ابن شهرآشوب السروى فى معالم العلماء: (ولقّبه بالشيخ المفيد صاحب الزمان (صلوات الله عليه)، وقد ذكرت سبب ذلك فى مناقب آل أبى طالب)، ولكن لم يعثر على ذلك فى كتابه المناقب، وقد ذكر المصحح الذى أشرف على طبع كتاب المناقب («١»): (وليعلم أن الموجود من المناقب فى أحوال الأئمّة (عليهم السلام) إلى العسكرى، ولم نعثر على أحوال الحجة (ع) منه، ولا نقله من تقدّمنا من سدنة الأخبار كالمجلسى (رض) والشيخ الحر وأمثالهما، وربما يتوهّم أنه لم يوفق لذكر أحواله (ع)، إلّا أنه قال فى معالم العلماء فى ترجمة المفيد (رض) (أنه لقّبه بالشيخ، والظاهر أنه كتبه فى جملة أحواله (ع) فى هذا الباب سقط من هذا الكتاب).

وعلى أيّة حال فابن شهرآشوب تلميذ الشيخ الطبرسى كما ذكر هو ذلك («٢») فالمظنون قويّاً أنه نقله عن الطبرسى.

وكذلك ما يحكى عن رسالة نهج العلوم ليحيى بن بطريق الحلّى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨۴

صاحب كتاب (العمدة فى عيون صحاح الأخبار فى مناقب إمام الأبرار) المتوفى سنة ستمائة هجرية أنه ذكر التوقيعات المذكورة إلى الشيخ المفيد (رض)، فالمظنون قويّاً أنه نقله عن ابن شهر آشوب لأنه الراوى عنه («١») أو نقله عن الشيخ الطبرسى (رض).

هذا مع أن ابن إدريس ذكر فى كتاب السرائر فى ما استطرفه من كتاب العيون والمحاسن تصنيف الشيخ المفيد أن الذى سمّاه بهذا اللقب على بن عيسى الرمانى عندما أفحمه المفيد وكان فى بداية نشوه العلمى، لا أن هذا اللقب اشتهر به فى آخر عمره كما هو مقتضى تاريخ التوقيع، إلّا أن يريد ابن شهر آشوب جرى هذا اللقب على لسانه الشريف (ع) وما فى ذلك من المدح للمفيد (رضوان الله تعالى عليه).

وأما عدم ذكر الطريق فلأن الشيخ الطبرسى لا يروى مباشرة عن المفيد، بل لا بدَّ من الواسطة، ولم تذكر فى كلامه (رفع الله مقامه).

وهو وإن ذكر فى أوّل كتاب الاحتجاج حيث يقول: (ولا نأتى فى أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إما لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلَّت العقول إليه، أو لاشتهاره فى السير والكتب بين المخالف والمؤالف).

لكن شىء من الأقسام الثلاثة غير متحقق لدينا.

أما الإجماع والاتفاق، فقد عرفت خلو كتب التراجم والرجال المصنّفة ممن هو أقرب زمناً من الشيخ الطبرسى من ذلك، ومن ذلك لا يتحقق لدينا وجود الشهرة أيضاً فى تلك الأعصار («٢»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨٥

وأما الموافقة للدليل العقلى، فلا دليل عقلى فى البين على وقوع ذلك.

نعم، الشيخ الطبرسى لا محالة قد تحقق لديه أحدها، ولكن لم يتحقق لدينا كما عرفت، وهنا إشكال آخر ذكره السيد المحقق الخوئى (رض) فى المعجم («١») بقوله: (هب أن الشيخ المفيد جزم بقرائن أن التوقيع صدر من الناحية المقدسة، ولكن كيف يمكننا الجزم بصدوره من تلك الناحية؟).

ووجه هذا الإشكال أن المفيد (رض) ليس سفيراً خاصاً وباباً للحجة (ع) كى يجزم بما قد جزم به المفيد أنه من الناحية، إذ قد لا يحصل الجزم من تلك القرائن فيما لو علمنا بها.

وهذا بخلاف الحال فى السفير والباب الخاص بالحجة (ع)، فإنه مقتضى سفارته حجية قوله فيما يؤدّيه عن الحجة من دون احتمال الخطأ والغفلة كما ورد فى قول الإمام العسكرى (ع) عند تنصيصه على نيابة العمرى وابنه: «العمرى وابنه ثقتان، فما أدّيا عنّى فعنّى يؤدّيان، وما قالا لك فعنّى يقولان» («٢»)، «فاقبلوا من عثمان (النائب الأوّل العمرى) ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه» («٣»).

ومن ذلك كلّه يظهر لك تفسير تشرف عدّة من أكابر العلماء والفقهاء والأتقياء بلقاء الحجة (ع) وسعادتهم بجمال محضره الشريف، فإن ذلك ليس يعنى سفارتهم وبابيتهم وأنهم منصوبون لذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨٦

بل إن ذلك نتيجة الطهارة من الذنوب ومن النزعات الشيطانية والحيوانية، إذ قد ورد فى بعض الروايات («١»): أن الحاجب بيننا وبين نور مطلعه الباهر عليه أفضل صلوات الملك القادر هى ذنوبنا وسيئات أعمالنا، وقد ذكر الصدوق فى إكمال الدين عدّة كثيرة ممن تشرّف بلقائه (ع) فى الغيبة الصغرى فترة النواب الأربعة («٢»)، ولم تكن تلك العدّة التى تشرّفت بلقائه (ع) سفراء ونواباً.

وأما توافق ذلك مع ما خرج من التوقيع على يد على بن محمّد السمرى النائب الرابع والأخير: «من ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفتر» («٣»).

فلأن معنى التوقيع المبارك كما هو الراجح لدى العلماء هو ادّعاء النيابة الخاصة والسفارة، بقرينة أن التوقيع صدر قرب وفاة السمرى، حيث أن فى أوّله تعزية الإمام (ع) المؤمنين بموت السمرى ما بينه وبين ستة أيام، ثمّ أمره (ع) بعدم الوصاية إلى أحد يقوم مقامه بعد وفاته، إذ قد وقعت الغيبة التامة، وأنه لا ظهور حتّى يأذن الله تعالى ذكره. هذه كلّها قرائن أن سياق الكلام دالٌّ على تكذيب ادّعاء النيابة والسفارة بعد السمرى رضوان الله تعالى عليه.

ونصَّ التوقيع كما ذكره الشيخ فى (الغيبة) («۴») قال: وأخبرنا جماعة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨٧

(وهم مشايخه)، عن أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه (الصدوق)، قال: حدّثنى أبو محمّد الحسين بن أحمد المكتّب (الذى ترحَّم عليه الصدوق فى كمال الدين)، قال: كنت بمدينة السلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ أبو الحسن على بن محمّد السمرى (رض)، فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمّد السمرى عظَّم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتى لشيعتى من يدّعى المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلى العظيم».

وقد أنبأ (ع) شيعته بمجيء المدّعين الكذّابين المفترين، وقد حصل مجيئهم كرّات ومرّات ولا زال فى يومنا هذا، وهذا الإنباء بالمستقبل من معجزاته (ع). وواضح أن من يدّعى المشاهدة للحجة (ع) ليس غرضه إلّا إظهار نفسه كوسيط وسفير للحجة (ع)، وهذه قرينة أخرى على أن المعنى المراد فى التوقيع المبارك هو ادّعاء النيابة والسفارة.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨٨

الأمر العاشر من هم الأبدال والأوتاد ...؟ ص: ١٨٨

ولعلَّ سؤالًا يطرح وهو: أليس الأبدال والأوتاد على درجة من القرب إلى الناحية المقدسة، ولعلَّ المقدمين منهم على اتصال، فكيف يلتئم ذلك مع انقطاع النيابة الخاصة؟

فالجواب يتّضح من خلال استعراض ما ورد من الروايات فى ذلك:

منها: ما رواه الصدوق (رض) بإسناده عن أبى سعيد الخدرى فى وصية النبى (ص) لعلى (ع) قال: «يا على، عليك بالجماع ليلة الإثنين فإنه إن قضى بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قسّم الله (عزوجل) وإن جامعت أهلك ... إلى أن قال (ص):

وإن جامعتها فى ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنه يرجى أن يكون الولد من الأبدال إن شاء الله» («١»)، وقد رواه الطبرسى فى (مكارم الأخلاق) («٢»).

منها: ما رواه الطبرسى (رض) عن الخالد بن الهيثم الفارسى قال: قلت لأبى الحسن الرضا (ع): إن الناس يزعمون أن فى الأرض أبدالًا، فمن هؤلاء الأبدال؟ قال: «صدقوا، الأبدال هم الأوصياء، جعلهم الله (عزوجل) فى الأرض بدل الأنبياء إذ رفع الأنبياء وختمهم محمّد (ص)» («٣»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٨٩

وقال المجلسى (رض) فى بيان هذا الحديث: ظاهر الدعاء المروى من امّ داود عن الصادق (ع) فى النصف من رجب:

قل: «اللهم صل على محمّد وآل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد، وبارك على محمّد وآل محمّد، كما صلّيت وترحمت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم صل على الأوصياء والسعداء والشهداء وأئمّة الهدى، اللهم صل على الأبدال والأوتاد والعباد المخلصين والزهاد وأهل الجد والاجتهاد» ... إلى آخر الدعاء، يدلُّ على مغايرة الأبدال للأئمّة (عليهم السلام) لكن ليس بصريح فيها فيمكن حمله على التأكيد ويحتمل أن يكون المراد به فى الدعاء خواص أصحاب الأئمّة (عليهم السلام)، والظاهر من الخبر نفى ما تفتريه الصوفية من العامة كما لا يخفى على المتتبع العارف بمقاصدهم (عليهم السلام).

ومنها: ما رواه الكلينى عن الباقر (ع) قال: قال رسول الله (ص): «إنّى وإثنى عشر («١») من ولدى وأنت يا على زر الأرض يعنى أوتادها

وجبالها، بنا أوتـد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشـر من ولـدى ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا» («٢»)، وهذه الرواية مطابقـة فى المضـمون للروايـة السابقـة، ولكن هذا المضـمون لا يعارض ما دلَّ على أن الأوتاد والأبدال هم غير الأئمّة (عليهم السـلام) وذلك لإمكان عموم معناهما غاية الأمر أنه تشكيكى (متفاوت الأفراد) ذو درجات الأعلى والأشرف من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٩٠

أفراده هم الأئمّة (عليهم السلام) ولهم آثار تخصّهم بخلاف بقية أفراد ومصاديق ذلك المعنى العام فإن لهم آثاراً أقل شأناً.

وحكى الشيخ القمى فى كتابه (سفينة البحار) فى عنوان (قطب):

ثمّ اعلم أنه قال الكفعمى فى حاشـية مصـباحه: قيل: إن الأرض لا تخلو من القطب وأربعـة أوتاد وأربعين بدلًا وسـبعين نجيباً وثلاثمائة وستين صالحاً، فالقطب هو المهـدى (ع)، ولا تكون الأوتاد أقل من أربعـة لأن الـدنيا كالخيمـة والمهـدى (ع) كالعمود وتلك الأربعة أطنـاب وقـد تكون الأوتـاد أكثر من أربعـة والأبـدال أكثر من أربعين والنجبـاء أكثر من سـبعين والصالحون أكثر من ثلاثمائـة وستين، والظاهر أن الخضر وإلياس (ع) من الأوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب.

وأمـا صـفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربهم طرفـة عين ولا يجمعون من الـدنيا إلّا البلاغ ولا تصـدر منهم هفوات البشـر ولا يشترط فيهم العصمة وشرط ذلك فى القطب.

وأما الأبدال فدون هؤلاء فى المرتبة، وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكر ولا يتعمدون ذنباً.

وأما النجباء فهم دون الأبدال.

وأما الصالحون فهم المتّقون الموصوفون بالعدالة، وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالاسـتغفار والندم، قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ («١»).

ثمّ ذكر أنه إذا نقص واحد من أحد المراتب المذكورة وضع بدله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٩١

من المرتبة الأدنى وإذا نقص من الصالحين وضع بدله من سائر الناس والله العالم («١»).

وحكى فى عيون إليـاس: روى الثعلبى عن رجل من أهل عسـقلان أنه كان يمشـى بالأردن عنـد نصف النهار فرأى، إلياس النبى فسأله كم من الأنبياء أحياء اليوم؟ قال: أربعة، اثنان فى السـماء واثنان فى الأرض، ففى السـماء عيسى وإدريس، وفى الأرض إلياس والخضر، قلت: كم الأبدال؟ قال: ستون رجلًا، خمسون منهم من لدن عريش مصر إلى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة فى سائر البلاد كلّما ذهب الله تعالى بواحد منهم جاء سبحانه بآخر، بهم يدفع الله عن الناس وبهم يمطرون («٢»).

ومنها: ما فى نهج البلاغة («٣») من خطبة له (ع) فى صفات المتّقين:

«عبـاد الله إن من أحبَّ عبـاد الله إليه عبـداً أعـانه الله على نفسه فاستشـعر الحزن ... إلى أن قال (ع): «قـد أخلص لله فاسـتخلصه فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه».

وقال الشارح البحرانى فى ذيله:

كونه من أوتاد أرضه اسـتعار له لفظ الوتـد، ووجه المشابهة كون كل منهما سـبباً لحفظ ما يحفظ به، فبالوتد يحفظ الموتود وبالعارف يحفظ نظام الأرض واستقامة أمور هذا العالم.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ١٩٢

ويشـهد هذا المدلول لهذه الرواية لعموم المعنى الذى ذكرناه سابقاً وأنه تشكيكى ذو درجات، وأيضاً يفسّر مقام الأبدال بأن لهم نتيجة التقوى آثاراً تكوينية مختلفة لا أن غير الأئمّة من الأبدال له منصب شرعى ودينى خاص ومعين.

ويؤيّد ذلك ما ورد فى قوله تعالى: وَأَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ

أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَيَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ («١») وما ورد فى ذيله عن الباقر والصادق (ع) قالا: «يحفظ الأطفال بصلاح آبائهم كما حفظ الله الغلامين بصلاح أبويهما» («٢»).

وفى رواية أخرى: «أن الله يحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة وأن الغلامين كان بينهما وبين أبيهما سبعمائة سنة» («٣»).

وفى رواية ثالثة: «أن الله ليفلح بفلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده ويحفظه فى دويريه ودويرات حوله، فلا يزالون فى حفظ الله لكرامته على الله»، ثمّ ذكر الغلامين فقال (ع): «وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً ألم ترَ أن الله شكر صلاح أبويهما لهما؟» («٤»).

وفى رواية رابعة أن النبى (ص) قال: «إن الله ليخلف العبد الصالح من بعد موته فى أهله وماله وإن كان أهله أهل سوء» ثمّ قرأ الآية («٥»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٩٣

ومن هذا القبيل ما روى عن الباقر (ع)، عن أبيه، عن جدّه، عن على بن أبى طالب (عليهم السلام)، قال: «ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون منهم سلمان الفارسى والمقداد وأبو ذر وعمّار وحذيفة (رحمة الله عليهم)»، وكان على (ع) يقول: «وأنا إمامهم وهم الذين صلّوا على فاطمة (ع)» («١») أى ببركتهم ويمنهم.

وفى رواية أخرى: قال (ع): «هؤلاء (المقداد وأبو ذر وسلمان) هم الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا لأبى بكر حتّى جاءوا بأمير المؤمنين (ع) مكرهاً فبايع» («٢»).

وبهذا التفسير وردت روايات:

منها: ما رواه المجلسى عن مصباح الشريعة أنه قال الصادق (ع): «التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى بالله فى الله وهو ترك الحلال فضلًا عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص.

وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلًا عن حرام وهو تقوى الخاص.

وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام.

ومثل التقوى كماء يجرى فى نهر ومثل هذه الطبقات الثلاث فى معنى التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر من كل لون وجنس وكل شجرة منهما يستمص الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته ثمّ منافع الخلق من ذلك الأشجار والثمار على قدرها وقيمتها قال الله تعالى: صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ («... ٣») الآية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ١٩٤

فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار ومثل طبايع الأشجار والثمار فى لونها وطعمها مثل مقادير الإيمان فمن كان أعلى درجة فى الإيمان وأصفى جوهراً بالروح كان أتقى ومن كان أتقى كانت عبادته أخلص وأطهر ومن كان كذلك كان من الله أقرب.

وكل عبادة غير مؤسسة على التقوى فهو هباء منثور قال الله (عزوجل): أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ («... ١») الآية، وتفسير التقوى ترك ما ليس بأخذه بأس حذراً عمّا به بأس وهو فى الحقيقة طاعة وذكر بلا نسيان وعلم بلا جهل مقبول غير مردود» («٢»).

وروى الشيخ الحرّانى فى (تحف العقول) («٣»): أنه دخل على الصادق (ع) رجل فقال: «ممن الرجل؟»، فقال: من محبيكم ومواليكم، فقال له جعفر: «لا يحبّ الله عبداً حتّى يتولاه ولا يتولاه حتّى يوجب له الجنّة». ثمّ قال له: «من أىّ محبّينا أنت؟» فسكت الرجل.

فقال له سدير: وكم محبّوكم يا ابن رسول الله؟ فقال: «على ثلاث طبقات: طبقة أحبّونا فى العلانية ولم يحبّونا فى السر، وطبقة يحبّونا فى السر ولم يحبّونا فى العلانية، وطبقة يحبّونا فى السر والعلانية هم النمط الأعلى شربوا من العذب الفرات وعلموا تأويل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الأسباب فهم النمط الأعلى، الفقر والفاقة وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل مستهم البأساء والضرّاء وزلزلوا وفتنوا فمن بين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۵

مجروح ومذبوح متفرقين فى كل بلاد قاصية، بهم يشفى الله السقيم، ويغنى العديم، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون، وبهم ترزقون، وهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً» ... الحديث.

وروى الكلينى عن الباقر (ع) قال: «إن الله تعالى ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء» («۱»)، وقال: «لا يصيب قرية عذاب وفيها سبعة مؤمنين» («۲»).

وروى الشيخ المجلسى فى (البحار) («۳») عن كتاب زيد الزراد قال: قلت لأبى عبد الله (ع): نخشى أن لا نكون مؤمنين، قال: «ولِمَ ذاك؟»، قلت: وذلك أننا لا نجد فينا من يكون أخوه عنده آثر من درهمه ودينار، ونجد الدينار والدرهم آثر عندنا من أخ قد جمع بيننا وبينه موالاة أمير المؤمنين (ع).

قال: «كلا، إنكم مؤمنون ولكن لا تكملون إيمانكم حتّى يخرج قائمنا فعندها يجمع الله أحلامكم فتكونوا مؤمنين كاملين، ولو لم يكن فى الأرض مؤمنون كاملون إذاً لرفعنا الله إليه وأنكرتم الأرض وأنكرتم السماء («۴»)، بل والذى نفسى بيده أن فى الأرض فى أطرافها مؤمنين ما قدر الدنيا كلّها عندهم تعدل جناح بعوضة».

ثمّ ذكر (ع) أوصافهم بنحو ما ذكر أمير المؤمنين (ع) أوصاف

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۶

المتّقين فى خطبة لهمام ثمّ قال (ع): «وا شوقاه إلى مجالستهم ومحادثتهم، يا كرباه لفقدهم، ويا كشف كرباه لمجالستهم، اطلبوهم فإن وجدتموهم واقتبستم من نورهم اهتديتم وفزتم بهم فى الدنيا والآخرة هم أعزُّ فى الناس من الكبريت الأحمر، حليتهم طول السكوت وكتمان السر والصلاة والزكاة والحج والصوم والمواساة للإخوان فى حال اليسر والعسر» ... الحديث.

ومن ذلك يظهر بوضوح أن الأبدال والأوتاد هم الذين على درجة من الإيمان وببركتهم ويمنهم، ينشر الله تعالى أنواع الخير على أهل الأرض وهم أحبُّ المؤمنين لدى المعصومين (عليهم السلام) وأرفعهم منزلة عندهم وكرامة، ولكن أين ذلك من جعل المنصب والنيابة الخاصة والوساطة بين الإمام المعصوم وبين سائر الناس.

نعم هم قدوة وأمثال حيّة للمؤمن الكامل والمتقى الكريم على الله تعالى ورسوله والأوصياء صلوات الله عليهم.

وكم فرق بين الاهتداء بهم فى طاعاتهم وورعهم وتقواهم وبين الائتمار والانتهاء لأقوالهم والسماع لأخبارهم عن المعصوم.

وهذا المقام للإبدال والأوتاد مفتوح بابه لمن أراد بأن يجاهد نفسه وهواه، فقد روى الكلينى عن الباقر (ع) أنه قال: «إن أصحاب محمّد (ص) قالوا: يا رسول الله نخاف النفاق. قال: فقال: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا كأنّا نعاين الآخرة والجنّة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التى كنّا عليها عندك وحتّى كأنّا لم نكن على شىء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله (ص): كلا، إن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۱۹۷

هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم فى الدنيا، والله لو تدومون على الحالة التى وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة، ومشيتم على الماء » («...۱») الحديث.

وهذا بخلاف مقام النيابة والسفارة فإنه باختيار وإرادة من الإمام المعصوم (ع).

ويجدر التنبيه مع ذلك إلى ما قاله الصادق (ع) إلى أن الأبدال والكاملين هم أعزُّ من الكبريت الأحمر، أى إنهم فى منتهى الندرة والقلّة فكيف يعثر عليهم مع إخفاءهم لحالهم لكيلا يذهب خلوص نياتهم، ولئلّا يحصل لأنفسهم الاغترار وغير ذلك من مفاسد الاشتهار.

وهذا من الشواهد على اختلاف مقامهم لمقام النيابة والسفارة.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٠١

الفصل الثالث فى الفِرق التى انحرفت عن الطائفة الإمامية وكيفية انحرافها ... ص: ٢٠١

اشارة

وهى كثيرة حتّى قيل: إن الشيخ الجليل سعد بن عبد الله بن أبى خلف الأشعرى القمى ذكر فى كتابه (المقالات والفِرق) («١») ما يقرب من مائة وأربع عشرة فرقة وبدعة.

وسر ذلك هو ما قاله أمير المؤمنين (ع) عندما خطب الناس فقال: «أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله، يتولّى فيها رجال رجالًا، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذى حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى» («٢»).

وعن الصادق (ع) أنه قال: قال رسول الله (ص): «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار» («٣»)

(الغلاة ...): ص: ٢٠١

). ومن هذه الفرق (هم الذين غلوا فى أمير المؤمنين (ع)) وزعموا أنه ربهم فأمر (ع) بقتلهم.

وقد رواه الكشى فى كتاب (الرجال) («٤») فى ترجمة (محمّد بن أبى زينب) («٥») بإسناده عن عبد الله بن شريك، عن أبيه، قال: بينا على (ع)

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٠٢

عند امرأة من عنزة وهى امّ عمرو إذ أتاه قنبر فقال: إن عشرة نفر بالباب يزعمون أنك ربهم، قال: «أدخلهم»، قال: فدخلوا عليه، فقال: «ما تقولون؟»، فقالوا: إنك ربنا وأنت الذى خلقتنا وأنت الذى ترزقنا.

فقال لهم: «ويلكم لا تفعلوا إنما أنا مخلوق مثلكم»، فأبوا أن يقلعوا، فقال لهم: «ويلكم ربى وربكم الله إنما أنا مخلوق مثلكم»، فأبوا أن يقلعوا، فقال لهم: «ويلكم ربى وربكم الله توبوا وارجعوا».

فقالوا: لا نرجع عن مقالتنا أنت ربنا وأنت خلقتنا، فقال: «يا قنبر آتنى بالفعلة»، فخرج قنبر فأتاه بعشر رجال مع الزبل والمرور، فأمرهم أن يحفروا لهم فى الأرض فلمّا حفروا خداً أمرنا بالحطب والنار فطرح فيه حتّى صار ناراً تتوقد، قال لهم: «ويلكم توبوا وارجعوا!»، فأبوا وقالوا: لا نرجع، فقذف على (ع) بعضهم ثمّ قذف بقيتهم فى النار، ثمّ قال لى (ع): «إنّى إذا بصرت شيئاً منكراً، أوقدت نارى ودعوت قنبراً».

وقد قال أمير المؤمنين (ع): «هلك فىَّ رجلان: محب غال، ومبغض قال» («١»).

ومنها (الخطابية ...): ص: ٢٠٢

أصحاب أبى الخطاب محمّد بن أبى زينب الأسدى الأخدع («٢») الزراد البزاز يكنّى تارة أبا الخطاب، وأخرى أبا الظبيات («٣»)، وأبا إسماعيل لعنه الله، وكانوا قد أظهروا الإباحات وتحليل المحرّمات وآل أمرهم إلى الدعوة إلى نبوّة أبى طالب، وكانوا يدعون الناس

إلى أمرهم سراً فبلغ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۳

خبرهم عيسى بن موسى وكان عاملًا للمنصور العبّاسى على الكوفة فبعث إليهم رجلًا من أصحابه فى خيل ورجالة.

فكانت بينهم حرب شديدة بالقصب والحجارة والسكاكين كانت مع بعضهم وجعلوا القصب مكان الرماح وقد كان أبو الخطاب قال لهم: قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح وسائر السلاح ورماحهم وسيوفهم لا يضركم ولا يعمل فيكم ولا يحتك فى أبدانكم فجعل يقدمهم عشرة عشرة للمحاربة فلمّا قتل منهم نحو ثلاثين رجلًا صاحوا إليه: يا سيدنا ما ترى فى ما يحلُّ بنا من هؤلاء القوم؟ ولا ترى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر وقد يكسر كلّه؟ وقد عمل فينا وقتل من ترى منّا.

فقال لهم: يا قوم إن كان بدا لله فيكم فما ذنبى، يا قوم قد بليتم وامتحنتم واذن فى قتلكم وشهادتكم فقاتلوا على دينكم وأحسابكم ثمّ إنهم قتلوا وقتل هو وصلب، فقال بعض أصحابه: إن أبا الخطاب لم يقتل ولا أسر ولا قتل أحد من أصحابه وإنما لبس على القوم وشبه عليهم وأنه قد صير بعد حدث هذا الأمر من الملائكة («۱»).

وزعموا أنه لا بدَّ من رسولين فى كل عصر ولا تخلو الأرض منهما: واحد ناطق وآخر صامت، فكان محمّد (ص) ناطقاً وعلى صامتاً وتأوّلوا فى ذلك قول الله: ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا («۲») ثمّ ارتفعوا عن هذه المقالة إلى أن قال بعضهم: هما آلهة، وتشاهدا بالزور.

ثمّ إنهم افترقوا لمّا بلغهم أن جعفر بن محمّد (الصادق) (ع) لعنهم ولعن أبا الخطاب وبرئ منه ومنهم فصاروا أربع فِرق وكان أبو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۴

الخطاب يدّعى أن جعفر بن محمّد (ع) قد جعله قيّمه ووصيّه من بعده وأنه علّمه اسم الله الأعظم.

ثمّ ترقى إلى أن ادّعى النبوة ثمّ ادّعى الرسالة ثمّ ادّعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم وذلك بعد دعواه أنه جعفر بن محمّد وأنه يتصور فى أىّ صورة شاء.

وذكر بعض الخطابية أن رجلًا سأل جعفر بن محمّد عن مسألة وهو بالمدينة فأجابه فيها ثمّ انصرف إلى الكوفة فسأل أبا الخطاب عنها فقال له: أوَلم تسألنى عن هذه المسألة بالمدينة فأجبتك فيها؟

ومنها (الحارثية ...): ص: ۲۰۴

أصحاب عبد الله بن الحارث وكان أبوه زنديقاً من أهل المدائن فأبرز لأصحاب عبد الله بن معاوية الذى قتله أبو مسلم والذى هو صاحب إحدى الفِرق الكيسانية وقد مال إليه شذاذ صنوف الشيعة فأدخلهم فى الغلو والقول بالتناسخ والأظلة والدور وأسند ذلك إلى (جابر بن عبد الله الأنصارى) ثمّ إلى (جابر بن يزيد الجعفى) فخدعهم بذلك حتّى ردّهم عن جميع الفرائض والشرائع والسنن وادّعى أن هذا مذهب جابر بن عبد الله وجابر بن يزيد فإنهما قد كانا من ذلك بريئين («۱»).

ومنهم ومن الكيسانية والعبّاسية والخرمدينية كان بدء الغلو فى القول حتّى قالوا: إن الأئمّة آلهة وأنهم أنبياء وأنهم رسل وأنهم ملائكة وهم الذين تكلّموا بالأظلة فى التناسخ فى الأرواح.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۰۵

وهم أهل القول بالدور فى هذا الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب وزعموا أن لا دار إلّا الدنيا وأن القيامة إنما هى خروج الروح من بدن ودخوله فى بدن آخر غيره (وهو معنى الدور) إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشراً.

وأنهم مسرورون فى هذه الأبدان أو معذّبون فيها، والأبدان هى الجنّات وهى النار وأنهم منقولون فى الأجسام الحسنة الأنسية المنعمة فى حياتهم ومعذبون فى الأجسام الروية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيّات وعقارب وخنافس وجعلان محولون من بدن إلى بدن معذّبون فيها هكذا أبد الأبد فهى جنّتهم ونارهم، لا قيامة ولا بعث، ولا جنّة ولا نار غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم

لأئمّتهم ومعصيتهم لهم فإنما تسقط الأبدان وتخرب إذ هى مساكنهم فتتلاشى الأبدان وهذا معنى الرجعة عندهم («١»).

ومنها (المنصورية ...): ص: ٢٠٥

أصحاب أبى منصور العجلى الذى لعنه الإمام الصادق (ع) ثلاثاً، وهو الذى ادّعى أن الله (عزوجل) عرج به إليه فأدناه منه وكلّمه ومسح يده على رأسه وقال له بالسريانى: أى بنى، وذكر أنه نبى ورسول وأن الله اتخذه خليلًا.

وكان منصور من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار وكان منشأه بالبادية وكان امّياً لا يقرأ فادّعى بعد وفاة أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) أنه فوّض إليه أمره وجعله وصيّه من بعده ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٠٦

ترقّى به الأمر إلى أن قال: كان على بن أبى طالب (ع) نبيّاً ورسولًا وكذا الحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمّد بن على، وأنا نبى ورسول، والنبوة فى ستة من ولدى يكونون بعدى أنبياء آخرهم القائم.

وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ويقول: (من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفى)، وزعم أن جبرئيل (ع) يأتيه بالوحى من عند الله (عزوجل) وأن الله بعث محمّداً بالتنزيل وبعثه هو (يعنى نفسه) بالتأويل.

فطلبه خالد بن عبد الله القسرى فأعياه ثمّ ظفر عمر الخناق بابنه الحسين بن أبى منصور وقد تنبّأ وادّعى مرتبة أبيه وجبيت إليه الأموال وتابعه على مذهبه ورأيه بشر كثير وقالوا بنبوته فبعث به للمهدى العبّاسى فقتله فى خلافته وصلبه بعد أن أقرَّ بذلك وأخذ منه مالًا عظيماً وطلب أصحابه طلباً شديداً وظفر بجماعة منهم فقتلهم وصلبهم («١»).

ومنهم (أصحاب السرى ...): ص: ٢٠٦

قالوا: إنه رسول مثل أبى الخطاب أرسله جعفر. وقال: إنه قوى أمين وهو موسى القوى الأمين وفيه تلك الروح وجعفر هو الإسلام والإسلام هو السلام وهو الله (عزوجل) ونحن بنوا الإسلام كما قالت اليهود: نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ («٢»). («٣»)

ومنها (البيانية ...): ص: ٢٠٦

أصحاب بيان بن سمعان الهندى الذى كان يبيع التبن بالكوفة، ثمّ

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٠٧

ادّعى أن محمّد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) أوصى إليه فأخذه خالد بن عبد الله القسرى فقتله وصلبه مدّة ثمّ أحرقه وأخذ معه خمسة عشر رجلًا من أصحابه فشدّهم فى أطبان القصب وصبَّ عليهم النفط فى مسجد الكوفة وألهب فيهم النار فأفلت منهم رجل فخرج يشتد ثمّ التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار فكرّ راجعاً فألقى نفسه فى النار فاحترق معهم، وكان بيان يقول هو وأصحابه: إن الله تبارك وتعالى يقول يشبه الإنسان وهو يفنى ويهلك جميع جوارحه إلّا وجهه وتأوّلوا فى ذلك قوله الله: كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ («١»).

وزعمت البيانية أن الوصية لعبد الله بن محمّد بن الحنفية بعد غيبة أبيه وأنها وصية استخلاف على الخلق كما استخلف رسول الله على المدينة علياً وغيره عند خروجه منها فى غزواته لا استخلاف بعد الموت وأنه حجة على الخلق وعلى الناس تقديمه وطاعته.

وزعموا أن أبا هاشم (عبد الله بن محمّد) لمّا قال: أنا الوصى على بنى هاشم وسائر الناس، طاعتى فرض واجب أردنا قتله فلمّا رأى إنكارنا ما ادّعاه وإنكار الناس ذلك دعا ربه أن يعطيه آية. وقال: اللهم إن كان صادقاً فلتقع الزهرة فى كفى فسقطت فى كفه، ولقد نظرناها أنها فى حقة توقد وإن مكانها من السماء فارغ ما فيه كوكب ولا دونه وذكرت هذه الفرقة أن أبا شجاع الحارثى قال له حين

دخل عليه الجوسق («٢») وفيه خطاطيف كثيرة وخفافيش: (إن كنت صادقاً فأتِ بآية اجعل الخفافيش كاسياً بايضاً والخطاف أصرط ولوداً) فدعا ربّه فجعلهما كذلك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٠٨

وإنه لم يزل من ذلك الخفاش والخطاطيف بقية إلى أن خرج السودان قالوا: (فاستغرب أبو شجاع ضحكاً تعجباً وسروراً فضحك لضحكه أبو هاشم ثمّ بصق فى وجهه فملأ وجهه دراً منظوماً) قالوا: (وشكا إليه الخلوف وضعف الباه فتفل فى لهاته ففاح منه كلطيمة العطار ونفخ فى أحليله فكان يجامع فى الليل مائة امرأة) («١»). وقالوا: (إن أبا هاشم عبد الله بن محمّد نبى بياناً عن الله (عزوجل) فبيان نبى، وتأوّلوا فى ذلك قول الله (عزوجل): هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ («٢») وادّعى (بيان) بعد وفاة أبى هاشم النبوة وكتب إلى أبى جعفر محمّد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) يدعوه إلى نفسه والاقرار بنبوته ويقول له: (أسلم تسلم وترتق فى سلم وتنج وتغنم فإنك لا تدرى أين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلّا البلاغ وقد أعذر من أنذر) فأمر أبو جعفر (الباقر) (ع) رسول بيان فأكل قرطاسه الذى جاء به وقتل (بيان) على ذلك وصلب («٣»).

ومنها (أصحاب حمزة بن عمارة الزبيدى البربرى ...): ص: ٢٠٨

الذى كان فى بدء أمره من الكيسانية (أى الذين قالوا بإمامة محمّد بن الحنفية) ففارقهم وكان من أهل المدينة وادّعى أنه نبى وأن محمّد بن الحنفية هو الله وأن حمزة هو الإمام والنبى وأنه ينزل عليه سبع أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويملكها فتبعه على ذلك أناس من أهل المدينة وأهل الكوفة ولعنه أبو جعفر محمّد بن على بن الحسين (الباقر) (ع) وبرئ منه وكذّبه وبرأت منه الشيعة وتبعه على رأيه رجلان

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٠٩

من نهد من أهل الكوفة يقال لأحدهما: (صائد)، والآخر: بيان بن سمعان (الذى تقدّم ذكره).

وكان حمزة بن عمارة نكح ابنته وأحلَّ جميع المحارم وقال: (من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا إثم عليه)، فأصحاب أبى (ابن) كرب وأصحاب حمزة وأصحاب صايد وبيان ينتظرون رجوعهم ورجوع الماضين من أسلافهم ويزعمون أن محمّد بن الحنفية يظهر نفسه بعد الاستتار عن خلقه فينزل إلى الدنيا ويكون فيها بين المؤمنين، فهذا معنى الآخرة عندهم («١»).

ومنها (المغيرية ...): ص: ٢٠٩

أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى مولى بجيلة الذى خرج بظاهر الكوفة فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى فظفر به وأحرقه وأحرق أصحابه سنة (١١٩ ه-) وكان يكذب على الإمام أبى جعفر الباقر (ع) وقد لعنه الإمام الصادق (ع) وهم من الفِرق التى انشعبت من الزيدية وقالوا بإمامة محمّد بن عبد الله بن الحسن وتولّوه وأثبتوا إمامته، فلمّا قتل صاروا لا إمام لهم ولا وصى ولا يثبتون لأحد إمامة بعده وكان المغيرة قال بهذا القول لمّا توفى الإمام الباقر (ع) وأظهر المقالة بذلك فبرئت منه الشيعة أصحاب الإمام الصادق (ع) ورفضوه فزعم أنهم رافضة وأنه هو الذى سمّاهم بهذا الاسم، ونصب بعض أصحاب المغيرة المغيرةَ إماماً، ثمّ تراقى الأمر بالمغيرة إلى أن زعم أنه رسول، وأن جبرئيل يأتيه بالوحى من عند الله، وكان يدّعى أنه يحيى الموتى، وقال بالتناسخ («٢»).

ومنها (أصحاب بزيع بن موسى الحائك ...): ص: ٢٠٩

الذى لعنه الإمام الصادق (ع) قالوا: إن بزيعاً رسول مثل أبى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢١٠

الخطاب أرسله جعفر بن محمّد وشهد بزيع لأبى الخطاب بالرسالة وبرئ أبو الخطاب وأصحابه من بزيع («۱»).

ومنها (البشيرية ...): ص: ۲۱۰

أصحاب محمّد بن بشير مولى بن أسد من أهل الكوفة وهم فرقة انشقّت من الواقفة وهى التى وقفت على الإمام الكاظم (ع) بعد وفاته وقالت أنه لم يمت وأنه المهدى الموعود، وأنه قد غاب وقالوا: إن موسى بن جعفر (ع) لم يمت ولم يحبس وأنه حى غائب وأنه القائم المهدى، وأنه فى وقت غيبته استخلف على الأمر محمّد بن بشير وجعله وصياً وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج إليه رعيته وفوّض إليه أموره وأقامه مقام نفسه فمحمّد بن بشير الإمام بعده.

وأن محمّد بن بشير لمّا توفى أوصى إلى ابنه سميع بن محمّد بن بشير فهو الإمام، ومن أوصى إليه (سميع) فهو الإمام المفترض الطاعة على الأمّة إلى وقت خروج موسى وظهوره فما يلزم الناس من حقوقه فى أموالهم وغير ذلك مما يتقرّبون به إلى الله (عزوجل) فالفرض عليهم أداؤه إلى هؤلاء إلى قيام القائم.

وكَفَّرُوا القائلين بإمامة الإمام الرضا (ع) واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وقالوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان واعتلوا فى ذلك بقول الله (عزوجل): أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً («۲») وقالوا بالتناسخ («۳») وكان محمّد بن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۱

بشير صاحب شعبذة ومخاريق معروفاً بذلك وكان سبب قتله أنه يستعمل الشعبذة والمخاريق للدلالة على أنه نبى وكان يقول فى موسى بالربوبية.

وكان عنده صورة قد عملها وأقامها شخصاً كأنه صورة أبى الحسن الكاظم (ع) فى ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها فيها حتّى صارت شبيهاً بصورة إنسان وكان يطويها فإذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها.

وكان يقول لأصحابه: إن أبا الحسن (ع) عندى فإن أحببتم أن تروه وتعلموا أنّى نبى فهلمّوا أعرضه عليكم، فكان يدخلهم البيت والصورة مطوية معه. فيقول لهم: هل ترون فى البيت مقيماً أو ترون فيه غيرى وغيركم؟ فيقولون: لا، وليس فى البيت أحد، فيقول: أخرجوا، فيخرجون من البيت فيصير هو وراء الستر ويسبل بينه وبينهم.

ثمّ يقدّم تلك الصورة ثمّ يرفع الستر بينه وبينهم فينظرون إلى صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبى الحسن لا ينكرون منه شيئاً ويقف هو منه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذ أنه يكلّمه ويناجيه ويدنو منه كأنه يساره.

ثمّ يغمزهم أن يتنحّوا فيتنحّون ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئاً.

وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها فهلكوا بها، فكانت هذه حاله مدّة حتّى رفع خبره إلى بعض الخلفاء العبّاسيين أنه زنديق فأخذه وأراد ضرب عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين استبقنى فإنى أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها فأطلقه. فكان أوّل ما اتخذ له الدوالى فإنه عمد إلى الدوالى فسوّاها وعلّقها وجعل الزيبق بين

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(۲)، ج۱، ص: ۲۱۲

تلك الألواح فكانت تعمل من غير أمره وظهر عليه التعطيل والإباحات، وقد كان الصادق والكاظم (ع) يدعوان الله عليه ويسألانه أن يذيقه حر الحديد، فأذاقه الله حر الحديد بعد أن عذّب أنواع العذاب («۱»).

ومنها (أصحاب معمر بن خيثم ...): ص: ۲۱۲

الذى لعنه الإمام الصادق (ع)، قالوا: إن جعفر بن محمّد هو الله (عزوجل) وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإنما هو نور يدخل فى

أبدان الأوصياء فيحلّ فيها، فكان ذلك النور فى جعفر ثمّ خرج منه فدخل فى (أبى الخطاب) فصار (جعفر) من الملائكة ثمّ خرج من (أبى الخطاب) فدخل فى (معمر) وصار أبو الخطاب من الملائكة.

فمعمر هو الله (عزوجل) فخرج (بان اللبان) يدعو إلى معمر وقال إنه الله (عزوجل) وصلّى له وصام وأحلَّ الشهوات كلّها ما حلَّ منها وما حرم وليس عنده شىء محرَّم، وقال: (لم يخلق الله هذا إلّا لخلقه فكيف يكون محرّماً؟)، وأحلَّ الزنا والسرقة وشرب الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح الامّهات والبنات والأخوات ونكاح الرجال ووضع عن أصحابه غسل الجنابة، وقال: (كيف أغتسل من نطفة خلقت منها؟).

وزعم أن كل شىء أحلَّه الله فى القرآن وحرَّمه فإنما هو أسماء الرجال («٢»).

وروى الكشى فى رجاله بإسناده عن الصادق (ع) قال: عندما سئل عن قول الله (عزوجل): هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ* تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ («٣»)، قال: «هم سبعة: المغيرة بن سعيد، وبيان، وصائد الهندى،

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢١٣

والحارث الشامى، وعبد الله بن الحارث، وحمزة بن عمارة البربرى، وأبو الخطاب» («١»).

وروى عن عنبسة بن مصعب قال: قال لى الصادق (ع): «أىّ شىء سمعت من أبى الخطاب؟»، قال: سمعته يقول إنك وضعت يدك على صدرك وقلت له: عه ولا تنس!، وأنك قلت له: هو عيبة (مخزن) علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا. قال: «لا والله ما مسَّ شىء من جسدى جسده إلّا يده، وأما قوله: إنّى قلت له هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا، فلا آجرنى الله فى أمواتى ولا بارك فى أحيائى إن كنت قلت له شيئاً من هذا قط».

وروى عن على بن عقبة عن أبيه قال: دخلت على أبى عبد الله (ع) قال: فسلَّمت وجلست. فقال لى: «كان فى مجلسك هذا أبو الخطاب ومعه سبعون رجلًا كلّهم إليه ينالهم منهم شىء رحمتهم، فقلت لهم: ألا أخبركم بفضائل المسلم؟ فلا أحسب أصغرهم إلّا قال: بلى جُعلت فداك. قلت: من فضائل المسلم أن يقال: فلان قارئ لكتاب الله (عزوجل)، وفلان ذو حظٍ من ورع، وفلان يجتهد فى عبادته لربه، فهذه فضائل المسلم، ما لكم وللرياسات؟ إنما المسلمون رأس واحد، إيّاكم والرجال فإن الرجال للرجال مهلكة.

فإنّى سمعت أبى يقول: إن شيطاناً يقال له: المذهب يأتى فى كل صورة إلّا أنه لا يأتى فى صورة نبى ولا وصى ولا وصى نبى ولا أحسبه إلّا وقد تراءى لصاحبكم فاحذروه، فبلغنى أنهم قتلوا معه فأبعدهم الله وأسحقهم إنه لا يهلك على الله إلّا هالك».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢١٤

وروى عن عبد الله بن بكير الرجانى قال: ذكرت أبا الخطاب ومقتله عند أبى عبد الله (ع) قال: فرققت عند ذلك فبكيت، فقال: «أتأسى عليهم؟»، فقلت: لا، وقد سمعتك تذكر أن علياً قتل أصحاب النهر فأصبح أصحاب على (ع) يبكون عليهم فقال على (ع) لهم: «أتأسون عليهم؟»، قالوا: لا، إلّا أنا ذكرنا الألفة التى كنّا عليها والبلية التى أوقعتهم فلذلك رققنا عليهم، قال: «لا بأس».

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «إن أبا الخطاب أفسد أهل الكوفة فصاروا لا يصلّون المغرب حتّى يغيب الشفق ولم يكن ذلك إنما ذاك للمسافر وصاحب العلّة».

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «أما أبو الخطاب فكذب على وقال إنى أمرته أن لا يصلى هو وأصحابه المغرب حتّى يروا كوكب كذا يقال له: القندانى والله إن ذلك الكوكب ما أعرفه» («١»).

وروى عن المفضل قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «اتق السفلة واحذر السفلة فإنى نهيت أبا الخطاب فلم يقبل منّى».

وروى عيسى عنه (ع): «إيّاك ومخالطة السفلة فإن السفلة لا تؤل إلى خير».

وروى عمران بن على قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «لعن الله أبا الخطاب، ولعن من قتل معه ولعن من بقى منهم، ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم».

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال عندما سئل عن أبى الخطاب: «إن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢١٥

الله خلق الأنبياء على النبوة فلا يكونون إلّا أنبياء وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلّا مؤمنين واستودع قوماً إيماناً فإن شاء أتمّه لهم وإن شاء سلبهم إيّاه، وإن أبا الخطاب كان ممن أعاره الله الإيمان، فلمّا كذب على أبى سلبه الله الإيمان».

وروى عن الصادق (ع) أنه قال للمفضل بن مزيد عندما ذكر أصحاب أبى الخطاب والغلاة قال له: «يا مفضل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تؤاثروهم».

وقال عند ذكره الغلاة («١»): أن فيهم من يكذب حتّى أن الشيطان ليحتاج إلى كذبه.

وقال للغالية: «توبوا إلى الله فإنكم فسّاق كفّار مشركون».

وعن أبى بصير قال: قال لى الصادق (ع): «يا أبا محمّد (كنية أبى بصير) إبرأ ممن يزعم أنّا أرباب». قلت: برئ الله منه، قال: «ابرأ ممن يزعم أننا أنبياء»، قلت: برئ الله منه.

وقال (ع): «إن ممن ينتحل هذا الأمر لمن هو شر من اليهود والنصارى والمجوس الذين أشركوا» والمعنى أن بعض من يدّعى التشيع لهو شر من أولئك، وذلك بسبب الانحراف والضلال الذى يبتدعه من تلقاء نفسه، ويقال: انتحل الشيء وتنحّله ادّعاه لنفسه وهو لغيره. ويقال: فلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢١٦

وروى عن عنبسة قال: قال أبو عبد الله الصادق (ع): «لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودّتنا».

وروى الكشى أيضاً عن المفضل بن عرم قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «لو قام قائمنا بدأ بكذّابى الشيعة فقتلهم».

وقال الكاظم (ع): قال أبو عبد الله الصادق (ع): «ما أنزل الله سبحانه آية فى المنافقين إلّا وهى فيمن ينتحل التشيع».

وروى عن الصادق (ع) قال: «جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال: السلام عليك يا ربى! فقال: ما لك لعنك الله، ربى وربك الله، أما والله لكنت ما علمت لجباناً فى الحرب لئيماً فى السلم».

وروى عن مصادف قال: لمّا أتى القوم الذين أتوا بالكوفة (أى الخطابية والغلاة) دخلت على أبى عبد الله (ع) فأخبرته بذلك: فخرَّ ساجداً وألزق جؤجؤه (الصدر أو مجتمع رؤوس عظام الصدر) بالأرض، وبكى، وأقبل يلوذ بإصبعه ويقول: «بل عبداً لله قن داخر» مراراً كثيرة ثمّ رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته فندمت على إخبارى إيّاه، فقلت: جُعلت فداك وما عليك أنت من ذا (أى ما يقول الغلاة)؟ فقال: «يا مصادف إن عيسى (ع) لو سكت عمّا قالت النصارى فيه لكان حقّاً على الله أن يصمَّ سمعه ويعمى بصره، ولو سكتُّ عمّا قال فىَّ أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصمَّ سمعى ويعمى بصرى».

ولذا قال (ع) عندما ذكر أبا الخطاب: «اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوّفنى قائماً وقاعداً وعلى فراشى اللهم أذقه حرَّ الحديد».

وقال (ع): «تراءى والله إبليس لأبى الخطاب على سور المدينة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢١٧

أو المسجد فكأنى أنظر إليه وهو يقول له: إيهاً تظفر الآن إيهاً تظفر الآن («١»)».

وروى عن حفص بن عمرو النخعى قال: كنت جالساً عند أبى عبد الله (ع) فقال رجل: جُعلت فداك إن أبا منصور حدّثنى أنه رفع إلى ربه وتمسح على رأسه وقال له بالفارسية: يا پسر (يا بنى). فقال له أبو عبد الله الصادق (ع): «حدّثنى أبى، عن جدّى أن رسول الله (ص) قال: إن إبليس اتخذ عرشاً فيما بين السماء والأرض واتخذ زبانية كعدد الملائكة، فإذا دعا رجلًا فأجابه ووطئ عقبه وتخطت إليه الأقدام (كناية عن الرئاسة للرجال)، تراءى له إبليس ورفع إليه، وأن أبا منصور كان رسول إبليس، لعن الله أبا منصور ولعن الله أبا منصور ثلاثاً».

وروى عن هشام بن الحكم عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال: «إن بناناً والسرى وبزيعاً (لعنهم الله) تراءى لهم الشيطان فى أحسن ما يكون صورة آدمى من قرنه إلى سرته». قال: فقلت: إن بناناً يتأوّل هذه الآية: وَهُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَفِى الأَرْضِ إِلهٌ («٢»)، إن الذى فى الأرض غير إله السماء وإله السماء غير إله الأرض، وأن إله السماء أعظم من إله الأرض وأن أهل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظّمونه. فقال: «والله ما هو إلّا الله، ما هو إلّا الله وحده لا شريك له، إله من فى السماوات وإله من فى الأرضين».

قال: [هو الإمام، فقال أبو عبد الله (ع): «لا والله لا يأوينى سقف بيت أبداً هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا والله ما صغر عظمة الله

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢١٨

تصغيرهم شيء قط أن عزيراً جال فى صدره ما قالت فيه اليهود فمحا الله اسمه من النبوة، والله لو أن عيسى أقرَّ بما قالت النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول فىَّ أهل الكوفة لأخذتنى الأرض وما أنا إلّا عبد مملوك لا أقدر على شيء ضر ولا نفع] («١») كذب بنان عليه لعنة الله، لقد صغَّر الله جلَّ وعزَّ وصغَّر عظمته».

وروى الكشى عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله (ع): «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس.

كان رسول الله (ص) أصدق البرية وكان مسيلمة يكذب عليه.

وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله (ص) وكان الذى يكذب عليه ويعمل فى تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد الله بن سبأ (لعنه الله).

وكان أبو عبد الله الحسين بن على (ع) قد ابتلى بالمختار». ثمّ ذكر أبو عبد الله الحارث الشامى وبنان فقال: «كانا يكذبان على على بن الحسين (ع)»، ثمّ ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعاً والسرى وأبا الخطاب ومعمراً وبشراً الأشعرى وحمزة الزبيدى وصائد الهندى فقال: «لعنهم الله، إنّا لا نخلو من كذّاب يكذب علينا أو عاجز الرأى، كفانا الله مؤنة كل كذّاب وأذاقهم الله حرَّ الحديد».

وعن زرارة عن الباقر (ع) قال: سمعته يقول: «لعن الله بنان البيان، وأن بناناً (لعنه الله) كان يكذب على أبى أشهد أن أبى على بن الحسين كان عبداً صالحاً».

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢١٩

وعن الصادق (ع) قال: «لعن الله المغيرة بن سعيد أنه كان يكذب على أبى فأذاقه الله حرَّ الحديد، لعن الله من قال فينا ما لا نقوله فى أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذى خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا».

وعن أبى يحيى الواسطى قال: قال أبو الحسن الرضا (ع): «كان بنان يكذب على على بن الحسين (ع) فأذاقه الله حرَّ الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبى جعفر (ع) فأذاقه الله حرَّ الحديد، وكان محمّد بن بشير يكذب على أبى الحسن موسى (ع) فأذاقه الله حرَّ الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على أبى عبد الله (ع) فأذاقه الله حرَّ الحديد، والذى يكذب علىَّ محمّد بن فرات».

وقال أبو يحيى: وكان محمّد بن فرات من الكتّاب (أى الذين يعملون فى ديوان العبّاسيين) فقتله إبراهيم بن شكله».

وروى عن ابن أبى يعفور قال: دخلت على أبى عبد الله (ع) فقال: «ما فعل بزيع؟»، فقلت له: قتل. فقال: «الحمد لله، أما أنه ليس لهؤلاء المغيرية شيء خيراً من القتل، لأنهم لا يتوبون أبداً».

وعن سدير الصيرفى قال: قلت لأبى عبد الله (ع): إن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآناً: يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّى بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ («١»)، قال: «يا سدير سمعى وبصرى وشعرى ولحمى ودمى من هؤلاء براء برء الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على دينى ودين آبائى والله لا يجمعنى وإيّاهم يوم القيامة إلّا وهو عليهم ساخط». قال: قلت: فما أنتم جُعلت فداك؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٢٠

قال: «خُزّان علم الله، وتراجمة وحى الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض».

وعن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «إيّاك والسفلة إنما شيعة جعفر من عفَّ بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه».

وعن ابن المغيرة قال: كنت عند أبى الحسن الكاظم (ع) أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن فقال يحيى: جُعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب؟ فقال: «سبحان الله سبحان الله، ضع يدك على رأسى، فوالله ما بقيت فى جسدى شعرة ولا فى رأسى إلّا قامت»، قال: ثمّ قال: «لا والله ما هى إلّا وراثة عن رسول الله (ص)».

وعن الصادق (ع) سئل عن الناسخ؟ قال: «فمن نسخ الأوّل؟».

أقول: شرح الحديث المحقق الفيلسوف الميرداماد (رض) قال:

(قوله (ع): «فمن نسخ الأوّل؟» أشار إلى برهان إبطال التناسخ على القوانين الحكمية والأصول البرهانية، تقريره: أن القول بالتناسخ إنما يستتب لو قيل بأزلية النفس المدبرة للأجساد المختلفة المتعاقب على التناقل والتناسخ وبلا تناهى تلك الأجساد المتناسخة بالعدد فى جهة الأزل، كما هو المشهور من مذهب الذاهبين إليه.

والبراهين الناهضة على استحالة اللانهاية العددية بالفعل مع تحقيق الترتب والاجتماع فى الوجود (أى البراهين القائمة على إبطال التسلسل وامتداد الأشياء المعدودة التى بينها رابطة العلّية والمعلولية) قائمة هناك بالقسط (أى قائمة بعينها) بحسب متن الواقع المعبر عنه بوعاء

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٢١

الزمان، أعنى الدهر وإن لم يتصحح إلّا الحصول التعاقبى بحسب ظرف السيلان والتدريج والفوت واللحوق أعنى الزمان.

فإذن لا محيص لسلسلة الأجساد المترتبة من مبدأ متعيّن هو الجسد الأوّل فى جهة الأزل يستحق باستعداده المزاجى أن يتعلق به نفس مجردة تعلق التدبير والتصرف فيكون ذلك مناط حدوث فيضانها عن جود المفيض الفياض الحق جل سلطانه، وإذا انكشف ذلك فقد انصرح أن كل جسد هيولانى بخصوصية مزاجه الجسمانى واستحقاقه الاستعدادى يكون مستحقاً لجوهر مجرد بخصوصه يدبّره ويتعلّق به ويتصرّف فيه ويتسلطن عليه فليتثبت).

أقول: حاصل كلامه أن بعد قيام الأدلّة البرهانية على إبطال امتداد الأمور المتسلسلة التى بينها علّية وسببية ومعلومية ومسببية فلا محالة هناك بداية وجسد أوّل كانت له قابلية وخصوصية يتأهّل بها لإفاضة الروح والنفس وخلقها متعلقة به من الله جلَّ وعلا، وإذا كان هذا حال الجسد الأوّل فهذه القابلية هى بعينها موجودة فى الأجساد كلّها فتكون كلٌّ منها متأهّلة لإفاضة وخلق نفس بعدد تلك الأجساد.

وبذلك («١») تبطل نظرية التناسخ القائلة بأن أرواح الأموات تحلُّ فى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٢٢

الأجساد الحيّة الموجودة من الأطفال أو الكبار أو الحيوانات على تفاصيل كثيرة للقائلين بهذه النظرية الباطلة، فقوله (ع) نقض لتلك النظرية وبرهان أيضاً على إبطالها.

وعن الصادق (ع) أنه قيل له: روى عنكم أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال؟ فقال: «ما كان الله (عزوجل) ليخاطب خلقه بما لا يعلمون» («١»)، والمعنى أن رواية ذلك عن الأئمّة (عليهم السلام) إنما هى من وضع الكذّابين عليهم.

ومن الغلاة فى وقت أبى محمّد العسكرى (ع) على بن مسعود حسكة الحوار وتلميذه القاسم بن يقطين الشعرانى القميان، وقد روى الكشى عن سهل بن زياد الآدمى، قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبى العسكرى (ع):

جُعلت فداك يا سيدى إن على بن حسكة يدّعى أنه من أوليائك وأنك أنت الأوّل القديم، وأنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى

ذلك ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان فى مثل حال ابن حسكة فيما يدّعى من البابية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحج وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كلّه ما ثبت لك ومال الناس إليه كثيراً فإن رأيت أن تمنَّ على مواليك بجواب فى ذلك تنجيهم من الهلكة.

قال: فكتب (ع): «كذب ابن حسكة (عليه لعنة الله) وبحسبك أنّى لا أعرفه فى موالى، ما له (لعنه الله) فوالله ما بعث محمّداً والأنبياء قبله إلّا

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٢٣

بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعا محمّد (ص) إلّا إلى الله وحده لا شريك له وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئاً، إن أطعناه رحمنا وإن عصيناه عذبنا، ما لنا على الله من حجة بل الحجة لله (عزوجل) علينا وعلى جميع خلقه، أبرأ إلى الله ممن يقول ذلك وانتفى إلى الله من هذا القول، فاهجروهم (لعنهم الله) والجؤوهم إلى ضيق الطريق فإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر» («١»).

ومن هذا القبيل الفهرى والحسن بن محمّد بن بابا («٢») وفارس بن حاتم القزوينى وقد لعنهما الهادى (ع).

فروى الكشى عن سعد بن عبد الله قال: حدّثنى العبيدى (محمّد بن عيسى) قال: كتب إلىَّ العسكرى ابتداءً منه: «أبرأ إلى الله من الفهرى والحسن بن محمّد بن بابا القمى، فابرأ منهما فإنى محذّرك وجميع مواليَّ وأنّى ألعنهما (عليهما لعنة الله)، مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتّانين مؤذيين آذاهما الله وأركسهما فى الفتنة ركساً. يزعم ابن بابا أنّى بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمّد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل فإنه قد آذانى آذاه الله فى الدنيا والآخرة».

وروى عن محمّد بن عيسى قال: قرأنا فى كتاب الدهقان وخط الرجل فى (القزوينى) وكان كتب إليه الدهقان يخبره باضطراب الناس

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٢٤

فى هذا الأمر وأن الموادعين قد أمسكوا عن بعض ما كانوا فيه لهذه العلّة من الاختلاف فكتب (ع): «كذّبوه وهتّكوه أبعده الله وأخزاه فهو كاذب فى جميع ما يدّعى ويصف، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام فى ذلك وتوقوا مشاورته ولا تجعلوا له السبيل إلى طلب الشر كفى الله مؤنته ومؤنة من كان مثله».

وروى عن أبى محمّد الرازى أنه ورد منه (ع) كتاب فيه: «وأن تجتنبوا القزوينى أن تدخلوه فى شىء من أموركم فإنه قد بلغنى ما يموّه به عند الناس فلا تلتفتوا إليه إن شاء الله».

ومن هذا القبيل أبو السمهرى وابن أبى الزرقاء فقد روى الكشى عن إسحاق الأنبارى قال: قال لى أبو جعفر الثانى (ع): «ما فعل أبو السمهرى (لعنه الله) يكذب علينا، ويزعم أنه وابن أبى الزرقاء دعاة إلينا، أشهدكم إنى أتبرأ إلى الله (عزوجل) منهما إنهما فتّانان ملعونان» ... الحديث.

وأما المغيرة بن سعيد العجلى الذى كان يكذب على الباقر (ع) وقد تقدّم شطر من حاله فقد روى الكشى فى ترجمته عن الصادق (ع) أنه قال يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن يهودية كان يختلف إليها (أى يتردد بالمجىء والذهاب إليها) يتعلّم منها السحر والشعبذة والمخاريق.

إن المغيرة كذب على أبى (ع) فسلبه الله الإيمان وأن قوماً كذبوا على ما لهم أذاقهم الله حرَّ الحديد، فوالله ما نحن إلّا عبيد الذى خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله برائة، وإنا لميّتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٢٥

ويلهم ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسوله (ص) فى قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمّد

بن على (صلوات الله عليهم) وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله، أبيت على فراشى خائفاً وجلًا مرعوباً، يأمنون وأفزع وينامون على فراشهم وأنا خائف ساهر وجل أتقلقل بين الجبال والبرارى أبرأ إلى الله مما قال فىَّ الأجدع البراد عبد بنى أسد أبو الخطاب (لعنه الله).

والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألّا يقبلوه فكيف وهم يرونى خائفاً وجلًا، أستعدى الله عليهم وأتبرأ إلى الله منهم. أشهدكم أنّى امرؤ ولدنى رسول الله (ص) وما معى براءة من الله، وإن أطعته رحمنى وإن عصيته عذّبنى عذاباً شديداً أو أشدّ عذابه».

وروى عن سليمان الكنانى قال: قال لى أبو جعفر (ع): «هل تدرى ما مثل المغيرة؟»، قال: قلت: لا، قال: «مثله مثل بلعم». قلت: ومن بعلم؟ قال: «الذى قال الله (عزوجل): الَّذِى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ («١»)».

وروى الكشى عن محمّد بن قولويه القمى (الشيخ الجليل ووالد أستاذ المفيد)، قال: حدّثنى سعد بن عبد الله (أحد أعلام وشيوخ الطائفة مرَّ ذكره)، قال: حدّثنى محمّد بن عيسى (العبيدى اليقطينى الثقة الجليل)، عن يونس (بن عبد الرحمن من أصحاب الرضا وثقاته)، قال: سمعت رجلًا من الطيارة (الغلاة) يحدّث أبا الحسن الرضا (ع) عن يونس بن ظبيان أنه قال: كنت فى بعض الليالى وأنا فى الطواف فإذا نداء من فوق رأسى: يا يونس إنّى أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى، فرفعت رأسى فإذا ج (كناية عن جبرئيل (ع)).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٢٦

فغضب أبو الحسن الرضا (ع) غضباً لم يملك نفسه ثمّ قال للرجل: «اخرج عنّى لعنك الله ولعن من حدّثك ولعن يونس بن ظبيان ألف لعنة يتبعها ألف لعنة، كل لعنة منها تبلغك قعر جهنم، أشهد ما ناداه إلّا شيطان أما أن يونس مع أبى الخطاب فى أشدّ العذاب مقرونان، وأصحابهما إلى ذلك الشيطان مع فرعون وآل فرعون فى أشدّ العذاب، سمعت ذلك من أبى (ع)».

قال يونس (بن عبد الرحمن): فقام الرجل من عنده، فما بلغ الباب إلّا عشر خطاً حتّى صرع مغشياً عليه وقد قاء رجيعه وحمل ميّتاً. فقال أبو الحسن (ع): «أتاه ملك بيده عمود فضرب على هامته ضربة قلب فيها مثانته حتّى قاء رجيعه وعجّل الله بروحه إلى الهاوية وألحقه بصاحبه الذى حدّثه بيونس بن ظبيان ورأى الشيطان الذى كان يتراءى له».

وفى ختام هذا الفصل نذكر ما رواه الكلينى فى باب البدع والمقاييس («١») بإسناده عن الصادق (ع) أنه قال: «إن من أبغض الخلق إلى الله (عزوجل) لرجلين:

رجل وكّله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به فى حياته وبعد موته حمّال خطايا غيره رهن بخطيئه.

ورجل قمش جهلًا فى جهال الناس، عان بأغباش الفتنة قد سمّاه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكر فاستكثر ما قلَّ منه خير مما كثر حتّى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٢٧

جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره وإن خالف قاضياً سبقه، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتى بعده كفعله بمن كان قبله وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيّأ لها حشواً من رأيه ثمّ قطع به فهو من لبس الشبهات فى مثل غزل العنكبوت لا يدرى أصاب أم أخطأ لا يحسب العلم فى شىء مما أنكره ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً، إن قاس شيئاً بشىء لم يكذب نظره، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له: لا يعلم.

ثمّ جسر فقضى فهو مفتاح عشوات ركاب شبهات خبّاط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعض فى العلم بضرس قاطع فيغنم، يذرى الروايات ذرو الريح الهشيم تبكى منه المواريث وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لا ملئ بإصدار ما عليه ورد، ولا هو أهل لما منه فرط من ادّعائه علم الحق».

ولنعم ما قال بعض الأجلّة: (أن تلك الفرق كانت تتراوح بين شكوك وأوهام عرت بعض البسطاء وانقرضت بموتهم ومطامع وشهوات، صبّت إليها آحاد استهوتهم النهمة والشرة لاختلاس مال أو حيازة جاه وهؤلاء بين من ثوّب إلى الحق بعد الحصول على غايته أو يأسه منها أو توقفه للتوبة، ومن قطع معرته حمامه.

واناس ديف إليهم السم فى العسل من قبل السياسات الوقتية روماً لتشتيت كلمة الإمامية ومحق روعتهم، فاستخفهم الجهل بالغايات مع ما جبل به الإنسان من حب الفخفخة، فقاموا بدعايات باطلة واستحوذوا على نفوس خائرة القوى، لكن سرعان ما قلب عليهم الدهر ظهر المجن

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٢٨

لما تمكنت الساسة من الحصول على ضالتهم المنشودة، ولم يبقَ لهم فى القوم فاخذوا وقتلوا تقتيلًا وكانت هناك مجزرة بدعهم وأهوائهم.

إلى غير هذه من غايات وأغراض وقتية أسفت بالنفوس الضئيلة إلى هوّة المذلّة واللعنة ولم يعد فى الأكثر أن يكون المعتنقون لها أفراداً من ساقة الناس أو عشرات الذنابى أو لمة ممن لم يقم المجتمع الدينى والبشرى له وزناً وعم الجميع أن طوتهم مع عيثهم الأيام وطحنهم بكلكلة الجديدان فعادوا كحديث أمس الدابر).

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٣١

الفصل الرابع فى تاريخ البابية فى إيران ... ص: ٢٣١

فقد ادّعى السيد على محمّد بن السيد رضا الشيرازى المتولد سنة (١٢٣٥ ه-)، فى مدينة شيراز البابية والوساطة بين الإمام الحجة الغائب (ع) والناس، ثمّ ترفّع وادّعى أنه المهدى المنتظر، ثمّ ادّعى النبوة، ثمّ الألوهية. وهى سُنّة من تقدّمه فى دعوى البابية حيث ترفّع بهم الأمر إلى الألوهية.

وكان قد توفى عنه والده وهو فى السنة الأولى من عمره فاهتمَّ به خاله الذى كان يدير تجارة متوسطة الحال وأرسله إلى المكتب وهو الموضع الذى يتعلّم فيه القراءة والكتابة فى تلك السنين وهو بمثابة المدرسة فى اليوم الحاضر وكان الذى يشرف عليه الشيخ عابد وكان من الجماعة الشيخية التى تهتمُّ بكثرة بالعلوم الغريبة («١») والرياضات النفسية المتنوعة ومسائل علم العرفان، ولم يكن الباب الشيرازى يميل إلى التعلّم، ولكن تحت وطأة خاله واصل الحضور لدى ذلك الشيخ.

وبعد عدّة سنين اصطحبه خاله إلى مدينة بوشهر وأوكل إليه بعض الأعمال التجارية.

وكان مع ذلك يزاول الرياضات النفسية الشاقّة، حيث كان يصعد يومياً إلى سطح المنزل الذى قطنه فى بوشهر المعروفة بشدّة الحرارة فى الصيف لكونها من المناطق الحارة وقد تصل درجة حرارتها إلى ما يقرب من خمسين درجة فوق الصفر فى شهر تموز عدّة ساعات من

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٣٢

الظهيرة يزاول الصلاة والأذكار («١»)، بل قيل: كان ذلك طوال النهار واقفاً مكشوف الرأس.

وقد سبب ذلك إلى نوع من الاختلال وفقد التوازن العصبى لديه مما حدا بخاله إلى التفكير بجد فى معالجة هذه الحالة فلاح له إرسال ابن أخته فى سفر إلى العراق لعلَّ تغيير الهواء يورثه سلامة المزاج وبإصرار شديد استجاب الباب الشيرازى لذلك وسافر إلى كربلاء وهناك حضر بتداوم درس السيد كاظم الرشتى الذى كان زعيم جماعة الشيخية حينذاك.

ولم يقطع الباب رياضاته الشاقة مدّة إقامته هناك ويحكى الميرزا التنكابنى فى كتاب (القصص) («٢») أنه كان يحلق لحيته آنذاك

وربما نتفها بالمقراض (الملقط).

ومكث على ذلك ما يقرب من أربع سنين ثمّ رجع إلى شيراز وكان يعتقد أن أستاذه باب الله المقدّم كما يعبّر بذلك الباب فى كتبه.

وما أن توفى أستاذه أخذ تلاميذه فى البحث عن من يقوم مقامه ومن يكون الركن الرابع وهذا العنوان يعنى لديهم الأصل الرابع فى أصول الدين التى جعلوا أوّلها التوحيد وثانيها النبوة وثالثها الإمامة ورابعها النائب الخاص الذى يجب توليه والتبرؤ من أعدائه، وكان التنافس يدور بين عدّة منهم مثل ميرزا حسن جوهر وميرزا محيط كرمانى وحاج محمّد كريم دخان وملا محمّد مامقانى.

ولكن السيد الباب أخذ فى التطلّع إلى ذلك المقام وبدأ فى دعوة

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٣٣

تلاميذ أستاذه إلى نفسه وسارع إلى الإعلان بأنه باب الحجة الغائب. وعلى أثر ذلك نشب بينه وبين تلك العدّة المذكورة سابقاً صراع احتدَّ شيئاً فشيئاً، وحاولت تلك العدّة ابتداءً أن تثنى الباب عن ادّعائه ولكنّه قابلهم بل حاول أن يجذبهم إلى بابيته إلى أن آل الأمر إلى تبريتهم منه.

وواصل الباب الشيرازى فى دعوة البسطاء والسذّج من الناس إلى بابيته وكان يظهر إليهم جانباً كبيراً من الزهد والتقشف والرياضات النفسية مما يجذب قلوب الكثير من تلك النماذج نحوه. وكان إذا اطمئن بانجذاب شخص إليه يقول له: «فادخلوا البيوت من أبوابها»، وغالباً ما يقرأ الحديث المشهور: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» («١»)، ويكنّى بذلك مع إضافة شىء من التلويح إلى أن لكل شىء باب وواسطة وأنه هو الواسطة الكبرى وهو الباب.

كما وبدء فى تفسير سورة يوسف بمنهج تأويلى من الخيالات والأوهام المركّبة اصطلح عليها بالتأويل الباطن للسورة والتى لا تنضبط مع أىّ ميزان من قواعد اللغة العربية أو القواعد العقلية المنطقية ولا تتفق بوجه مع مسلّمات الدين الحنيف.

ثمّ إنه نجح فى اكتساب ثمانية عشرة من تلامذة أستاذه وجعلهم دعاة ومبلغين لبابيته وكانت منهم امرأة تدعى زرين تاج وسمّوها (قرّة العين) وكان لها النصيب الأوفر فى نشر البابية فى إيران بسبب جمالها وبيانها الرائق وإنشادها للشعر المطرب وبتوسطها انتهجت الفرقة البابية فى إيران إباحة المحرّمات من الزنا والخمر والربا.

ثمّ إنه ترفّع فى ادّعائه من الباب إلى أنه المهدى الموعود وأخذ أصحابه فى نشر ذلك وحبك مسرحية الظهور وعلاماته.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٣٤

فبدأوا بإشاعة أن الباب الشيرازى قد سافر إلى مكّة وأنه من هناك يعلن عن ظهوره وسافر أحدهم إلى خراسان وهو ملا بشرويه الذى كان أحد الدهاة فى هذه الفرقة («١») ومن ورائه السكرتير فى السفارة الروسية فى طهران (كينيازدالكوركى) («٢») الذى تظاهر بالإسلام وتزوّج من امرأة مسلمة ولبس زىّ رجال الدين والذى كان يتابع بدقّة حالات الميرزا على محمّد الشيرازى (الباب) ويخطط لبرامجه حيث كانت الدولة الروسية تتطلع آنذاك إلى حدوث الفتن والضوضاء فى إيران كى ما يسهل عليها احتلال المناطق التى هى مطمع لها إذ لم تتوفق فى أخذ كل تلك المناطق من خلال الحرب التى خاضتها مع الدولة القاجارية فى إيران حين ذاك، ولذا كانت السفارة الروسية وبعض السفارات الأجنبية الأخرى كالسفارة البريطانية فى تمام الأشواط مساندة لتلك الفرقة البابية ومحامية عن زعمائها الذين توالوا زعامة البابية كما سيأتى ذكر ذلك.

وسبب سفر ملّا بشرويه إلى خراسان هو تطبيق أحد علامات الظهور وهى خروج الخراسانى ويكون (بشرويه) حينئذٍ هو الخراسانى.

وكان بدء دعوتهم فى مدينة شيراز ثمّ إلى أصفهان وثمّ باقى المدن الإيرانية وممن دعوه إلى فرقتهم فى شيراز الشيخ أبو تراب (رض) الذى كان صدر فقهاء شيراز فى ذلك الوقت.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٣٥

وما أن سمع بذلك منهم ثارت ثائرته واشتعل هيجانه لما عرف من مدى البلية والطامة التى حلَّت عن قرب، فدعا الشيخ أبو تراب

علماء وفقهاء المدينة إلى الاجتماع، ليطلعهم بالفتنة التى كشفت عن رأسها.

وتمَّ الاجتماع وحصل الاتفاق على رفع التوصية إلى والى المنطقة حسين خان نظام الدولة التبريزى الذى كان ماضى العزم ذى حنكة وتدبير، وهو بدوره أيضاً أقام مجلساً جمع فيه العلماء ودعاة الباب فاستنطقهم وأجابوا حينها بكل صراحةٍ وجرأة أنهم يدعون إلى الباب، وأبرزوا للملأ الحاضر فى المجلس كتاباً للباب الشيرازى التى زعم أنها وحى سماوى، فحينها ضجَّ المجلس وارتفعت الأصوات وأفتى العلماء على أثر ذلك بكفرهم ووجوب قتلهم، ولم يتباطأ الوالى فى تنفيذ الحكم عليهم. وأرسل شرحاً مفصّلًا للقضية إلى الحكومة فى طهران.

وكان الباب الشيرازى حينها فى بوشهر، فاستدعاه الوالى إلى الحضور فى شيراز برفقة من الحرس. وأمهله عدّة أيام بعد وصوله حتّى يسكن روعه ويهدأ خوفه.

وكان الباب الشيرازى فى مدّة إقامته فى بوشهر قد كتب عدّة من المؤلفات منها كتاب (البيان)، زاعماً أنه المراد من قوله تعالى: الرَّحْمنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الإِنْسانَ* عَلَّمَهُ الْبَيانَ («١»).

وأن كتابه البيان ناسخ للقرآن والعياذ بالله وأن ما فيه هو الشريعة الناسخة الجديدة، وتعمّد فيه إلى اقتباس النصوص القرآنية مع التغيير بما تشهّاه من الأحكام والبدع والضلالات التى سيأتى ذكرها

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٣٦

والمضحك المبكى أنه مملوء بالأغلاط النحوية والصرفية وغيرها من قواعد علوم الأدب العربى.

وهذا الأسلوب الاقتباسى مارسه بكثرة زعماء الفرقة البابية سواء مع النصوص القرآنية أو مع الأحاديث النبوية والمروية عن الأئمّة (عليهم السلام).

ثمّ إن الوالى أحضر الباب ليلًا لديه، وأظهر له عذره فى قتل أعوانه وأنه كان مخطئاً فى ذلك وكل هذه المسرحية التى قام بها الوالى استدراج لأخذ الإقرار من الباب على دعاويه وأخبره بأن هذا التحوّل المفاجئ بسبب رؤية رآها فى المنام وكأن الباب قد أتاه وأمسك على رجله اليمنى فاستوى جالساً وأخذ الباب يخاطبه بأن نور الإيمان يسطع من جبهتك وبعد ذلك انتبه من النوم.

وما أن سمع الباب ذلك من الوالى الذى تمثّل بنحو من الارتعاد الجسمى والدموع المفتعلة قال: هنيئاً لك يا أمير، إن الذى رأيته لم يكن مناماً بل يقظة، وأنّى أتيتك فى موضع نومك وخاطبتك بذلك، وذلك لمعرفتى بسلامة فطنتك وصفاء شعورك.

وقام الوالى بتقبيل يد الباب والتذلل أمامه، وقال له: (إن كل ما أملك من عدّة وعتاد هو قيد أمرك ورهن إشارتك، وما أنا إلّا ظل يتبعك). فقال له الباب: (هنيئاً لك لاتّباعك الحق، فقد وصلت إلى مقام كريم وموهبة عظيمة، وإنّى أعدك بولاية ممالك الروم فى المستقبل).

وأخذ الوالى فى إظهار السرور والقشعريرة وقال: (يا سيدى إنّى أتبعك لا لمطمع دنيوى من مال أو جاه وعزّة، بل للجهاد بين يديك لألتحق بالشهداء الصالحين).

ثمّ إن الوالى بعدما اطمئن إلى وثوق الباب الشيرازى به قرَّر مع

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٣٧

العلماء والفقهاء عقد مجلس يحضر الباب فيه ويتمُّ المسرحية كى يستخرج من الباب بلسانه أمام الملأ دعاويه، ومن جانب آخر قال للباب: (يا سيدى إنّى قد أعددت مجلساً يحضره علماء المدينة وتحضره أنت كى تدعوهم إلى الإيمان بك وبما تدعو إليه، ومن لا يستجيب منهم لذلك أضرب عنقه بالسيف)، فاستطار الباب لذلك فرحاً.

واستعدَّ لذلك المجلس وذهب برفقة أحد أعوانه السيد يحيى بن السيد جعفر الدارابى المعروف بالكشفى الذى كان من كبار الفرقة البابية ووالده كان من أعاظم علماء عصره ذى المؤلفات المهمّة.

فابتدأ الباب بالخطاب فى المجلس الحافل:

(يا علماء، ألم يئن لكم أن تتحرّروا من الهوى وتتّبعوا الهداية وتتركوا الضلالة، فاسمعوا قولى وأطيعوا أمرى، إن نبيكم لم يترك لكم غير القرآن، وهذا كتابى (البيان) فتعالوا واقرأوه واتلوه لتعلموا أنه أفصح من القرآن وأحكامه ناسخة للقرآن، فاستمعوا لى واقبلوا نصيحتى ما دام السيف فى الغماد وقبل أن تقطع الرؤوس، واحفظوا دماءكم وأموالكم وأطفالكم، فأطيعوا أمرى وعوا كلامى فهذه نصيحتى لكم).

هذا والعلماء منصتون لا يحرّكون ساكناً ولا ينطقون ببنت شفّة كما متّفق عليه مسبقاً.

ثمّ قام الوالى أمام الباب والتمس منه أن يكتب دعاويه على ورقة ليعرضها بيّنة وبرهان على أهل المجلس لتتم الحجة. فكتب الباب عدّة أسطر بأسلوب الدعاء ونهج المناجاة كما هى عادته فى كتاباته. فدارت الورقة على أيدى العلماء، ولاحظوا فيها أخطاء شنيعة فى الأسلوب والصياغة الأدبية والأغلاط النحوية والصرفية.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢٣٨

وأخذ الباب الشيرازى فى الدفاع عن نفسه وتبرير ذلك بأن ذلك ليس من تقصيرى، وإنما هو من الإلهامات الغيبية والوحى السماوى فالجهالة ليست فىَّ، فوقعت فى المجلس الضوضاء.

وارتفعت الأصوات، فمن قائل يفتى بقتله وكفره وخسرانه، ومن قائل يحكم بجنونه واختلال عقله وأنه يعزر ويؤدّب، وقام الوالى مخاطباً الباب:

(يا جاهل، يا مغرور، ما هذه البدعة التى أحدثتها، كيف تدّعى النبوّة والرسالة أو المهدوية وأنت لا تقدر على التعبير عن مرادك بلفظ عربى مستقيم منتظم، ومع هذا الحال تدّعى أن كلامك أفصح من القرآن وأبلغ؟!، وإنّى افكر أن قتلك واجب فى شريعة الإسلام، ولكن أرى بقرائن حالك أنك مختل العقل وفاسد الدماغ فلا يصحُّ قتلك، ولكنك رجل سفيه أبله، ولهذا يجب تعزيرك وتأديبك لعلَّك ترجع عن الضلالة وتعود إلى الهداية).

ثمّ أمر بإخراجه من المجلس وضربه بالفلقة، فأخذ يستغيث ويتوسل بالناس لينقذوه، ولكن الضرب المبرح تواصل حتّى أظهر التوبة والاستغفار.

ثمّ حُمل على حمار طيف به الأسواق والطرقات تشهيراً به ولكن الباب كان يتوخّى ويحرص على ذلك ويحبُّ الشهرة أيّاً كانت وأرجع مرة أخرى إلى المجلس المحتشد، فأخذ الباب بتقبيل يد الشيخ أبى تراب وكرّر التوبة والاستغفار، ولكن العلماء أصرّوا على صعوده المنبر أمام الناس وإعلانه التوبة والرجوع عن الدعاوى السابقة والضلال الذى كان يدعو إليه.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢٣٩

فصعد المنبر قائلًا: (لست أنا وكيل القائم الموعود، ولست أنا الواسطة بين الإمام الغائب وبين الناس).

وثمّ طلب منه إمام الجمعة أن يحضر يوم الجمعة فى مسجد وكيل وأن يعلن ذلك مرة أخرى أمام الناس، وطلب الوالى ضامناً للباب أن لا يعود إلى بِدَعِهِ السابقة، فضمنه خاله السيد على، وفى يوم الجمعة حضر الباب مسجد وكيل وقال: (لعن الله من يرى أنّى وكيل الإمام الغائب، لعن الله من يرى أنّى أنكر وحدانية الله تعالى، لعن الله من يرى أنّى أنكر رسالة رسول الله (ص)، لعن الله من يرى أنّى أنكر إمامة الأئمّة (عليهم السلام)).

ثمّ نزل عن المنبر وذهبوا به إلى السجن، ومكث فيه ستة أشهر فى رفاهية من العيش مع الحدّ من أىّ نشاط أو اتصال.

وفى تلك السنة انتشر وباء وطاعون أتى من الهند وأفغانستان جعل الأوضاع فى شيراز مضطربة، وفرَّ الكثير إلى القرى النائية خوفاً من العدوى، وكذلك لجأ الوالى ومعاونوه إلى أطراف المدينة، فساد البلد الهرج والمرج وحينها أهملت الرقابة على السجن.

فقام والى أصفهان ويدعى منوچهر خان القرجى الأرمنى النصرانى باستغلال الفرصة وأرسل إلى السجن فى شيراز بعض معاونيه مع

عدد من دعاة البابية الذين كانوا على ارتباط وثيق معه فى أصفهان لنشر البابية، وكان يهيّئ لهم مختلف الطرق والوسائل لذلك.

وهذا الوالى النصرانى الأرمنى كان قد وقع أسيراً لدى الدولة الإيرانية آنذاك مع عدد من إخوته فى الحروب التى وقعت لها فى أرمينيا والقفقاز وكان هو من الأمراء هناك.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٤٠

وبعد وقوعه أسيراً حاول مع إخوته التسلل إلى الحكومة والوصول إلى مناصب حساسة فيها كى يتم له الوصول إلى مآربه الحاقدة الدفينة على الإسلام، وأما ارتباطه مع الأيدى الأجنبية فعلى قدم وساق.

وفى هذه الأثناء استفحل نشر البابية فى أصفهان من دعاتها، فثارت الغيرة الدينية لدى الناس والعلماء فى مدينة أصفهان والتى كانت تعجُّ آنذاك بفحول الفقهاء والعلماء فى مختلف الفنون من الحكمة والأصول والهيأة والكلام وغيرها.

فاجتمع العلماء على أثر تصاعد فتنة البابية للبحث عن التصدى لها. وأثناء ذلك حضر الوالى المجلس وخاطب الحضّار بأن الباب قد وجّه أحد العلماء إليه دعوة للحضور إلى أصفهان وإنّى أخاف من اشتداد الفتنة من ذلك (وكان يظهر حاله فى منتهى الغم والحزن والتأثر)، وإنّى أقترح لتفادى ذلك بأن يستعدّ إلى استقباله على باب المدينة عدّة منكم كى يحتووه ويخمدوا بدعته، وهو على أىّ حال من الفقهاء الذين قدموا من المشاهد المشرفة من العراق.

(ويقصد من ذلك أنه من المرسوم عندكم الاستقبال فى مثل هذه الموارد، حيلة منه لإجلال مقدم الباب، مع أنه ليس له هذه الصفة الذى يطلقها عليه الوالى).

وكان يكثر من لا حول ولا قوة إلّا بالله فى كلامه، وقال: (وليقوم الناس بزيارته من مختلف الطبقات كى يعلم جهله وكونه صفر اليدين من الفضل والعلم وهو يقصد بذلك حصول الترويج والدعاية للباب ثمّ اقترح تشكيل ندوة يحضرها المقدمين منكم فضلًا كى يحسموا شبهاته وتنقضوا ضلالته وتثبتوا مروقه من الدين الإسلامى وتفتوا بقتله أو

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٤١

حرقه أو تبعيده، وإنى لن أمهله إلّا بضربة السيف تطهر عنقه). والوالى بهذا التمثيل والصنع حاول إغراء أكثر الحضّار مع شىء من التهديد لمن لا يوافق فيهم بالوقوف بجانب الباب، كما اتّهم فى بادئ كلامه أحد العلماء بأنه الذى وجّه الدعوة للحضور إلى أصفهان، ويكون بذلك قد خطّط للدعاية والنشر ببرنامج وسيع النطاق.

وما أن وصل الباب إلى مشارف أصفهان استقبلته هيأة منتخبة تمثل العلماء، وذهبوا به إلى بيت الميرزا السيد محمّد الملقب بسلطان العلماء، ولكن الباب التزم الصمت عدّة أيام ولم يظهر شيئاً من دعاويه، ولكن العلماء دفعوا الناس إلى الإصرار عليه بإظهار مقالته وكتابتها كى يتمُّ معرفة عقائده.

وقبل الباب الشيرازى فكتب رسالة طويلة فى تفسير سورة الكوثر، وكعادته خبط وخلط فى الأسلوب العربى بتركيب متدافع الأطراف معوجُّ البيان مختل نحواً وصرفاً.

وفوق ذلك استدل فيها على أنه المهدى الموعود، وسرعان ما تناقلتها الأيدى وانتشرت، فازداد الصخب والغيض لدى الناس وواجهوا الوالى بأن يفى بما وعد من الإجراءات بحقه ومجازاته.

ولكن الوالى احتال مرة أخرى وأخذ يماطل ويؤخّر، وسبب ذلك توقع الوالى متابعة بعض الناس للفرقة البابية، أو لا أقل من إحداث الشكّ فى صفوفهم.

ولكن الهيجان ازداد حماساً، وحذر العلماء الوالى بأن يفى بما وعده من عقد ندوة للنقاش مع الباب حول شبهاته وادعائه، وإلّا فلن يملك الوالى زمام الأمور أمام الصخب الشعبى.

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٤٢

فاضطر الوالى إلى عقد الندوة بعد مماطلة كثيرة، لمعرفته أن عاقبتها فضيحة الباب وضياع للمجهود الذى قام به لنشر البابية.

وحضر الندوة جمع كثير من العلماء فى مقدمتهم الميرزا السيد محمّد والشيخ محمّد مهدى كلباسى اللذان كانا متفوقين على البقية فى الفقه والأصول، والميرزا حسن بن الملا على نورى الذى كانت له الصدارة فى الحكمة والفلسفة، وأجلس الباب فى صدر المجلس، وأخذ العلماء بالكلام حول دعواه المهدوية والباب ظلَّ صامتاً لا يحرّك ساكناً، فبادره الشيخ محمّد مهدى الكلباسى قائلًا:

(يا سيد، لا يخفى عليك أن المسلمين على صنفين: الأوّل: وهم الذين يستنبطون أحكام الشريعة الإسلاميّة من القرآن الحكيم والسُنّة النبوية لخاتم النبيين والمأثورة عن الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)، وهذا الصنف يسمون بالمجتهدين.

والثانى: هم أولئك الذين يقلّدون المجتهدين فى معرفة الأحكام ويسألونهم عمّا يجهلونه ويحتاجون إليه كى يرشدوهم، والآن أنت من أىّ القسمين، وبعبارة أخرى أنت مجتهد أم مقلّد؟).

فأجاب الباب: (إنّى لم اقلد أحداً بتاتاً، والعمل بالظن أراه حراماً).

فقال له الشيخ: (يا سيد ألا تعرف أن الطائفة الشيعية تعتقد أن الإمام الحجة (ع) غائب ولا محالة طريق العلم بالأحكام الشرعية مسدود. ولا بدَّ لنا فى كل عصر من الأعصار من تقليد المجتهد الجامع لشرائط الفتوى على طبق القواعد المقررة من الصدر الأوّل إلى عصرنا الحاضر، حتّى يظهر حجة الله قائم آل محمّد المنتظر فيزيل المفاسد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٤٣

ويميت البِدَع ويعيد الشريعة المحمّدية التى أتى بها رسول الله (ص)، فهذه وظيفتنا، فكيف أنت لا تقلد ولا تعمل بالظنون (الخاصة التى قام الدليل على حجّيتها لاستنباط الحكم الشرعى)؟

الآن وحيث لا أراك تأتى بحجة قبال استدلالى ولا أراك قد سمعت بأحكام الشريعة الإسلاميّة، إذاً من أين تعلّمت الدين، ومن أين حصل لك اليقين بالأحكام؟).

فاشتعل الباب غيظاً وقال: (إنّك تعلّمت علم المنقول وبمنزلة الطفل المبتدئ الذى يتعلم (أ ب ج- د)، ولكن مقامى مقام الذكر والفؤاد، فلا يصحُّ لك الدخول فى هذا البحر اللامتناهى ومناقشتى والمناظرة معى فى شىء لا تعلمه).

فانبرى له الميرزا حسن النورى الحكيم المشهور قائلًا: (يا سيد اثبت فى مكانك وإيّاك والرجوع عن ادّعائك، إن الحكماء قد عيّنوا وقرّروا للذكر وللفؤاد مقاماً ومنزلة إذا وصل إليها شخص ما يكون محيطاً بكل الأشياء ولا يخفى عليه شىء، فالآن هل قد وصلت إلى هذا المقام والمنزلة؟ وهل وجودك يحيط بكل الأشياء؟).

فأجاب الباب بثبات وجرأة: (نعم، وجودى هكذا، سل ما بدا لك).

فقال له: (يا سيد، بيّن لنا كيفية معجزات الأنبياء، وحصول طى الأرض للأولياء، وكيفية سرعة سير الزمان فى عصر السلطان الجائر، وبطؤه فى زمان الإمام المهدى الذى وردت به الروايات، نحن وإيّاك نعدُّ بنى أمية وبنى العبّاس حكّاماً جائرين وملوكاً ظالمين، وأئمّة أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أئمّة هادين، وفى هذا الحال يلزم أن يكون للزمان سيرين سريع وبطىء وكيف يمكن ذلك!؟

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٤٤

وأيضاً بعض أئمّة الجور والعدل كانوا فى عصر واحد، ولازم ذلك وقوع سيرين متضادين سريع وبطىء فى زمان واحد، وكيف يمكن ذلك؟

وأيضاً نحن المسلمون نعتقد أن الأرض تطوى لأولياء الله وحججه، يعنى أن المسافة الطويلة تنطوى لهم (كطى السجل) بطرفة عين مثل ما نقل آصف بن برخيا وزير سليمان بطرفة العين عرش ملك بلقيس من سبأ إلى محل إقامة سليمان (فلسطين) كما قال تعالى: قالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا («١»).

فالآن يا ترى كيف وقع ذلك؟ هل المدن والصحارى بين المبدأ والمنتهى للمسير تهبط (خسفاً أو ابتلاعاً)؟

وحينها يتصل المبدأ والمنتهى (للسير) وفى هذه الصورة يلزم انعدام عباد الله والحيوانات والنبات والجمادات حيث الأرض (التى طويت) قد خسفت بهم أو أن القطع الأرضية تجتمع وتتداخل؟ وفى هذه الصورة لا بدَّ من اطّلاع العالم على مثل هذه الحادثة مع أن حتّى هذه الساعة لم يسمع أحد بهذا ولم ينتشر خبر بذلك وفى المستقبل سوف لن ينتشر، أو أن طى الأرض يحصل بنحو الطيران والتحليق؟ وهذا الوجه أيضاً لا يطابق العقل الإنسانى ولا يؤيّده برهان عقلى أو نقلى (شرعى)، أجب عن هذه الأسئلة).

فتبسَّم الباب وأجاب: (يا حكيم، هل تريد أن أرفع النقاب عن وجه المشكل باللسان والبيان، أو بالقلم والبنان أكشف عن هذا السر؟).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٤٥

فقال له: (اصنع ما شئت؟).

فتناول الباب القلم والورقة وأخذ يكتب مدّة من الوقت، حتّى أتى بالطعام فوضع الورقة على سفرة الغذاء وشرع فى الأكل.

فلمح الميرزا حسن بطرف عينه الورقة فتناولها فقرأها على الحضور، وإذا فيها البسملة وحمد الله والصلاة على النبى وبعد ذلك دعاء مطوّل بسبك المناجات من دون أىّ إشارة إلى موضوع المناقشة والأسئلة.

فسكت أهل المجلس حتّى يحصل الفراغ من الأكل، ثمّ حكم بعضهم بجنونه وفقد توازنه، ومن ذلك البعض الميرزا السيد محمّد سلطان العلماء، وحكم البعض الآخر بكفره وارتداده عن الدين ووجوب القتل، ومن ذلك البعض الشيخ محمّد مهدى الكلباسى وسائر الفقهاء، ولكن تردد مع تمايل إلى الباب مدرّسان للفقه مشهوران كانا على ارتباط مع الوالى واتفاق مسبق معه.

وبعد حكم الأكثر بقتله استدعوا من الوالى إجراءه، فتظاهر بأن تنفيذ هذا الحكم خارج عن صلاحياته، وأن القضية يجب أن يعلم بها الحكومة المركزية فى طهران وينتظر الأوامر منها بقتله أو لا، ولكى يقل الضغط عليه من العلماء أمر بتقييد الباب بالسلاسل.

وذهب به إلى السجن، ولكنه أخرجه من السجن ليلًا فى الخفاء وأحضره بيته مع المبالغة فى الاحترام والتجليل، ثمّ بعث برسالة إلى طهران صاغ عبارتها كما أراد، وذيّلها بقوله: (قتل الباب فى هذا الوقت فى أصفهان مع تمايل أكثر أهاليها إليه يستوجب خطر الثوران والهيجان، والرأى الصائب أن يبقى فى السجن حتّى تنطفئ نائرة الصديق والعدو له، ثمّ تنظر هيأة الدولة فى ما هو الصالح وتأمرنا به).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٤٦

وقد نجحت خطّته وانطوت خدعته على هيأة الوزراء واستصوبت رأيه.

ومن جانب آخر تزايد دعم الحاكم منوچهر خان القرجى لعلى محمّد الشيرازى (الباب) وظهرت نواياه الهادفة إلى ضرب المذهب الشيعى ومحاربة العلماء، فحمل ذلك العلماء على الكتابة إلى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) حاجى ميرزا آغاسى وطالبوه بقمع الفتنة التى تتقنّع بالإسلام والتى تدّعى البابية تارة، وأخرى التوبة وإنكار البابية وإنها فى توسّع وانتشار.

فأجابهم برسالة بعثها: (أنا فى خدمة العلماء الأعلام والفضلاء ذوى العزّ والاحترام، والمعذرة فى تصديعكم حول هذا الشخص الشيرازى الذى سمى نفسه باب ونائب (خاص) الإمام (ع) الذى كتبتم عنه. فلأنه ضال مضلّ بحسب مقتضيات الدين والدولة.

فالمورد ضرورى التعقيب ليكون عبرة فى المستقبل طبقاً للسياسة الملكية.

وهذا المجنون الجاهل الجعّال (المفتعل) لم يدّع النيابة فحسب، بل ادّعى النبوة، حيث إنه مع كمال الجهل والسخافة كتب كتاباً جمع فيه المزخرفات وسمّاه قرآناً، مع أن الآية الشريفة: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ («١») دالة على استحالة الإتيان بمثل أقصر سورة و لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً («٢») فكيف بالقرآن!؟

هذا الجاهل مثلًا بدل كهيعص («٣») كتب: كاف، ها، جيم، دال، وبهذا النمط من المزخرفات والأباطيل لفق كتابه. نعم، إنّى أكثر اطّلاعاً

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٤٧

على حقيقة حاله لأن أكثر هذه الجماعة الشيخية تداوم على الطنطنة والشعارات (الهتافات).

وهذا الشقى قد وقع فى تلك الخيالات الباطلة والذى قرّرت فى شأنه أن يحبس فى قلعة (ماكو) حبس الأبد، وأما الذين اتّبعوه وتمايلوا إليه فهم مقصّرون وأطلعونى بهم كى يعزرون وينبهون. دام فضلكم وإفاضاتكم).

ومع ذلك فلم يبعث الحاكم منوچهر خان بالباب إلى قلعة (ماكو) التى تقع فى شمال إيران طيلة عدّة أشهر والتى مات الحاكم بعدها وخلّفه حاكم آخر يدعى جرجين الذى سارع بإرسال الباب إلى ماكو، ولكن لجهات سياسية تحيط بذلك الظرف توسط دالكوركى السفير الروسى فى طهران بنقله من (ماكو) التى هى مدينة على الحدود الروسية إلى قلعة (جهريق)، وأرسل السفير إلى وزير الخارجية الروسى نسلرد مكتوباً قال فيه: (باب هو الذى أبعد عن ماكو الحدودية بوساطتى فى العام الماضى) («١»).

ولم ينقطع ارتباط البابية بالسيد الباب فى القلعة فقد كانوا يبذلون الرشاوى الكثيرة لإقامة الاتصال، وكان على رأسهم المدبّر النشط ملا بشرويه وحاج بار فروشى ويحيى الدارابى وقرة العين، فالأوّل فى خراسان، والثانى فى مازندران (طبرستان)، والثالث فى شيراز، والرابعة فى قزوين، فكانوا بذلك يقيمون دائرة محيطة بأكثر أرجاء إيران للنشر والدعاية للفرقة البابية.

ثمّ إن الشاه محمّد القاجارى طلب من ولى عهده ناصر الدين ميرزا أن يجمع العلماء والفقهاء والفضلاء والأعيان الأشراف والقوّاد وبقية الشخصيات المهمّة فى تبريز (المدينة المركزية فى منطقة

آذربايجان والتى كانت مقراً له)، وأن يعقد مجلساً يديره بنفسه لينظر ما يقوله الباب ويدّعيه كى يتقرّر الإجراء اللازم بحقه.

وأوصاه بعدم الاستعجال فى إصدار الحكم، وعليه الانتظار إلى صدوره من طهران على ضوء التقرير المرسل.

وعقد المجلس بحضور الجموع المختلفة، فمن العلماء الحاج محمود الملقّب بنظام العلماء، والملا محمّد المامقانى الملقّب بحجة الإسلام، والذى كان رئيس الشيخية فى تبريز ومرَّ سابقاً أنه من تلامذة السيد كاظم الرشتى. والملا باشى الحاج ميرزا عبد الكريم والميرزا على أصغر شيخ الإسلام، والميرزا محسن قاضى، والملا باشى ميرزا حسن زنوزى، ومن الشخصيات السياسية للدولة محمّد خان زنكنة أمير نظام، ووزير الأمن ميرزا فضل الله على آبادى نصير الملك، ووزير الخارجية ميرزا جعفر خان معير الدولة، ووزير المالية ميرزا موسى تفرشى، ووزير الداخلية ميرزا مهدى خان بيان الملك، وعدّة كثيرة من هذا الصنف، ثمّ اتى بالباب على محمّد الشيرازى وأجلس صدر المجلس.

وأوّل من افتتح النقاش والبحث نظام العلماء، فخاطب الباب قائلًا:

(يا سيد، انظر إلى هذا الكتاب والأوراق التى أضعها الآن بين يديك، والتى كتبت بأسلوب قرآنى ووحى سماوى («١»)، ونشرت فى بلاد إيران فى متناول الناس، تأمّل فيها وأمعن النظر فى صفحاتها ثمّ أخبرنا أهى من قولك أنت حقيقة؟ أو من اناس أعداء لك افتروها عليك وكذباً نسبوها إليك؟).

ثمّ وضع الكتب والأوراق بجانب الباب.

فأجاب على محمّد الشيرازى: (نعم هذه كتب من قبل الله).

فقال له نظام العلماء: (هل سمّيت نفسك شجرة طوبى فى هذه الكتب؟ ومعنى ذلك أن كل ما جرى على لسانك أو يجرى فهو كلام الله، وبعبارة أخرى: أنت تعتقد أن كلامك كلام الله وقول الله؟).

فأجاب: (الله يرحمك، نعم، أقسم بالله هو كما تقول).

فقال نظام العلماء: (هل تسميتهم لك ب- (الباب) صادرة منك، أو أن الناس خاطبوك بذلك من أنفسهم؟).

فأجاب: (لا، هى صادرة منّى، والناس لا يقولون من أنفسهم، هذا الاسم من الله، وأنا باب العلم).

فقال له: (فى أين، فى بيت الكعبة، بيت المقدس، والبيت المعمور؟).

فأجاب: (فى كل مكان إله).

وفى هـذه اللحظة نهض ولى العهد ناصـر الدين شاه وقال: (يا سـيد، اعلم أنّى عاهدت الله أنك إن قدرت أن تثبت لنا أنك باب العلم فإنّى سأترك لك منصبى ومقامى، ونفسى سأكون مطيعاً ومنقاداً لك).

ثمّ قال نظام العلماء: (يا سـيد أحسـنت، هذا الذى تدّعيه هو اسم لأمير المؤمنين (ع) والذى سمّاه بذلك هو رسول الله (ص) حيث قال: «أنا مدينة العلم وعلى بابها» («١»)، وقال على (ع): «سلونى قبل أن تفقدونى» («٢»)، وقال: «ها إن بين جنبى علماً جمّاً» («٣»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢٥٠

فالآن لدىَّ بعض من المسائل المعضلة اريد حلّها منك، وجملة منها مرتبطة بعلم الطب («١»).

فأجاب على محمّد الشيرزاى: (إنى لم أتعلّم الطب).

فقـال له: (أسألـك عن العلوم الدينيـة، ولكن معرفـة جملتها مشـروط بفهم معانى الأحاديث والآيات، وذلك الفهم متوقف على معرفة علوم منها النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع (علم البلاغة) والمنطق وعلوم أخرى، فإذاً أسأل عن هذه العلوم المقدمية، وابتدأ من علم الصرف).

فأجاب: (إنّى قرأت علم الصرف فى صغرى).

فقـال له: (فسّـر لنـا هـذه الآيـة الشـريفة: هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً («٢»)، وبيّن لنـا إعرابهـا النحوى، وقـل لنـا شأن نزول سورة الكوثر، ولأىّ سبب سلّى الله تعالى نبيّه بهذه السورة؟).

فأجاب: (أمهلنى).

فقال: (ما معنى كلام الإمام على بن موسـى الرضا (ع) فى مجلس المأمون جواباً لسؤاله: ما الدليل لك على خلافة جدّك على بن أبى طالب؟ فقال (ع): «آية أنفسنا»، فقال المأمون: لولا أبنائنا، فقال (ع): «لولا نسائنا» («٣»)؟).

فأجاب: (هذا ليس بحديث).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢٥١

فقال له: (أيّاً ما كان هو، أليس من أقوال العرب أيضاً فسّره وبيّنه).

فأجاب: (الرخصة والمهلة).

فقال له: (ما معنى الحديث القائل: «لعن (الله) له الأعين ظلمت العين الواحدة»؟).

فأجاب: لا أعرف.

فقال له: (ماذا يعنى: إذا دخل الرجل على الخنثى والخنثى على الأنثى وجب الغسل على الخنثى دون الرجل والأنثى؟).

سكت البـاب ولم يحر بشـىء، فقـال له نظـام العلماء: (مؤلّفاتك تظن أنك قـد صـغتها على وجه فصـيح وبليغ، فالآن قل أىّ نسـبة من النسب الأربع بين الفصاحة والبلاغة، ولماذا الشكل الأوّل (من الأشكال الأربعة فى القياس الاقترانى المنطقى) بديهى الإنتاج؟).

سكت الباب أيضاً وعجز عن الجواب.

فقـال له: (يـا سـيد، سؤال آخر وليس عنـدى بعـده سؤال، لو ظننا وسلّمنا أن هـذه العلوم الموجودة لـدى البشـر كلّما قيل وقال (مجرد ألفاظ) ولا تنفع البشـر بقدر فلس، وها نحن صرفنا النظر عن تلك العلوم، فالعادة التى جرى عليها من قديم الزمان واتّبعها عقلاء العالم نتّبعهـا نحن ... وحيث قـد اتّضـحت هـذه المقدّمـة، فنسألـك الآن حيث يعلم من كتبك وحالاتك أنك تـدّعى تارة الرسالـة وأخرى المهدوية وثالثة الولاية، نحن حضرنا ههنا لنسألك هل عندك معجزة أو كرامة تكون حجة لك على الناس؟).

فأجاب: (اطلب أىّ شىء تريده).

فقال له: (يا سيد، لا يخفى عليك أن ملك إيران مصاب بمرض

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢٥٢

النقرس، وهذا المرض صعب العلاج عجز عنه الأطباء والآن نريد منك أن تشافيه من هذا المرض المستعصى).

فأجاب: (هذا الفعل غير ممكن).

فقال له ناصر الدين شاه: (يا سيد هذا الشيخ الذى يناظرك معلّمى وهو شخص أدّبنى بالأدب الجميل، ولكنّه الآن قد ذهبت منه حيوية الشباب ولا يقدر على ملازمتنا فى السفر والحضر فهل تقدر على إعادته شاباً؟).

فأجاب: (هذا أيضاً محال).

فقال نظام العلماء: (أيها الناس اعلموا أن هذا الرجل (يشير إلى الباب الشيرازى) وعاءه خال ومحتواه فارغ من كل شىء من معقول أو منقول، هو مغرور بالباطل وسفيه وجاهل، وليس عنده أيّة معجزة أو كرامة وغير لائق لأدنى احترام).

فأجاب على محمّد الشيرازى وهو غضبان مما قال: (يا نظام، ما هذا الكلام الذى تقول! أنا الرجل الذى مكثتم ألف سنة تنتظرونه!).

فقال له نظام العلماء: (هل أنت المهدى والإمام القائم؟).

فأجاب: (نعم، أنا هو).

فقال له: (المهدى النوعى أنت أم المهدى الشخصى؟).

فأجاب: (أنا عين المهدى الشخصى).

فقال له: (ما اسم أبيك، وامّك، وأين مكان ولادتك؟).

فقال له: (اسمى على محمّد، واسم أبى ميرزا رضا البزّاز، امّى خديجة، محل ولادتى شيراز خمسة وثلاثون سنة مضت من عمرى).

فقال له: (اسم مهدينا المنتظر مهدى، واسم أبيه حسن، واسم امّه

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢٥٣

نرجس، ومحل ولادته سر من رأى (سامراء) فكيف تنطبق عليك تلك المشخصات؟).

فأجاب: (الآن أريك كرامة كى يتضح أنّى صادق فيما أدّعى).

فقال الحضور بأجمعهم: (حبّاً وكرامة، أظهر كرامتك).

فأجاب: (إنّى أكتب فى اليوم ألف بيت البيت فى علم الخط آنذاك خمسين حرفاً).

فقال الحضور: (على فرض أن ما تقوله صحيح، ولكن ذلك ليس بكرامة لأن كثيراً من الخطّاطين يشتركون معك فى ذلك).

وقال نظام العلماء: (إنّى عند زيارتى للعتبات العاليات (المشاهد المشرّفة) صادفت كاتباً يكتب فى اليوم ألفى بيت وانتهى أمره إلى العمى. البتة أنت أيضاً اترك هذا العمل وإلّا فستعمى)، ثمّ جرى بين بقية العلماء وبينه أخذ ورد على هذا المنوال.

وبعد ذلك استدعى ناصر الدين ميرزا من العلماء رأيهم فى شأن الباب، فأفتى بعضهم بكفره ووجوب قتله، وبعض حكم بسفاهته وجنونه.

ثمّ أمر ناصر الدين ميرزا أعوانه بربط الباب وضربه على أقدامه ضرباً مبرحاً حتّى يتوب ويظهر الاستغفار من تلك الدعاوى وبعد ذلك كتب على محمّد الشيرازى ورقة التوبة وقال فيها ...: (إنّى موقن بتوحيد الله جلَّ ذكره، ونبوة الرسول (ص) وولايته ولسانى مقرٌّ بكل ما نزل من عند الله وآمل رحمته ولم أرد بتاتاً ما يخالف رضاه وإذا جرى من قلمى كلمات خلاف رضاه فلم أتعمّد العصيان وعلى أىّ حال فإنّى مستغفر تائب ... أستغفر الله ربى وأتوب إليه من أن ينسب إلىَّ أمر وبعض المناجاة والكلمات التى جرت على لسانى ليست دليلًا على أيّة أمر

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢٥٤

وأعتقد أن مدّعى النيابة الخاصة لحضرة حجة الله (ع) مدّع مبطل، وهذا العبد لم يكن له ادّعاء ذلك ولا ادّعاء آخر) («... ١»).

وأجاب رسالته علماء تبريز، وجاء فيها ...: (أقررت بمطالب متعدّدة كلّ منها توجب وتبعث على ارتدادك وتوجب قتلك، وتوبة المرتد الفطرى لا- تقبل، والذى أوجب تأخير قتلك هو شبهة خبط دماغك (اختلاله) وإذا ارتفعت تلك الشبهة فلا تأمل فى إجراء أحكام المرتد الفطرى عليك).

ثمّ إنه بعد موت محمّد شاه ومجيء ناصر الدين شاه على سدنة الملك ونصبه للميرزا محمّد تقى الملقّب بأمير كبير بدل ميرزا آغاسى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) وازدياد حدّة البابية وتشكيلهم لعصابات تهاجم القرى والمدن وارتكابهم لجرائم فظيعة يقشعر الإنسان عند قراءتها مثل الأحداث والوقائع فى مازندران (طبرستان) والوقائع فى قلعة الشيخ الطبرسى والوقائع فى زنجان مما لا يدعوا منكراً وحشية إلّا أتوها بعد التزامهم الإباحات وتحليلهم كل المحرمات.

وجعلوا أهالى تلك المناطق تعيش حالة من الخوف والرعب من الإرهاب والسفك للدماء التى مارسوها تخيّلًا منهم لإنشاء دويلة يوسعون نطاقها شيئاً فشيئاً أقدم أمير كبير والذى كان على درجة من الحزم وفطانة التدبير بعكس سابقه آغاسى على إعدام على محمّد الشيرازى بعد أن أعاد الباب إصراره على دعاويه السابقة.

وكان الباب الشيرازى قد نصّب ميرزا يحيى النورى خليفة له مع

معاونة أخيه حسين على النورى ولقّب الأوّل عندهم بالأزل والثانى ببهاء وكانا قد اعتقلا من قبل الدولة فتوسّطت السفارة الروسية والبريطانية لإطلاق سراحهما وإخراجهما مع جماعة من البابية إلى بغداد.

ومكثوا هناك عشر سنين وأخذوا شيئاً فشيئاً يبتدعون الأحكام كبقية الفرق المنحرفة.

ثمّ إن السلطات اضطرّت إلى إبعادهم إلى جزيرة قبرص وهناك تنازع الإخوان فانقسمت البابية إلى الأزلية والبهائية («۱»).

***

الخاتمة ... ص: ۲۵۹

اشارة

وفيها ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل فى خروج الدجّال ... ص: ۲۵۹

: فقد روى الصدوق عن النزال بن سبرة أنه قال: قام الأصبغ بن نباتة إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين من الدجّال؟

فقال: «ألا إن الدجّال صائد بن الصيد فالشقى من صدّقه والسعيد من كذّبه يخرج من بلدة يقال لها: أصفهان من قرية تعرف باليهودى عينه ممسوخة والعين الأخرى فى جبهته تضىء كأنها كوكب الصبح فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم بين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل كاتب وامّى، يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يرى الناس أنه طعام، يخرج حين يخرج فى قحط شديد تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميل، تطوى له الأرض منهلًا منهلًا. لا يمرُّ بماء إلّا غار إلى يوم القيامة، ينادى بأعلى صوته، يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين يقول: (إلىَّ أولىائى، أنا الذى خلق فسوّى، وقدَّر فهدى، أنا ربكم الأعلى) وكذب عدو الله، إنه أعور يطعم الطعام ويمشى فى الأسواق وإن ربكم (عزوجل) ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشى ولا يزول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ألا وإن أكثر أتباعه يومئذٍ أولاد الزنا وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله (عزوجل) بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلى عيسى بن مريم (ع) خلفه» («١»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٦٠

وروى عن النبى (ص) أنه قال عن الدجّال: «أيها الناس ما بعث الله (عزوجل) نبياً إلّا وقد أنذر قومه الدجّال وإن الله (عزوجل) قد أخره إلى يومكم هذا، فمهما تشابه عليكم من أمره فإن ربكم ليس بأعور، إنه يخرج على حمار عرض ما بين أذنيه ميل، يخرج ومعه جنّة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء، أكثر أتباعه اليهود والنساء والأعراب، يدخل آفاق الأرض كلها إلّا مكّة ولا بتيها والمدينة ولا بتيها» («١»).

وروى الأربلى فى (كشف الغمة) («٢») عن رسول الله (ص) (فى حديث الدجّال): «يأتى وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل وهو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد أنّك الدجّال الذى حدّثنا رسول الله (ص) حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثمّ أحييته أتشكّون فى الأمر؟ فيقولون: لا».

قال: «فيقتله ثمّ يحييه (وذلك خداعاً بالسحر كما ورد فى روايات أخرى) فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشدّ بصيرة منّى الآن». قال: «فيريد الدجّال أن يقتله ثانياً (أى حقيقة) فلا يسلّط عليه».

ونقل فى (منتخب الأثر) («

) عن أربعين الخاتون آبادى، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (ع)، عن رسول الله (ص) فى حديث فيه خروج الدجّال وقرية يخرج منها وبعض أوصافه وأنه يدّعى الألوهية وأن فى أوّل يوم من خروجه يتبعه سبعون ألفاً من اليهود وأولاد

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٦١

الزنا والمدمنين بالخمر والمغنين وأصحاب اللهو والأعراب والنساء قال (ع) فى آخره: «فيبيح الزنا واللواط وسائر المناهى حتّى يباشر الرجال النساء والغلمان فى أطراف الشوارع عرياناً وعلانية والفجور ويسخر آفاق الأرض إلّا مكّة والمدينة ومراقد الأئمّة (عليهم السلام) فإذا بلغ فى طغيانه وملأ الأرض من جوره وجور أعوانه يقتله من يصلّى خلفه عيسى بن مريم (ع)».

وروى السيد ابن طاووس (رض) عن الصادق (ع) فى حديث خروج الدجّال: «من بعد ذلك يخرج الدجّال من ميسان نواحى البصرة، فيأتى سفوان، ويأتى سنام فيسحرهما ويسحر الناس، فيكونان كالثريد وما هما بثريد من الجوع والقحط إذ ذلك لشديد» («١»).

الأمر الثانى: فى علامات ظهور الحجة (ع) وعدّة أصحابه ...: ص: ٢٦١

قد حدّد الأئمّة (عليهم السلام) أمد الغيبة الكبرى التى انقطع الشيعة فيها عن الحجة (ع) بانقطاع النيابة الخاصة بموت النائب الرابع على بن محمّد السمرى فى نهاية الغيبة الصغرى.

والتحديد هو بوقوع علامات للظهور وانتهاء الغيبة، وهذه العلامات كثيرة:

منها: ما يقارن عام ظهوره (ع) والسنة التى يخرج فيها بدءاً من مكّة من بيت الله الحرام يوم العاشر من محرم يوم قتل فيه جدّه الحسين سيد الشهداء وسبط الرسول (ص) ويخطب تلك الخطب التى طالما تعطّشت إليها البشرية جمعاً والشيعة خصوصاً ويبدأ بعقد البيعة له وأوّل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٦٢

من يبايعه جبرئيل (ع) وثمّ عدّة أصحابه التى هى عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر.

ومنها: ما لا يقارن عام الظهور وإنما تشير إلى الاقتراب ليس إلّا.

والمهم هو القسم الأوّل وهى العلامات التى اطلق عليها فى الروايات المأثورة بالعلامات الحتمية التى لا بدء فيها.

فقد روى الصدوق (رض) عن الصادق (ع) أنه قال: «خمس قبل قيام القائم (ع): اليمانى، والسفيانى، والمنادى ينادى من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية» («١»).

وهذه العلامات الخمس:

الأولى: وهى خروج سيد حسينى من نسل الإمام الحسين (ع) من ناحية اليمن ولذا اطلق عليه اليمانى.

الثانية: وهى خروج شخص يدعى عثمان بن عنبسة من بنى أميّة من سلالة أبى سفيان، ولذا اطلق عليه السفيانى من ناحية الشام.

الثالثة: المنادى وهو جبرئيل (ع) يصيح بصيحة من السماء ونداء يسمعه كل العالم كل قوم بلسانهم أن الحجة قد ظهر وأن الحق مع على وآله.

الرابعة: الخسف الذى يقع بأرض البيداء قرب المدينة المنورة والذى يقع بجيش السفيانى الذى يرسله من الشام لمقاتلة الحجة.

الخامسة: قتل النفس الزكية وهو الشاب السيد الحسنى الذى يبعثه الحجة بعد عقد البيعة سراً مع العدّة المخصوصة من أصحابه ليدعو أهل

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٦٣

مكّة ولكنهم يقومون بقتله، وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «ليس بين قيام قائم آل محمّد وبين قتل النفس الزكية إلّا خمسة عشر ليلة» («١»).

وروى عن ميمون البان قال: كنت عند أبى جعفر (الباقر) (ع) فى فسطاطه، فرجع جانب الفسطاط، فقال: «إن أمرنا قد كان أبين من هذه الشمس»، ثمّ قال: «ينادى منادٍ من السماء: فلان بن فلان هو الإمام باسمه»، وينادى إبليس (لعنه الله) من الأرض كما نادى برسول الله (ص) ليلة العقبة» («٢»).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «إن أمر السفيانى من الأمر المحتوم وخروجه فى رجب» («٣»).

وقال (ع): «الصيحة التى فى شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان» («٤»)، وقال (ع): «ينادى منادٍ باسم القائم (ع)»، قلت: خاص أو عام؟ قال: «عام يسمع كل قوم بلسانهم»، فسأله زرارة: فمن يخالف القائم (ع) وقد نودى باسمه؟ قال: «لا يدعهم إبليس حتّى ينادى ويشكّك الناس» («٥»).

وقال (ع): «صوت جبرئيل من السماء وصوت إبليس من الأرض فاتبعوا الصوت الأوّل وإيّاكم والأخير أن تفتنوا به» («٦»). وقال: «ينادى منادٍ من السماء أوّل النهار: ألا إن الحق فى على وشيعته، ثمّ ينادى إبليس

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج ١، ص: ٢٦٤

(لعنه الله) فى آخر النهار: ألا أن الحق فى السفيانى وشيعته فيرتاب عند ذلك المبطلون» («١»).

وروى الصدوق عن الصادق (ع) أنه سأله رجل من أهل الكوفة: كم يخرج مع القائم (ع) فإنهم يقولون: إنه يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا؟ قال: «وما يخرج إلّا فى أولى قوة وما تكون أولوا القوة أقل من عشرة آلاف» («٢»).

وروى عن الباقر (ع) أنه قال: «اثنان بين يدى هذا الأمر: خسوف القمر لخمس وكسوف الشمس لخمس عشرة ولم يكن ذلك منذ هبط آدم (ع) إلى الأرض وعند ذلك يسقط حساب المنجمين» («٣»).

وروى النعمانى فى كتاب (الغيبة) («٤») عن الصادق (ع) أنه قال: «النداء من المحتوم والسفيانى من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف يطلع من السماء من المحتوم»، قال: «وفزعة فى شهر رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان وتخرج الفتاة من خدرها».

وفى هذه الرواية علامة سادسة من العلامات الحتمية مضافاً إلى الخمس التى تقدّمت، وهى طلوع كف من السماء.

وروى عن الباقر (ع) أنه قال: «لا بدَّ لبنى فلان من أن يملكوا فإذا ملكوا ثمّ اختلفوا تفرّق ملكهم وتشتت أمرهم حتّى يخرج عليهم الخراسانى والسفيانى هذا من المشرق وهذا من المغرب يستبقان إلى

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢۶۵

الكوفة كفرسى رهان (أى السباق) هذا من هنا وهذا من هنا، حتّى يكون هلاك بنى فلان على أيديهما أما إنهم لا يبقون منهم أحداً».

ثمّ قال (ع): «خروج السفيانى واليمانى والخراسانى فى سنة واحدة فى شهر واحد فى يوم واحد، نظام كنظام الخرز (أى كخرز السبحة أو ما شابهه) يتبع بعضه بعضاً فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناوأهم وليس فى الرايات راية أهدى من راية اليمانى، هى راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم» («١»).

وروى عن الباقر (ع) أنه قال: «السفيانى والقائم فى سنة واحدة» («٢»).

الأمر الثالث: فى مدح العلم وذم الجهل ...: ص: ٢۶۵

فقد روى الكلينى (رض) عن الصادق (ع): «إن أوّل الأمور ومبدأها وقوّتها وعمارتها التى لا ينتفع شىء إلّا به العقل الذى جعله الله زينة لخلقه ونوراً لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنهم مخلوقون، وأنه المدبّر لهم، وأنهم المدبَّرون، وأنه الباقى وهم الفانون، واستدلّوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه من سمائه وأرضه وشمسه وقمره وليله ونهاره، وبأن له ولهم خالقاً ومدبّراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأن الظلمة فى الجهل، وأن النور فى العلم، فهذا ما دلّهم عليه العقل».

قيل له: فهل يكتفى العباد بالعقل دون غيره؟

قال: «إن العاقل لدلالة عقله الذى جعله قوامه وزينته وهدايته علم

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢۶۶

أن الله هو الحق وأنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبّة، وأن له كراهية، وأن له طاعة، وأن له معصية، فلم يجد عقله يدلّه على ذلك، وعلم أنه لا يوصل إليه إلّا بالعلم وطلبه، وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذى لا قوام له إلّا به» («١»).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «لوددت أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتّى يتفقّهوا» («٢»).

وروى عن الكاظم (ع) أنه قال: «لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدى إلىَّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم وأن أحبّ عبيدى إلىَّ التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء» («٣»).

وروى عن الصادق (ع) أنه قال: «إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون» («۴»).

وقال: قال رسول الله (ص): «أف لرجل لا يفرغ نفسه فى كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه» («۵»).

وقال (ع): «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلّا بعداً» («۶»).

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج١، ص: ٢۶٧

وقال: قال رسول الله (ص): «من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح» («١»).

وقال (ع): «الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وغثاء» («٢»).

هذا والحمد لله رب العالمين على كل حال، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

تمَّ الفراغ منه يوم السابع عشر من رجب الأصب (١۴١١ ه-)، فى جوار السيدة الطاهرة فاطمة المعصومة بقم المقدسة. بيد العبد الآثم محمّد بن الحاج حميد سند البحرانى عفا الله عنهما.

***

دعوى السفارة فى الغيبة الكبرى(٢)، ج٢، ص: ٢٧٣

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹